أُقسِم أنا

أحداث في سيرة قوميّ اجتماعيّ
ومسيرة حزب

عبد الوهاب البعّاج

» اسم الكتاب: **أُقسِم أنا**

أحداث في سيرة قوميّ اجتماعيّ ومسيرة حزب.

» تأليف: **عبد الوهاب البعّاج.**

» مراجعة وتدقيق: **ناريمان منصور.**

» الترقيم الدولي: ISBN: **978-9933-567-71-2**

» الناشر: **دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.**

هاتـــف: 00963115637060

» سنة الطباعة: **2023.**

طبعة مشتركة الحقوق بين المؤلف والناشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

واتساب وتلغرام: 00963932832010

aklpublishing@gmail.com

الثقافة الروسية لإدارة المكتبات

واتساب وتلغرام: 00201060253858

russianculture.egypt@gmail.com

جميـع الآراء الـواردة فـي هـذا الكتـاب
تعـبر عـن وجهـة نظـر مؤلـف الكتـاب
ولا تـعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

مُقدّمة

هي مُعاناة أكثر ممّا هي مذكّرات، هي ذكريات مررنا بها، بعض أحداثها تنقصه الدقّة لمرور السنين. لم يُعنّي أحد على التذكّر. عندما بدأنا نستطيع أن نُسجّل على الورق ما مرّ من أحداث وقصص وأفعال ومآسٍ، كان من غادر دُنيانا أكثر الذين لهم دور في الأحداث، ومن بقي لم تعُد الذاكرة نشطة إلى حدّ تقديم بعض ما يُساعد على دقّة الرواية.

إنّ تغيّر الظروف بين تلك الأيّام وما نحن فيه اليوم، وما طرأ من تبدّل في العلاقات، سياسيّة واجتماعيّة ورقابيّة، كان له أثر على إهمال بعض التفاصيل أو التخفيف من حدّتها.

مقدّمة عامّة

دير الزّور محافظة مُترامية الأطراف، مساحتها تتجاوز مساحة لبنان. تحدّها شرقاً مدينة البوكمال على حدود العراق، شمالاً وعلى مسافة 150 كم باتجاه الجزيرة (الحسكة)، غرباً ما يُقارب مسافة 150 كم إلى حلب، بعد حدود الرقّة، وجنوباً البادية الشاميّة. وكانت بهذه الحدود تُسمّى محافظة «الفرات». وهي وريثة سنجق دير الزور، في فترة الاحتلال العثماني، وكانت تشمل عانة وحدود الموصل.

تحكم دير الزور، من الناحية الاجتماعية، العلاقات والعادات العشائريّة في المدينة، والقبليّة في أريافها. أمّا من الناحية الاقتصادية، فكونها منطقة زراعية رعويّة، فإنّ اقتصادها يقوم على زراعة الحقول وتربية المواشي وما يتبعها من أعمال، وهكذا تقوم صناعتها على تأمين مستلزمات الزراعة والرعي، من نواعير وغراريف وصولاً إلى المنجل.

وترتبط دير الزور بالمحافظات الأخرى بطرق بريّة قديمة وضيّقة تعبيدها بدائيّ، وأكثر صِلاتها وارتباطها مع حلب مروراً بالرقّة، وإلى دمشق من حلب عبر حماة وحمص. وكان السفر يستغرق يوماً إلى حلب ويومَين إلى دمشق، ما شكّل معاناة كبيرة. وقد كانت حلب تحتكر تجارة دير الزور.

وكان التمثيل السياسي محصوراً بكبار الأغنياء والتجّار من المدينة، وبشيوخ القبائل والعشائر في الريف، فهم يشكّلون القوائم، ويفرضونها، وتشمل شخصيات ترتبط بالحزبَين المعروفَين؛ الوطني والشعب. أمّا التكوينات الحزبيّة والفكريّة، فليس لها تواجد فاعل على الأرض، ما خلا بعض الأسماء من هذا الحزب أو ذاك. ومع ذلك، فقد عرفت دير الزور نوادٍ فكريّة، وإصدارات لمجلات أدبيّة وسياسيّة، ولكنّها سرعان ما كانت تتوقّف بسبب ضعف الإمكانات الماديّة، والرقابة السلطويّة بشقّيها الوطنيّ والأجنبيّ.

البداية بعد الاستقلال

كانت مرحلة الاستعمار الفرنسي تجمع الناس على فكرة الخلاص من المُستعمِر، وهذه الفكرة كانت مهمّة جامعة لكافّة الأفكار والتوجّهات. وكان محور التحرّكات كلّها هم طلّاب المدارس، وعلى رأسهم التجهيز (ثانويّة الفرات)، وقد كانت وحيدة.

وكانت تتحرّك مظاهرات الطلاب منادية بمطالب وطنيّة، على رأسها فلسطين والإسكندرون، وأيضاً مطالب معيشيّة، ولم يكن لها أيّ طابع حزبيّ مُعيّن.

أمّا بداية الوعي السياسيّ والحزبيّ، فقد كانت مع انتشار الصحافة بشكل واسع، وكان من أهمّها صحف دمشق والقاهرة وبيروت. وبدأت تتّضح الاتجاهات الحزبيّة والسياسيّة من خلال هذه الصحف، وكان أوّل ظهور، بل وأكثره، الإخوان المسلمون، يليه الشيوعيّون وشخصيّات الحزبَين الوطني والشعب. أمّا التعليم، فكان يقتصر على المراحل الابتدائيّة والتجهيز (إعدادي)، الّتي أصبحت «ثانوية الفرات»، ولم يكن للبنات إلّا الابتدائيّة. أمّا الدراسات العُليا، فلم تكن مُيسّرة إلّا للقليل من أصحاب الإمكانات الّذين كانوا يرسلون أبناءهم إلى حلب ودمشق وبيروت. أمّا وظائف التعليم والإدارة، فغالباً ما كانت لأبناء المحافظات الأخرى؛ دمشق، حلب والساحل، من مُنطلَق أنّ ابن المنطقة لا يصلح للخدمة بين أهله، يُضاف إلى ذلك قلّة عدد المؤهَّلين والمدرَّبين، وقد كان هذا تبرير السلطات الذي ظهرت عدم صحته.

عن مجتمع دير الزور – المرحلة الفرنسيّة

مجتمع دير الزور خليط مُتجانس مُترابط، مُكوّن من أبناء المدينة الّذين تأسّست منهم، وهم يُكوّنون العائلات وتجمّع العشائر، والّذين وفدوا واختاروا العيش فيها وأصبحوا من مكوّناتها، ومنهم مسيحيّو الجزيرة الفراتيّة العُليا الّتي استولى عليها العثمانيّون، ومنهم أيضاً الأرمن والسريان بعد أن اضطروا للهرب من المذابح.

ولإعطاء صورة حقيقيّة عن هذا التكوين المتآلف أُرفق نصّين، الأوّل «ليلة رعب» كتبها الرفيق إلياس فطوط خليفة، والنصّ الآخر هو الردّ الّذي كتبتُه تعقيباً. وكلاهما يُعطي صورة عن مجتمع دير الزور المُميّز.

كتب الرفيق إلياس فطوط بعنوان «ليلة رعب» ما نصّه:

"كان ذلك في ليلة من ليالي صيف عام 1943. أذكر أنّني وأهلي كنّا نجلس على حصيرة مُتلاصقين واجمين، وقد ملك علينا الخوف والرعب ممّا ننتظر ممّا قالته الشائعات من أنّ المسلمين سينقضّون على بيوت النصارى فيقتلونهم وينهبون بيوتهم. وكان مُشيعو هذه الأخبار ينصحون المسيحيّين أن يغادروا بيوتهم ويلجؤوا إلى الثكنات العسكريّة الّتي يحميها الجيش الفرنسيّ.

هجمت هذه الشائعة على بيوت المسيحيّين، وملأت قلوبهم رعباً وحيرة وترقّباً لأبشع المصير. وكان المسيحيّون يردّدون الشائعة بخوف نقلاً عن فرنسيّ يعرفه الجميع، ولا يجرؤ أحد على نفي ما يقول أو تكذيب الإشاعة.

كاد الليل أن ينتصف ولم يقرع بابنا أحد، ولم نسمع وقع قدم خارج جدار الحوش.

أذكر أنّ عمّي كان يجلس على طرف الحصير يحمل مسدّساً محشوّاً... وبين الحين والآخر يشجّعنا ويدعونا للصلاة وطلب الحماية من السماء، ثمّ نهض وقال أنا ذاهب إلى بيت الشيخ سعيد العرفي، مُفتي دير الزور، لأخبره بما سمعنا وأسأله عن حقيقة الأمر وأستنصحه بما علينا أن نعمل، وكان بيت المُفتي على مقربة من بيتنا. وبعد دقائق عاد من دار الشيخ المُفتي يحمل الاطمئنان إلى قلوبنا. وأذكر مضمون ما قاله، وهو أنّ المسألة لا تتعدّى كونها إشاعة كاذبة أراد منها مُطلقوها أن يشوّهوا حقيقة الواقع الوطنيّ في سورية، والعلاقة الأخويّة بين سكّان البلد المسلمين والمسيحيّين.

بعد دقائق انطلق صوت الشيخ المُفتي من أعلى المئذنة، حاملاً إلى الناس عامّة والمسيحيّين خاصّة عبارات الاطمئنان والأمان، ويحذّرهم من الأخذ بالشائعات المُغرِضة الباطلة، محرّماً على المسلمين إلحاق الأذى بإخوتهم وجيرانهم وأبناء وطنهم النصارى».

الرد على ليلة الرعب

هذه الرواية ليست للبحث في مجال العلم، إنّما هي واقع أقرّه الزّمن الّذي عشناه في بداية ومنتصف القرن العشرين.

أثناء الثورة السوريّة ضدّ الفرنسيّين عام 1945 أخذت بعض المجموعات تُلاحق العسكريّين التابعين للفرنسيّين. كان هؤلاء يدخلون البيوت لنهبها، وكان بجوارنا عائلة أرمنيّة، الكبير فيها يعمل رباب (مبيّض أوانٍ نحاسيّة) وله ولد هو أوّل من عمل بإصلاح الساعات في مدينتنا. وإذ بإحدى المجموعات تهجم باتّجاه هذا البيت، وكان والدي قريباً فوقف أمام الباب شاهراً مسدّسه وناداهم: «ماذا تريدون؟». فقالوا إنّ هذا بيت عسكريّ. فقال لهم: «لا يوجد عسكريّ، ومن يقرب هذا البيت يُقتَل». فغادروا وسَلِمَ الجار والبيت.

في فترة العمل القوميّ، بعد استشهاد الزعيم وانتشار الحزب في دير الزور، حضر إلى دير الزور عدد من المعلّمين والمدرّسين من الساحل والداخل السوريّ ومنهم مدرّس للّغة العربيّة، كان مشهوداً له بقوّة الشخصيّة والقدرة العلميّة ويُدعى محي الدين ريشة.

هذا المدرّس القوميّ الاجتماعيّ قضى عدّة سنوات في دير الزور وبيننا نحن القوميّين كلّ يوم. جاء بعد سنتَين من وجوده معلّماً في مدرسة يوسف العظمة الّتي يُديرها سعد الدين عبود (مدير مميّز)، جاء يروي لنا التالي:

غاب مدرّس الديانة الإسلاميّة (وهو مصريّ) للصف الرابع الابتدائي، فطلب إليّ المدير قائلاً إنّ «الطلاب غاب مدرّسهم للديانة، وأعتقد أنّك تستطيع أن تحلّ محلّه». فقلتُ له «نعم أستطيع، ولكنّي من أجلك لا أفعل ذلك». فاستغرب هذا الردّ وقال: «كيف من أجلي لا تفعل ذلك وأنا من أطلبه منك؟». فقال، «قلتُ له كي لا يُقال أنّ سعد الدين عبّود كلّف مسيحيّاً بتدريس الديانة الإسلاميّة، فردّ «هل أنتَ مسيحيّ؟». هنا نحن رفقاؤه علمنا أنّه كذلك بعد سنوات من العِشرة. (هذا الرفيق اتّهم فيما بعد مع مجموعة الشهيد يونس عبد الرحيم بالاشتراك بالاغتيال، ولكنّه بُرّئ من التُّهمة).

هذه دير الزور بمجتمعها المتوادّ والمندمج، البعيد عن الطائفيّة والمذهبيّة.

إنّ منطقة الفرات الّتي سكنتها قبائل بني تغلب المسيحيّة تركت أثرها، وأعتقد وأنا لستُ مؤرّخاً أنّ اسمها من «الدير».

بدء تواجد الأحزاب

في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، بدأت عودة الدّارسين في الجامعات، وعلى وجه التحديد السوريّة منها في دمشق، وكان أغلبهم من المدرّسين ذوي الاتجاه الماركسيّ أو من الإخوان المسلمين، وأخذوا ببثّ أفكارهم ومعتقداتهم، وكانت المدارس، وخصوصاً الثانويّة، ميدانهم. وقد كانت الغَلَبة فيها للماركسيين الّذين كان منهم مَن يُعلِن ارتباطه الشيوعي ويدعو للانضمام إلى التنظيم، ومنهم من كان ينفي ارتباطه وهو مرتبط سرّاً. أمّا الإخوان فقد توجّهوا إلى ميدانهم الأوسع، دور العبادة، حيث يلتقون المصلّين الذين كان غالبيّتهم من الأُميّين؛ لذا فقد وجد الإخوان في هذا الفراغ ضالّتهم، فقاموا بإجراء دورات محو أميّة، وتوجيه دينيّ أخوانيّ في ذات الوقت. أمّا الاتجاه الثالث العروبي، فقد بدأ بالنادي الثقافي العربي، الذي يرأسه ويديره السياسيّ المعروف جلال السيّد، ويجمع عدداً من أصدقائه وأقاربه، إلى جانب عدد من الطلبة، وكان هذا النادي يُصدر مجلّة أدبيّة فكريّة تدعو إلى الأمّة العربيّة الواحدة. وعندما التقى جلال السيّد مع ميشيل عفلق وصلاح البيطار، أعلن السيّد تحوّل النادي إلى فرع لحزب البعث العربي، بمكوّناته من الأصدقاء والأقارب والطلاب.

حتّى هذا الوقت، لم يكن للحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ اسماً على مسرح التداول، على الرغم من وجود بعض الأسماء بلا نشاط أو فاعليّة. هذا مع استثناء ما تبيّن لنا بعد ذلك، من نشاط قوميّ اجتماعيّ مُنحصِر بالعمل ضدّ المُحتلّ الفرنسيّ، كان يقوم به قوميّون مِن غير أبناء البلد، خصّصنا لهم فصلاً خاصّاً «الحزب في دير الزور والاستعمار الفرنسي».

على أثر الثورة القوميّة الاجتماعيّة والطريقة التي خُطِف فيها سعاده، (سلم) بخيانة من حسني الزعيم، وبمؤامرة شاركت فيها دول، وعلى رأسها «إسرائيل»،

ومن ثمّ محاكمته وإعدامه بليلة واحدة، كان لهذا الفعل الصدى المدوّي الذي أظهر القوميّين إلى العلن. وبدأت طلائع الهاربين من القوميّين من ملاحقة حكومة لبنان بتشكيل قيادة في دمشق، بعد انتقام الضباط القوميّين بإعدامهم حسني الزعيم ورئيس حكومته حسني البرازي لتسليمهم سعاده.

تزامناً، بدأت الصحافة العربيّة تنشر الأخبار والمقالات، بمختلف الاتجاهات، لكلّ حزب صحفه ومجلّاته، إضافة إلى صحف لبنان ومصر. وكانت مجلّة «الدنيا» لصاحبها ومديرها عبد الغني العطري، تنشر أخبار الحزب ومقالات عنه، فكانت المنبر الأوّل له في دمشق، إلى أن صدرت جريدة «الجيل الجديد» و«البناء» فيما بعد.

وفي ذلك الوقت، التقى القوميّون الاجتماعيّون أبناء البلد، الّذين سبق لهم أن درسوا وانتموا في المحافظات الأخرى، وشكّلوا تجمّعاً بين السرّ والعلَن، وقد انضمّ إليهم عدد آخر ممّن اطّلعوا وتأثّروا وانتموا. فتشكّلت مديريّة مستقلّة، مديرها الرفيق محمد كافي الرّحبي (موظف في مكتب محافظ دير الزور)، وكان معه آنذاك، على ما أذكر، محمد سعيد أحبش البعّاج (مدرّس لغة عربيّة)، عبد المنعم الرّحبي (مدرّس وشاعر)، أنور حباش (طالب ثانوي – لاعب كرة قدم معروف)، حسن الحاج محمود (طالب) وصبحي خلوصي الكطاف (موظف).

أصبح اللقاء والاجتماع علنيّاً في البيوت الخاصة أوّلاً، وفيما بعد تحوّلت اللقاءات والاجتماعات إلى مكتب يحمل اسم الحزب، يُقبِل عليه الآخرون للاطلاع على مفاهيم هذا الحزب، وخصوصاً شخصيّة زعيمه، وكان من اللافت للنظر الانضباط والتنظيم الذي يتحلّى به أعضاء الحزب. الأمر الذي ساعد على انتشار الحزب في المنطقة (الفرات)، بالإضافة إلى حركة المركز الّتي ساهمت بإرسال الموفدين القياديّين، وكان الأمين إلياس جرجي قنيزح، يرافقه الأمين جميل مخلوف، أوّل القادمين. وكان في كلّ مرّة يحضر فيها، يُستَقبَل استقبالاً رسمياً بنظام وانضباط وهتافات لم يكن البلد قد اعتاد على رؤيتها من الأحزاب والتنظيمات الأخرى.

ولم تكن زيارة عميد الداخلية الأمين إلياس تقتصر على الشأن الداخلي للمديريّة وشؤونها، بل كانت المديريّة تدعو المواطنين، إضافة إلى القوميّين، إلى محاضرة أو ندوة فكريّة يتحدّث فيها، ويُجيب على الأسئلة والتساؤلات بأسلوب مُحبَّب يختصّ به هو وحده. وكان الحضور يشتمل على الشباب والرجال الكبار من مختلف أطياف المجتمع، وحتّى الاتجاهات.

لم تمرّ أشهر إلّا وأصبحت المديريّة منفّذية، مديريّتان في المدينة، واحدة في الميادين والرابعة في البوكمال.

في هذه الفترة، كان النشاط الفكري والحوارات هي الغالبة، يعتمد الشيوعيّون على ما يغذّيهم به الاتحاد السوفياتي من المنشورات الماركسيّة – اللينينيّة. أمّا حزبنا فقد بدأ بصحيفة «الجيل الجديد»، وكانت وقتها من أفضل الصحف لما تنشره من تحليلات صحافيّة سياسيّة، محليّة ودوليّة، وثقافة في الأدب والتاريخ السوريّ، بالإضافة إلى دوريّة النظام الجديد الّتي تحتوي على كتابات الزعيم. وكان للبعث جريدة «البعث» الأسبوعيّة التي تركّز على شعار الأمّة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة. ولمّا كان الانتشار الإخواني بين جمهور المتديّنين، وغالبهم من دون ارتباط أو التزام، كان الشيوعيّون من بين الطلبة، وذلك بتأثير من المدرّسين ومن الفئات الفقيرة الّتي تأمل تحسين وضعها المعيشيّ، وفق الدعاية المدعومة من دولة كبرى.

بعد تشكّل المنفّذية في العام 1952، تناوب على إدارتها ومسؤوليّتها كلّ من الرفقاء حسن عيّاش، نديم سليمان وصالح عبود، وتألّفت هيئة المنفّذية من النُّظّار أسعد كمال ورفيق ملحم للتدريب، نديم سليمان وعبد الوهاب رداوي للماليّة، إبراهيم هنيدي ناموساً، وصالح عبود وعبد الوهاب البعّاج للإذاعة.

مديريّة الميادين كان يُديرها محمد صلاح حريب، شقيق الأمين علاء، وكلّ من عبد المجيد، وفوزي فريح ونجم حريب. وكان للأمين علاء تأثيراً كبيراً على الرغم من أنّه غير مُقيم في مدينة الميادين، وكذلك الأمر بالنسبة لإسماعيل الزركان وشاكر عوجان وآخرين.

وفي البوكمال، نذكر المدير عزيز عثمان المرعي، رشيد عسّاف وآخرين لا نستطيع تذكّرهم. وأيضاً المحطة الثانية (T-2)، محطة ضخّ النفط لشركة بترول العراق، حيث مجموعة من القوميين نذكر منهم جوزيف بحادي، وليم سيمون، جعفر صياح، إسماعيل عفدل وعطا الله فطوط، وكان الأمين نبيه نعمة يعمل في هذه الشركة بحمص، ويتردّد مُشرفاً على المحطة الثانية، وكان له فاعليّة بدعم الرفقاء المتواجدين فيها.

الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ والاستعمار الفرنسي في دير الزور

كلّ الظنّ أنّ دير الزور لم تعرف الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ إلّا في نهاية الأربعينيات، وخصوصاً بعد ثورة سعاده وإعدامه. أمّا بعد اطّلاعنا على أدبيّات الحزب وتاريخه، تبيّن لنا أنّ ثمّة حقائق تؤكّد وجود هذا الحزب في دير الزور، من خلال عددٍ من الرفقاء من أبناء المدن الأخرى الّذين تواجدوا بسبب أعمالهم الوظيفيّة.

من الأدبيّات

يقول المؤرّخ الأمين نواف حردان، حين الكلام عن عودة سعاده من مغتربه بتاريخ 02 آذار 1947 ما يلي: «انضمّت إلينا مواكب أخرى قادمة من كلّ أنحاء الوطن الكبير، من الشام، وحمص وحماة وحلب واللاذقيّة وحوران ودير الزور». (مجلّة اتّجاه – العدد 06 عام 1947).

وكتب الأمين شوقي خير الله في كتابه «قصّة الحزب»: «واختلط القوميّون لأوّل مرّة، وغير القوميّين من أعالي الجزيرة الفراتيّة إلى اللاذقيّة، وحلب وحماة وحمص ودمشق وتدمر وبلاد العلويّين وجبل الدروز».

رواية الرفيق إلياس فطوط (خليفة)

تأكيداً لما يذكره الأمينان حردان وخير الله، يروي الرفيق إلياس أحداثاً عن

نشاطات للرفقاء عيسى دعدع وحنّا مراد والسرجنت مصطفى، وذلك في الفترة بين الأعوام 1943 – 1945، يقول: «كان عمّي يعقوب فطوط يمتهن مهنة الحلاقة في صالونه الشهير بِاسم «هاي لايف»، وكان هذا الصالون مقصوداً ومرغوباً، زبائنه من عليّة القوم، ومن عائلات ميسورة ومن مدنيّين وعسكريّين. وفي أيّام العطل والأعياد، كنتُ أذهب إلى الصالون للتسلية والكسب، معظم الزبائن يخصّوني بإكراميّة (بخشيش) لقاء مساعدتهم (تأدية خدمات بسيطة)، وكانت الإكراميّة لا تتعدّى العشرة قروش».

يتابع الرفيق إلياس ذكرياته: «كنتُ أُلاحظ أنّ البعض منهم، من مدنيّين وعسكريّين، يأتون الصالون الواسع، لا لقصّ شعورهم أو حلاقة ذقونهم، بل أسمعهم يتحدّثون عن الوطن والاستعمار والحريّة، وكنتُ لا أفقه وقتئذٍ معاني هذه المفردات، وأذكر من أسماء الزبائن عمّو حنّا وعمّو عيسى والسرجان مصطفى (السرجان رتبة فرنسيّة تُقابلها رقيب، وكان من عداد الجيش الوطنيّ الّذي تقوده السلطة الفرنسيّة). وقد حفظت أسماءهم لأنّهم كانوا يسكنون في حيّنا».

التلاميذ وكرة القدم ودورهم النضاليّ

إخفاء الوثائق ودور المراسل كيف يتمّ..

الاعتقالات وإخفاء الوثائق – التراسل

يقول الرفيق إلياس: «مشهد غريب يحيّرني.. أكثر من مرّة شاهدت عمّو حنّا يمرّ أمام الصالون مُكبّلاً ومعه اثنان من الشرطة، وكنتُ أسمعه ينادي على عمّي بالتحيّة رافعاً يديه المكبّلتَين وهو يقول بصوت شجاع مرتفع «يعقوب سلّم». (مركز الشرطة في ذات الشارع، وللوصول إليه من مكان الاعتقال يمرّ بالصالون، خصوصاً وأنّه يتمّ مشياً لعدم وجود آليّات آنذاك). يقول إلياس عند هذا الحدث: «فيقترب منّي عمّي ويهمس في أذني طالباً منّي أن أذهب إلى بيت عمّو عيسى وأخبره بما رأيت، مُشدّداً ألّا أُخبر أحداً من الناس، وأن أتجنّب أن يراني أحد. ورغبةً منّي بإرضاء عمّي والأعمام، كنتُ أقوم بعملي (دوري) فأُسرِع إلى بيت عمّو عيسى المقابل لبيتنا في حيّ الجبيلة، وكان عمّو عيسى يتلقّى

الخبر باهتمام كبير ويُسرِع إلى طاولته يتناول من أحد أدراجها ظرفاً فيه أوراق، ويقول لي «اذهب إلى البيت وضع الظرف في حقيبة كتبك، وفي الغد خذه معك إلى المدرسة، وعندما تعود مساءً اتركه في «الطبقة» وأقفل عليه (الطبقة هي طاولة التلميذ، وسابقاً تُعتبر كخزانة لها قفل ومفتاح خاص بالتلميذ)، ولا تدع أحداً يعرف ما فعلت». تكرّرت هذه الحادثة أكثر من مرّة، وكنتُ في كلّ مرّة عند حُسن ظنّ عمّي يعقوب وعمّو عيسى. عندما كبرت علمت أنّ الظرف كان يحتوي أوراقاً سريّة للحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ».

والكرة وسيلة التواصل مع العسكريّين: اشتدّت حركة الاحتجاجات ضدّ المستعمر، شاملةً كافّة أهالي المدينة بمختلف اتّجاهاتها، والتجأ العسكريّون إلى الثكنات مع عوائلهم، وحاول الفرنسيّ تحريض المسيحيّين إلى اللجوء إليه بدعاية أنّ المسلمين سيقومون بقتلهم، إلّا أنّ هذه الكذبة لم تُعطِ أيّة نتيجة غير تمسّك أبناء البلد بوحدتهم.

كان همّ الرفقاء القوميّين الاجتماعيّين المذكورين تحريض العسكريّين على القادة الفرنسيّين ومن يُواليهم، مُستغلّين الرفيق السرجنت مصطفى، وربما هناك غيره. يقول الرفيق إلياس: «في سنوات 1943 – 1945 ازداد نشاط هؤلاء الرجال، فكانوا يتنادون للقيام بمظاهرات ضدّ الوجود والاستعمار الفرنسيّ، وكنتُ أسأل نفسي كيف تتمّ الاتصالات بين الوطنيّين المدنيّين والضباط العسكريّين في الثكنات، ولم أكن أعلم أنّني مع اثنين من زملائي في المدرسة كنّا نقوم بنقل الرسائل بين مَن هم خارج الثكنات ومَن هم في داخلها».

لعبة الطابة (كرة القدم): مدرسة وكنيسة الآباء الكبوشيّين (اليسوعيّة)، باحاتها تشمل ملاعب بما فيها ملعب كرة قدم، وأرضها مرتفعة عدّة أمتار عن ثكنة الجيش الّتي يفصلها عن ملاعب المدرسة طريق، وسور الثكنة قليل الارتفاع. وهنا دور الرفيق إلياس وزملائه التلاميذ وكرة القدم، وكانت الكرة آنذاك عبارة عن جراب مطّاطي وغلاف جلدي، يُنفَخ المطاط داخل الجلد ويُغلَق الجلد بخيط جلديّ.

يقول إلياس: «كان عمّو عيسى يُعطينا كرة القدم ويطلب منّا أن نذهب لنلعب بها في الفسحة المجاورة لجدار الثكنة القريبة أيضاً من حيّنا، ويطلب منّا أن «نشوط» الطابة بقوّة لتتجاوز جدار الثكنة حيث كان ينتظرها وراء الجدار عمّو مصطفى (السرجان)، وهو أيضاً جار لنا في الحيّ. نتوسّل إليه أن يُعيد لنا الطابة، فيصرخ بنا مهدِّداً «إذا كرّرتم العمل لن أُعيدها»، بعد أن يعطّلها بتنفيس الهواء، أي أنّه يسحب الرسالة.

يُتابع الرفيق إلياس القول: «كنّا أحياناً نتلقّى من عمّو مصطفى، أو من يحلّ محلّه، ضربة عصا أو كفّاً، تستّراً أو إخفاءً لدور هذه الطابة».

زاد الضغط على الفرنسيّين ومن والاهم من المدنيّين خارج الثكنة والعسكريّين المُنضمّين إلى الثورة داخل الثكنة، وتمّت السيطرة على الثكنة واحتُجِز الفرنسيّون إلى أن تمّ ترحيلهم. وكانت حصيلة عمل القوميّين استشهاد الرفيق مصطفى، ومغادرة عيسى إلى حمص وحنّا إلى لبنان.

كانت مجموعة من شباب دير الزور في المُعتقلات الفرنسيّة، وخصوصاً الميّة وميّة في لبنان، وبعد عودتهم تعرّفنا إلى الرفيقَين راتب ومهيب عزاوي اللّذين خرجا من المعتقل، وكان راتب قد أُصيب بمرض السلّ. تعرّفنا إليه في الخمسينيات، إلّا أنّه لم ينتظم في الحزب ولم تطل أيّامه. أمّا مهيب الّذي كان يدرس في بيروت، فقد انتقل للإقامة والعمل كمسيّر معاملات قانونيّة في مدينة الرقة، أمّا أخوهم الثالث الرفيق الشاعر والمسرحيّ عبد العزيز، فقد توقّف عن الالتزام بعد أحداث المالكي.

هذا ما توصّلنا إليه عبر الرفيق إلياس عن دور الحزب في دير الزور في العهد الفرنسيّ، الّذي امتدّ تأثيره إلى ما بعد. وحسب استنتاجي، فإنّ يعقوب فطوط القوميّ الاجتماعي دونما انتماء، كان مقرّاً للمراسلة مع المركز. لأنّ الرفيق الكاتب الأديب الصحافي جورج مصروعة كان يرسل كلّ جريدة أو مجلّة إلى صالون يعقوب فطوط، ممّا يدلّ على أنّ الرفقاء عيسى وحنّا كانا يتواصلان مع المركز عبر هذا العنوان.

وحتّى بعد مغادرة الرفيقَين، استمرّ الرفيق جورج مصروعة بإرسال الصحف إلى يعقوب، ومنه تعرّفت إلى الرفيق جورج وتواصلت معه فأصبحت بيننا مراسلات ونشر كلّ إنتاجي الفكريّ تلك الأيّام في الزوبعة والنهضة والأجيال.

جماهير الأحزاب كافّة

لم يكن للأحزاب التقليدية جمهورها المُنظّم، الذي اقتصر على أموال الأغنياء منهم، وعلى كتلة أبناء الريف المُتحالفة في فترة الانتخابات فقط... الحزب الشيوعيّ الأممي، يعتمد، كما ذكرنا، على دعوة الفقراء لتأييده، لأنّه سيرفع من شأنهم ويُحسّن أوضاعهم المعيشيّة، معتمداً على دولة الاتحاد السوفياتي الّتي تقدّم له كلّ أسباب الدعم الماديّ والمعنويّ، وبالتالي فقد شكّل جمهوراً واسعاً.

وكان الإخوان المسلمون ومنهجهم الدين المحمّدي بمذهبه السنّي برؤى سياسيّة، ولم يكن شرطاً أن يتنظم الجمهور التابع لهم في صفوف تنظيمهم، لذلك ورغم العدد، بقي التنظيم ضعيف الفعاليّة، وبقي نشاطه الفكريّ مُنحصراً في الخطابات الدينيّة، كما استفاد من انتشار الأمّية فعرف كيف يستغلّها لمصلحته.

والبعث، كان تابعاً لعشيرة مؤسّسه الأوّل في دير الزور جلال السيّد الخرشان ومحالفيها، وبقي محصوراً في هذا النطاق ردحاً من الزمن إلى أن انجذب إليه بعض من الطلبة بتأثير من بعض المُدرّسين القادمين إلى المدينة من خارجها، وكانت جريدته «البعث» أسبوعيّة، تنشر ما يتعلّق بالعرب وتاريخهم.

أمّا القوميّون الاجتماعيّون، فقد تميّزوا باحتواء مُجمل أفراد المجتمع، من مختلف العشائر وطبقات المجتمع، من أعلى درجات الثقافة إلى العامل الحمّال والبائع المتجوّل والصانع، وكلّ هؤلاء لا بُدّ لهم أن يقرؤوا الفكر ويستوعبوه؛ لذا فالأُمّيّ يصبح خلال شهر من انضمامه إلى صفوف الحزب قارئاً، وثمّة من أصبح من هؤلاء أديباً شاعراً أو قاصّاً.

تميّز القوميّون الاجتماعيّون بسلوكيّة عالية وانضباط مع قوّة الإرادة، الأمر الّذي كان يحسب له الآخرون ألف حساب. ومع أنّ بعض الرفقاء كان دارجاً

عنهم أنّهم من أصحاب المشاكل، إلّا أنّ انتماءهم غيّر سلوكهم هذا، لكنّه أبقى على قوّتهم في حال تعرّض حزبهم أو تعرّضت كرامتهم للمسّ.

في السلوك العام، كانت دير الزور مدينة تنتشر فيها الحانات، وأغلب تواجد هذه الحانات كان في محيط مكتب الحزب، وكانت المشاجرات والمشاكل دائمة في هذه الأماكن، حتّى أنّ إحدى هذه الحانات كان يُطلَق عليها «وادي الموت». من هنا، اتّخذت المنفّذيّة قراراً أَلزم القوميّين الاجتماعيّين بعدم ارتياد هذه الأماكن، وهذا الأمر كان معروفاً لدى الآخرين، لذلك إذا صادف أن دخل أحد القوميّين إلى هذه الأماكن لسبب ما، سيكون الخبر قد انتشر بين الآخرين استغراباً أو استنكاراً وانتقاداً.

المواقف السياسيّة والتحالفات

إنّ الأجواء التي تلت استشهاد سعاده، ودخول القوميّين الاجتماعيّين، الذي كان مرحّباً به، إلى دمشق والمحافظات الأخرى، والتفاف الجماهير حول الحزب والإقبال على الانتماء إليه، مع تميّزه الفكري والسلوكي، فتح أعين الآخرين من الأحزاب والجماعات، خصوصاً بعد إعدام حسني الزعيم انتقاماً لدم سعاده، وتولّي أديب الشيشكلي الحكم، وعلى الرّغم من عدم مشاركة الحزب القومي إلّا أنّ القوميّين الاجتماعيّين بقوا يتحمّلون وزر حكمه!

وكان وضع الأحزاب في هذه الفترة غير متوازن، فالخراب الذي اعترى البلاد على المستوى الوطنيّ الشعبيّ، وعلى الرغمّ من أنّ هذه الأحزاب من منبع واحد، إلّا أنّها كانت مشغولة بالخصومة والمنافسة، ولا يوجد أيّ نوع من أنواع التواصل بينها.

كان وراء الحزب الشيوعيّ نشاط وقوّة الاتحاد السوفياتي، بالإضافة إلى الحرب الفكريّة بيننا كقوميّين وبينهم، ما جعلهم يُلصقون بنا تهمة الارتباط بالغرب وبالأمريكيّين على وجه التحديد، خصوصاً أنّ «موضة» الأحلاف الغربيّة كانت ناشطة في عالمنا العربيّ في تلك الأيّام. وقد حدثت صدامات مع الشيوعيّين،

ولكن ليس في مدينتنا دير الزور، لأنّهم في هذه المدينة، وعلى الرغم من عددهم، إلّا أنّ سندهم العشائري والاجتماعي كان ضعيفاً، كذلك كان الوضع بالنسبة إلى الإخوان المسلمين، الذين كانوا يتخاصمون معهم فكريّاً بسبب توجّههم الدينيّ، ويتخاصمون معنا لقولنا بفصل الدين عن الدولة. يبقى حزب البعث، خصوصاً بعد توحّده مع الاشتراكي العربي، حيث أصبحت القيادة الفاعلة بيد أكرم الحوراني الطامح إلى تسلّم السلطة، خلافاً للبعث الذي كانت غالبيّة شبابه ومنتسبيه تميل إلى الثقافة والفكر، غير أنّ تيّار الحوراني أصبح غالباً وضمّ مجموعات غير منضبطة قد تندفع لأفعال مخالفة، وكانت ثمّة مجموعة دُعيَت «حارة الكجلان»، يبدو أنّها انضمّت إلى الحزب حين افتتح مكتبه في ذات الحارة. وهكذا أصبحنا جبهة منفردة في مواجهة كتلة جامعها الوحيد هو معاداتنا، ليس فكريّاً فقط بل قوّة شعبيّة وقوّة في الأفراد أيضاً.

أكرم الحوراني بين القوميّ الاجتماعيّ والشباب والبعث الاشتراكيّ

ذكرنا أنّ البعث تأسّس على منهج فكريّ التفّ حوله مثقّفون وطلّاب، أسّسه ميشال عفلق وصلاح البيطار وجلال السيّد الّذي كان يُدير النادي الثقافي في دير الزور فحوّله إلى حزب البعث، وكان ميشال وصلاح من المدرّسين.

أمّا أكرم الحوراني فقد حوّل حزب الشباب (سورية) إلى العربي الاشتراكي الّذي انتشر في حماة وريفها، وكان له أنصار في الجيش، وقد عادى كبار الملّاكين والإقطاعيّين، إذ إنّ والده الّذي عمل نسّاجاً لم يستطع الانضمام إلى تجمّع الملّاكين الكبار. كما أنّ أكرم الّذي درس الحقوق وأصبح مُحامياً وهو السوريّ القوميّ الاجتماعيّ ومنفّذ حماة ومنطقتها، تعرّض لاعتداء من رجالات الإقطاعيّين، ما زاد من رغبته بمواجهة الأغنياء والملّاكين، مُضافاً إلى هذا كرهه للحزب القوميّ الّذي رفض دعمه في تأسيس حزب الشباب وفق المفاهيم القوميّة الاجتماعيّة على أن يُلحقه فيما بعد بالحزب الأصل القوميّ الاجتماعيّ.

نشط حزب البعث في دمشق ودير الزور بدايةً بين الطلبة والمتعلّمين

والمثقّفين. وإذ استغلّ أكرم موجة تغلغل الاتّحاد السوفياتي وانتشار اليسار ومفهوم الاشتراكيّة، حاور قيادة البعث في ضمّ الحزبَين بِاسم البعث العربيّ الاشتراكيّ. هذا اللقاء بين الحزبَين لم يحصل على موافقة جلال السيّد الضمنيّة، فبقيا على خلاف.

استطاع أكرم أن يقود حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ وفق رغباته، مستغلّاً قوّته في الجيش والتفاف الطامحين للسلطة حوله. من هنا كان استبعاد جلال السيّد من قيادة الحزب في دير الزور، فكان أن حلّ الفرع وقيادته وأعاد المجموعة المؤتمرة بتوجيهاته وقيادته، وأوعز للمحاميَين عبد الفتاح الزلط من حلب وحسن السرّاج من دير الزور، وكلاهما من حزب العربيّ الاشتراكيّ، بمتابعة الدعوى دفاعاً عن المتّهم بقتل الرفيق محمد أمين جمعة.

خلال الوحدة الّتي لم تدم أكثر من ثلاث سنوات ونصف مع مصر، لم يكن لأكرم أيّة سلطة فأيّد الانفصال، وكان انفصالاً مع البعث أيضاً، فعاد كلّ حزب إلى أصله ولكنّ البعث وصل إلى الحكم وخسر الاشتراكي قوّته وجمهوره وحُرم أكرم الحوراني من الإقامة في الشام.

جاءت الأيّام بعد ذلك بأحداث وتغييرات، أعادت نوعاً من التعامل وبعض العلاقات بَين البعث والسوريّ القوميّ الاجتماعيّ.

فكرة حزب الشباب

لا شكّ أنّه لم يتسنَّ للكثيرين معرفة حزب الشباب ومبادئه، لذا نضع هنا بعض مفاهيمه كما نشرتها مجلّة «اليقظة» لصاحبها أكرم الحوراني في عددها 278 تاريخ 14 كانون الثاني 1948، علماً أنّ الحزب كان لعمّ أكرم المدعو عثمان الحوراني، فاستولى عليه أكرم ووضع له المبادئ التالية:

– الأهداف السياسيّة: الشباب هيئة قوميّة سياسيّة، غايته تحرير سورية الطبيعيّة والأقطار العربيّة وضمّها في دولة واحدة.

(المبدأ الأوّل في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ: "سورية للسوريّين

والسوريّون أمّة تامّة". والمبدأ الخامس يحدّد الوطن السوريّ بحدوده الطبيعيّة من طوروس وزغروس إلى سيناء والعقبة وقوس الصحراء العربيّة).

– في الإصلاح الاجتماعيّ:

1 – مصلحة سورية فوق كلّ مصلحة.

وهذا هو النصّ الحرفيّ للمبدأ الثامن من مبادئ الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ.

2 – إزالة مختلف الحواجز بين الطوائف الدينيّة والمذهبيّة والعنصريّة.

تقول مبادئ الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ: «فصل الدين عن الدولة ومنع رجال الدين من التدخّل في السياسة والقضاء القوميّين»، وتقول بـ "إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب".

3 – الأمّة هيئة اجتماعيّة واحدة.

في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ «الأمة مجتمع واحد»، وهو المبدأ السادس.

– في الأهداف الاقتصاديّة: إنصاف العمل وحفظ حقوق المُنتجين من الفلّاحين والعاملين.

يُقابل ذلك في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، إلغاء الإقطاع وإنصاف العمل في المبدأ الإصلاحيّ الرابع.

إنّ سعاده قد دعم أكرم معنويّاً وتأمّل منه خيراً، غير أنّه لم يوافق على تجزئة الحزب إلى فروع بل كان يُصرّ على مركزيّة الحزب الواحد.

سياسة الانتخابات

على إثر استشهاد أنطون سعاده وانتشار الحزب في الشام، شارك القوميّون بالانتخابات للمجلس التأسيسي ففاز عصام المحايري بعضويّة المجلس على الرغم من تحالف القوى والأحزاب الأخرى ضدّه.

اختلفت التجربة في دير الزور من حيث القوى الاجتماعيّة والسياسيّة،

ففي العام 1952، وبعد عدّة انقلابات، تسلّم أديب الشيشكلي رئاسة الدولة، لكنّ الحزب القوميّ لم يشترك معه في السلطة على الرغم من أنّ الشيشكلي كان عضواً فيه. لم يظهر إلى العلن ما هو واضح من هذا الأمر حتى الآن، كما أنّه لم يُكتَب في تاريخ الحزب... تُرى هل أصاب الحزب أم أخطأ؟

انفرد الشيشكلي بالسلطة والتفّت حوله مجموعة من الطامعين والانتهازيّين، فألغى الأحزاب وفرض جمع الصحف. كذلك شكّل حزباً أسماه «منظّمة التحرير العربي» وألزَمَ الموظّفين بالانتساب إليه، وأجرى انتخاباتٍ عامّة وفق هذا البرنامج. وعلى الرّغم من أنّ الحزب القوميّ كان ممنوعاً كما الأحزاب الأخرى بشكلٍ رسميّ، غير أنّ نشاطه كان شبه علنيّ لا يعترض عليه أحد. فقرّر المشاركة في انتخابات الشيشكلي العامّة، وكان مرشّحه الرفيق حسن عيّاش.

فازت قائمة «منظّمة التحرير العربي» ومؤيّدو السّلطة بشكل بديهيّ وقاطعتنا بقيّة الأحزاب. ففاز الرفيق زكي نظام الدين عن الجزيرة بالتزكية، أمّا باقي مرشّحي الحزب فقد أُسقِطوا.

أكسبنا هذا الموقف السياسيّ، إلى جانب الخلافات والمواقف السابقة، مزيداً من العداء والصدامات مع تلك الأحزاب. وقد اكتملت هذه الصورة عندما تجمّعت هذه الأحزاب والقوى السياسيّة مع مجموعة من العسكريّين للانقلاب على حكم الشيشكلي، ورفضت أن يكون الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ شريكاً في هذا الانقلاب، لاعتبارهم أنّه مؤيّد للشيشكلي – في الواقع كان هذا صحيح جزئيّاً – على الرغم من أنّ الرفيق زكي نظام الدين قد ساهم بإقناع الشيشكلي بالتخلّي عن الحكم ومغادرة البلد حقناً للدماء، لأنّ الصِدام بين القِوى المنقلبة والقوى المؤيّدة كان مؤهّلاً لاشتعال حربٍ أهليّة. هذا الموقف لم يُؤخذ بالحسبان!

في ذلك الوقت كان غسان جديد، القوميّ الاجتماعيّ، رئيساً لمدرسة الضبّاط واتّخذ موقفاً إيجابيّاً من الانقلاب، منطلقاً من مهمّته المرتبطة باستراتيجيّة المنطقة، فاستنفر كلّ قوّاته للزحف إلى دمشق.

وقد ورد في مذكّرات الأمينة الأولى زوجة أنطون سعاده جولييت المير

سعاده، بعض ما يتعلّق بوضع أديب الشيشكلي الحزبيّ وبعده ما مفاده «أمّا الحزب فكان يحذّر أديب بطريقةٍ أو بأخرى من خطورة نتائج هذه التصرّفات (ص 144)، ورغم تشكيله حزباً آخر «كان المسؤولون في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ ينقلون ملاحظاتهم وانتقاداتهم إلى أخيه صلاح (الرفيق القوميّ الّذي بقي في صفوف الحزب) عندما تسنح الظروف».

تضيف الأمينة الأولى: «في آخر مرّة زارني صلاح، قبل وقوع الانقلاب على أديب، قلت له إنّ الرئيس سيعلم ذات يوم من هم أصدقاؤه ومن هم أعداؤه بالفعل، ولكن قد يكون ذلك متأخّراً، وهكذا كان» (ص 152).

بعد أن تمّ الانقلاب على الشيشكلي، كانت الدعوة لانتخابات جديدة (1953)، وكان إصرار قيادة الحزب على المشاركة في هذه الانتخابات، وكان مرشّح دير الزور أيضاً الرفيق حسن عيّاش.

كانت تحكم الجو الانتخابي في المنطقة العلاقات الماليّة والعشائريّة القبليّة، وكان من المرشّحين شيوخ العشائر وأقطاب المال من أمثال محمد العايش (والد الرّفيقَين عبد اللطيف ويحيى، وابن عم الرفيق حسن)، وعبد الرحمن الهنيدي الذي كان من أقطاب المال في حلب وعضواً في حزب الشعب.

في هذا الجو، ومع افتقاد الإمكانات البشريّة والماليّة لتغطية هذه الانتخابات، كانت هيئة المنفّذيّة معارضة للترشّح، بينما كان المركز والرفيق حسن داعمين له، بلا مال ولا رجال. ظنّ الرفيق حسن أنّ علاقاته مع بعض أفراد العشائر، الّتي اكتسبها عبر والده بشخصيّته الوطنيّة وملكيّته الزراعيّة، ومكانة الحزب في دير الزور، كافية لخوض المعركة الانتخابية، مع فكرة كسب الدعاية للحزب حتى وإن لم ينجح المرشّح.

بدأت الانتخابات بتشكيل قائمة العشائر ومقاطعة من الأحزاب، وبقي المرشّح حسن عيّاش المنافِس الوحيد، والّذي لم تُعطِه تلك القائمة أيّة أهميّة.

بدأت حركة الحزب بتنظيم دعايتها وتوزيع بياناتها ونشراتها، خصوصاً في المدينة، إلّا أنّ المنطقة واسعة مئات الكيلومترات من كلّ اتجاه... مدن وقرى

تحتاج إلى تغطية بالدعاية والمال. أمّا الآليات والسيارات، وعلى الرغم من قلّتها، فقد حجزتها قائمة العشائر، عدا عن سيّارات المرشّحين الخاصّة.

وإذ قامت الحسكة بإرسال سيّارة وحيدة مع بعض الرّفقاء للمساعدة، غير أنّ هذه المساعدة لم تكن شيئاً بالمقارنة مع قوّة وإمكانات قائمة العشائر المدعومة من قِبل السلطات الرسميّة.

في المرحلة الأولى من هذه المعركة، كان عدم الاهتمام بمرشّح الحزب ظاهراً عند قائمة مرشّحي العشائر، إلّا أنّ حركة الأصوات الانتخابيّة بدأت تظهر جديّاً لصالح مرشّح الحزب، إذ كانت بعض الفئات من المدينة غير راضية عن تلك القائمة، وذلك بسبب استبعاد بعض الشخصيّات، فاتخذت قراراً يقضي بإعطاء الأصوات لمرشّح الحزب، الأمر الذي أزعج القائمة وحرّكها تجاهه، فطلبت منه الانسحاب، عارضة عليه بعض المال ومستغلّة قرابته مع محمد العايش.

لم تكتمل الانتخابات في اليوم الأوّل، ما استدعى تمديدها إلى نهاية اليوم التالي. هنا، وجّه السيّد محمد الفتيّح، وهو من أعضاء الحزب الوطني وعضو سابق في مجلس المبعوثان ونائب عن دير الزور، وهو كذلك من شخصيّاتها العشائريّة ومعارض للقائمة، وجّه أنصاره لانتخاب حسن عيّاش بقوله إنّ الأحزاب المقاطِعة كانت على خطأ، وموقف الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ هو الصحيح، لذلك يتوجّب على مناصريه منحه أصواتهم، وهذا ما أزعج القائمة. هنا ننقل بعض ما كتبه الرفيق حسن عيّاش في هذا الصدد، إذ قال: «عادت المساومات مع مرشّح الحزب، ولكن ليس عن طريق أقاربه، بل عن طريق السلطة». ويقول إنّه بينما كان سائراً على قدمَيه لتفقّد أحد المراكز، وإذ بسيّارة قائد الشرطة تقف بجانبه، يقودها هو بنفسه، ولم يكن معه أحد، وطلب منه أن يوصله حيث يريد، فاعتذر (الرفيق حسن)، ولكنّه ألحّ وقال إنّ له شغلاً معه، فركب إلى جانبه، فأخذ يلمّح بعض التلميحات حول فشل الحزب بالمعركة وتكبّده الخسائر الماديّة، وجلب نقمة من الفئات الأخرى المقاطِعة للانتخابات،

ومن الأفضل الانسحاب من المعركة... ثم يتابع على لسان قائد الشرطة: «إنّك تستطيع أن تجد الأسباب الكثيرة لتبرير انسحابك، وإنّني، إذا وافقت، مستعدّ لأن أدفع لك مبلغ خمسة وسبعين ألف ليرة سوريّة، دون أن يعلم بذلك أحد. فطلبتُ منه إيقاف السيارة ونزلتُ منها، وأعلمتُ المنفّذية بذلك».

تمّت الانتخابات، وأُجري الفرز بتدخّل السلطة، وربح الحزب آنذاك موقفاً وزيادة في خصومة الآخرين من الجهات السياسية.

التحرّشات والصّدامات

تحدّثنا عن نموّ قوّة القوميّين الاجتماعيّين في دير الزور، المدينة العشائريّة القبليّة ذات الاتجاه العروبيّ بمفهوم «نحن عرب»، ويقود البعث هذا الاتجاه، مدعوماً بالعشيرة التي تنتمي إليها غالبيّة الأعضاء (الخرشان وحلفائهم، بما فيهم عشيرة الشيوخ التي تُحسب عائلتنا عليها». هذا النموّ أزعج الأحزاب والتيارات الأخرى، والّذين كانت غالبيّة جمهورهم من الفئات العشائريّة الأقل ترابطاً، اتّخذوا موقف خصومة ومعاداة للحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، إلا أنّهم لم يحاولوا الصِّدام أو التحرّش به.

يقول الرفيق حسن عيّاش: «أصدر بعام 1953 – 1954، كلّ من الحزب الشيوعي وحزب البعث، أمراً إلى أعضائهما بعدم الدخول في نقاشات فكريّة مع أعضاء الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ». وكان البعثيّون يتحاشون التنازع الفكري مع القوميين، وعلى هذه الحال بقي الجوّ في حالة من التوتّر وخشية الصِّدام. وعن هذا يذكر الرفيق حسن عيّاش أنّ محافظ دير الزور جمع مسؤولي الطرفين (القومي والبعث)، وطلب إليهم إيجاد حلّ لهذه التصادمات. فاتّفق الطرفان على أنّ أيّ عضو من أعضاء الحزبين يتعرّض إلى أيّ نوع من الإهانة أو التحرّش، عليه أن يراجع مسؤوليه، وهم يتّصلون بمسؤولي الفريق الآخر فيقومون بتسوية الأمر».

في هذا الجوّ من التوتر والصِّدام، تجمّعت القوى السياسيّة وبعض العسكريّين وقاموا بانقلابهم على حكم الشيشكلي في العام 1954، وكنّا ذكرنا أنّ هذه القوى لم تقبل مشاركة القوميّين معها في الانقلاب، على اعتبار أنّ القوميين محسوبون على حكم الشيشكلي وعهده، ما زاد في حراجة موقفنا السياسي، خصوصاً بعد أن أصدر الحزب بياناً في سياسته فُسِّر على أنّه تقارب مع الأمريكيين، بينما الجوّ العام كان يتجه أكثر إلى الاتحاد السوفياتي.

الصّدام والاعتداء على المكتب

كانت ثانويّة الفرات هي المدرسة الوحيدة التي تحوي عنصر الشباب في البلد، والذين يمثّلون الأحزاب (البعث، الشيوعي، الإخوان، القومي)، كانت هذه المدرسة هي المطبخ للقيام بالتظاهرات الوطنيّة والمطلبيّة المعيشيّة.

كان يلتقي في هذا المطبخ ممثّلو الأحزاب من الطلاب، وكانوا يتدارسون اقتراح القيام بالتظاهر، فإن حاز الاقتراح على الموافقة شارك الجميع، وإلّا تُلغى الفكرة. أمّا إذا وافقت الأكثريّة، فللجهة المخالفة الحقّ بعدم المشاركة، يُضاف إلى ذلك تحديد نوع اللافتات والشعارات.

في 21 كانون الثاني من العام 1955، تقرّر إجراء مظاهرة امتنع القوميّون عن المشاركة فيها. انطلقت هذه المظاهرة من أقصى الغرب حيث موقع الثانويّة، سائرة باتجاه الشرق إلى مركز المدينة حيث مركز قيادة الجيش، قيادة الشرطة والمحافظ، ويقع مكتب الحزب على طريق هذه المظاهرة. عند وصول المتظاهرين إلى أمام مكتب الحزب القومي، توقفوا ورفع البعثيّون شعارات معادية للحزب.

لم يتواجد وقتها في مكتب الحزب سوى عدد قليل من الرفقاء، كان من بينهم الرفيق عبد الرزاق بعّاج مدير المديريّة، أحمد مضحي المدرّب، والرفيقَين عصام خوري (والده القسّ جميل، ممثّل الطائفة الإنجيليّة التابعة للمشفى الأميركي) وجبرا توما ماروكي (أبو نصر). فُتح باب المكتب وصرخ المدرّب «قوميّون»، واتجّه المتواجدون نحو التظاهرة، وإذ بالجمع ينفرط ويذهب كل واحد باتجاه،

والتحق الرفيق عبد الله طه بالرفقاء في المكتب عند رؤيته الحدث من محلّه التجاري في الجهة المقابلة لمكتب الحزب.

عاد البعثيّون وتجمّعوا بعد أن قام أحد قياديّيهم، الّذي كان يرافق التظاهرة، بإطلاق العيارات الناريّة من مسدس حربيّ كان بحوزته. هجم البعثيّون على المكتب الذي دخله الرفقاء وتمترسوا فيه محاولين فتحه، فلم يستطيعوا. وهنا حضرت قوّة عسكريّة من قيادة الجيش القريبة من المكتب وسيطرت على الوضع، لكنّ السلطات لم تقم بأيّ إجراء ضدّهم، بمن فيهم مُطلق النار (قاسم حداوي).

أُصيب بعض الرّفقاء بجروح، كان من أشدّها إصابة الرفيق المدير عبد الرزاق بعّاج. يقول الرفيق حسن عيّاش (المنفّذ العام): «اجتمعت هيئة المنفّذيّة وقرّرت الردّ بهجوم على مقرّ البعث (الواقع إلى أقصى الشرق بالنسبة لمكتب الحزب ولامتداد الشارع الرئيسي للبلد) وإحراقه، وبقي تنفيذ الخطة موقوفاً على موافقة رئاسة الحزب».

يُتابع الرفيق عيّاش: «فاتّصل المنفّذ العام بالرئيس، الأمين جورج عبد المسيح، الّذي منعه من القيام بأيّة حركة، وحذّره بقوله إنّ هناك مؤامرة تُحاك حول الحزب، وعلينا ألّا نُعطي الفرصة لخصومنا».

بقي التوتر والحذر هما المُسيطران، وقامت هيئة المنفّذية بنقل وثائق وسجلات الحزب إلى أماكن من المفترض أنّها آمنة.

اغتيال الرفيق محمد أمين جمعة

في ليل 27 شباط من العام 1955، حيث يجتمع القوميّون كالعادة في مكتب الحزب، وإذ بهاتف من مجهول يقول إنّ ناظر الماليّة آنذاك، الفريق نديم سليمان، قد يتعرّض لاعتداء مبيّت له (الرفيق نديم يعمل في تجارة الفواكه مع والده والأخوة، ومحلّهم يقع في منتصف الشارع الذي يمتدّ من الغرب إلى الشرق حيث مكتب البعث).

ومن دون التأكّد من المكالمة، وباندفاع، يركب الرفيقان محمد أمين جمعة

وعبد الحميد منديل درّاجة هوائيّة موجودة في المكتب وتعود لأحد الرّفقاء، ويتّجهان إلى مكان الرفيق نديم، الذي يقع بعد أسواق مظلمة لأنّ محالّها لا تفتح ليلاً، فتظهر لهم مجموعة من البعثيّين وتهاجمهم بالطعنات، فأوقعتهما أرضاً مضرَّجَين بدمائهما..

نُقل الرفيقان إلى المشفى، وكان الرفيق محمد أمين حيّاً، فاستجوبته شرطة المشفى، وكان الطبيب الوحيد المتواجد هو عبد الخالق نقشبندي، قياديّ بعثيّ، ووزير فيما بعد.

تحرّكت السلطات لجعل الحادثة محض مشاجرة أدّت إلى وفاة، كما أُطلِقَت الإشاعات التي قالت إنّ الرفيق محمد أمين يحمل مسدّساً حربيّاً (بكرة)، إنّما في الواقع لم يكن لهذا السلاح أيّ وجود حتى في ضبط الشرطة، مع ملاحظة غياب قيادة الحزب عن التحقيق والإسعاف، بقي الرفيق جمعة ينزف إلى أن قضى.. وكان أحد الممرّضين ينقل بعض الكلمات التي نطق بها وهو في النَّزع الأخير، وكانت آخر كلماته «خذي يا سورية، دمي فداك».

أسفر تدخّل السّلطات وغياب دور قيادتنا في تلك اللحظات، والّتي بدت وكأنّها أُصيبت بصدمة شلّت فكرها وحركتها، أن تولّى الدّفاع عن القاتل عدد من البعثيّين، أبرزهم من كان يأتي من حلب المحامي عبد الفتاح الزلط، وبترتيب من قيادة المجموعة المهاجِمة التي كان من بينها عناصر من أبناء العوائل المحسوبة على العشائر المؤيّدة للبعث، ومنها من هو من عائلة ضعيفة فقيرة تحمّل الجرم منفرداً على أمل تخليصه ومساعدته، يُسمّى دموس البطّاح (ليس من عائلة الرفيق خضر البطاح الحصني)، وكان الرفيق صالح عبود وكيلاً للادّعاء.

على إثر الحدث، حصل السيّد جلال السيّد على تفويض من قيادة البعث، وأغلق مكتب حزبه وحلّ قيادته، وذلك لأنّ جلال السيّد كان يعرف البلد وتكوينه العشائريّ، وأنّ الرفيق محمد أمين من عشيرة لها وزنها بدأت تتحرّك لتأخذ بالثأر، والرفيق عبد الحميد من نفس عشيرة جلال السيّد، إلّا أنّ قيادة الفرع التي كانت

وراء الحدث، المدعومة من السلطات الحكوميّة، انقلبت على السيّد وأعادت فتح المكتب، الأمر الذي جعل السيّد ينكفئ في بيته.

وقامت قيادة الجيش بوضع حراسة على مكاتب الحزبَين، وكان رئيس المفرزة الّذي يتولّى حراسة مكتبنا عند كلّ حادثة رقيب اسمه عفيف جوهري، عُرِف بعد تسريحه أنّه كان قومياً اجتماعيّاً، وكان صاحب محلّ في أحد مناطق شارع الحمراء في بيروت.

تشييع الشهيد

ملأ الغضب النفوس، وشملت فكرة الثأر بعض أفراد عشيرة الرفيق الشهيد، وشعر القوميّون بأنّهم غُدروا، وأنّ ما حدث نال من مكانتهم وكرامتهم.

لُفّ النّعش بعلم الزوبعة، وقرّر القوميّون أن تكون مسيرة الجنازة عبر الشارع الرئيسي من مكتب الحزب غرباً، مروراً بالدوائر الرسميّة ومركز البلد حتى مكتب البعث في أقصى الشرق.

وإذ حاولت شخصيات رسميّة وغير رسميّة منع هذه المسيرة، لما قد تخلقه من شجارات لا تقتصر على الحزبَين، تدخّل أقارب الشهيد وعائلته فسارت الجنازة بموكب يحيط به القوميّون وترافقه أمواج من الأهالي، مقرّبين وغير مقرَّبين، إلى أن وصل الموكب إلى المقبرة الّتي تواجدت فيها ثُلّة من الجيش، فأدّت التحيّة للجنازة، وبعد مواراة الجثمان الثرى أُلقيَت بعض الكلمات، ووُضِعت أكاليل الزهور بِاسم رئيس الحزب والمنفّذيّة، وكانت كُتِبت عبارة «نعزّي آل الفقيد ونعتزّ بالشهيد» على إكليل الرئاسة. وأُلقيَت بعض الكلمات التي نشرتها جريدة «البناء»، وأهمّها الكلمة التي ألقاها الأمين عصام المحايري في دمشق في الأول من آذار، معلناً أن الغدر هو الذي أودى بحياة رفيق لنا وغدر آخر على القوميين في منطقة حارم جاء فيها «لم نُهادن فئة نؤمن أنّها تضلّل الشعب، أيّاً كانت، لأنّ في نفوسنا الثقة والإيمان بأمّتنا، ما هو زادنا في المعركة والصراع، وما نوقن معه بالانتصار الذي لا مفرّ منه». «في هذا الصراع الواعي، نسير بجراحنا لأنّها جراح أعزّاء لا جراح أذلّاء، مرحّبين بالسجن والاستشهاد».

وكان الرفيق محمد خلف الحمود قد كتب واصفاً «سارت الجنازة بخُطىً وئيدة في طريقها إلى المقبرة، اكتظّت الشوارع الشاغرة بالمخلوقات، وكان الناس ينظرون بذهول إلى ذلك التابوت، بل يحدّقون تحديقاً دعاني أهمس لنفسي وأقول: يا ترى.. ألم يمت بطلٌ قبل هذا الشهيد؟ ثمّ أعدت الكرّة وقلت: لا.. إنّهم لم يشاهدوا جنازة مثل هذه الجنازة الرائعة».

التأبين

في أوائل نيسان، وبعد أن مرّ أربعون يوماً على استشهاد الرفيق محمد أمين، حضر الأمين كامل حسّان إلى دير الزور، وكان في مسؤوليّة وكيل لعميد الداخليّة، حاملاً مرسوم تسمية الرفيق محمد أمين جمعة شهيداً للحزب.

وبتاريخ 1955/04/15 تمّت الدّعوة إلى حفل تأبين الشهيد ونُشر في البناء، وكان الترتيب أن يكون ذلك على مرحلتين؛ الأولى نهاراً، حيث يتواجد القوميّون الاجتماعيّون والمناصرون في مكتب الحزب بصفوفٍ نظاميّة مع أعلام الزوبعة، ويتّجهون إلى الضريح الّذي تمّ بناؤه من الرخام الأبيض مزيّناً بالزوبعة الحمراء، وكُتِبَ عليه من شعر الأمين محمد يوسف حمود «لا تلوموه إن مضى تاركاً خلفه دمه... فالطريق الذي ارتضى سار فيه وتمّمه». وعند الوصول إلى ضريح الشهيد، بدأ حفل التأبين بأن تقدّم الرفيق بهيج أديب عريفاً للحفل، منوّهاً بمزايا الشهيد، تلاه الأمين كامل مرتجلاً كلمة عن قيمة الشهادة. وُضِعت الأكاليل، وعاد الموكب إلى مكتب الحزب.

والمرحلة الثانية، وفقاً للدعوة الجماهيريّة، قضت بأن يكون الاحتفال العامّ مساءً في مقرّ الحزب، حيث توافد الجمهور من كافة الأعمار والاتجاهات، وغصّت صالات المكتب وغرفه بالوافدين، وبدأ الحفل بكلمة من العريف الرفيق بهيج أديب، مقدّماً المندوب المركزي الأمين كامل حسّان الّذي بدأ كلمته بأنّ «الرفيق محمد أمين جمعة لم يمت، لم يزل، ولا يزول. إنّه حيّ فينا في نفس كل قوميّ اجتماعيّ. إنّه بطل، شهيد، والشهيد البطل لا يموت». وتابع «شهداؤنا،

وإن سقطوا على أيدٍ غادرة من داخليّين، فإنّهم لا يجدّفون ولا يشتمون هذه الأيادي، لأنّ نفوس القوميّين الاجتماعيّين لا تعرف الحقد على أيّ سوريّ من أبناء هذا الوطن».

المالكي قتيلاً والقوميّون سُجناء

بينما كان القوميّون الاجتماعيّون في حالة من الأسى والحزن على رفيقهم الشهيد محمد أمين جمعة، وكان ما أُعلِن من على منابر دمشق (الأمين المحايري)، ودير الزور (الأمين حسّان)، أنّنا جماعة لا تؤمن بالثأر الشخصيّ، وتعتبر ذلك من مخلّفات القبليّة والعشائريّة التي جاء الحزب القوميّ ليعمل على تغييرها، وإذ برصاصات تنطلق في الملعب البلدي بدمشق بتاريخ الجمعة 22 نيسان 1955، ويُعلن شوكت شقير، رئيس الأركان العامّة، من على منبر قاعة نادي ضباط دمشق، فوراً، أنّ الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ قد أقدم على قتل العقيد عدنان المالكي!

فسّرت جماهير دير الزور هذا الخبر على أنّه ردّ على اغتيال الرفيق محمد أمين، محتسبين أنّ القوميّين لا يتنازلون عن دمهم ويختارون الهدف.

وحين وضع الجيش يده على مكتب الحزب وأغلقه بعد تفتيش محتوياته ومصادرتها، انقلبت الأمور إلى الضدّ، فاعتُقل أعضاء هيئة المنفّذيّة ومنهم حسن عيّاش، صالح عبود، نديم سليمان ووالدي جلال الدين البعّاج بديلاً عنّي كناظر إذاعة، إضافة إلى أنّ بيته يُعتَبَر أحد مكاتب الحزب، وثلاثة من أولاده أعضاء ناشطون.

هنا بدأ ردّ العناصر المُعادية الّتي وجدت الفرصة سانحة لها، وعلى غير توقّع، فتولّى الجيش إجراءات الأمن والاعتقالات، باعتبار أنّ القتيل ضابط، وأنّ الهدف مؤامرة ضدّ الجيش والدولة.

كان شوكت شقير رئيساً للأركان في دمشق، وكان عبد الحميد السرّاج مسيطراً على المكتب الثاني (المخابرات)، وأكرم الديري قائداً للشرطة العسكريّة.

وفي دير الزور، كان الضابط فوزي الشعيبي يرأس المكتب الثاني، يعاونه عدد قليل من المساعدين، منهم عبد الجبار خلوصي، صالح مطر، عبد المجيد تدمري، مصطفى درويش ونافع فاكوش، وكلّهم كانوا برتبة مساعد، جرجيس مطر كان وحده مدنياً، والجميع من دير الزور يستعملون للاعتقال والتعذيب عناصر الشرطة العسكريّة التي يقودها المساعدان جاسم ويس (أصبح ضابطاً فيما بعد، وقد ذكرته الأمينة الأولى بمذكّراتها واعتبرت أنّه كان يتآمر على قتلها، وبعد الانفصال أصبح لاجئاً في مصر ثم عاد إلى الوطن متقاعداً) وجاسم العتيقة.

كانت الشرطة تعتقل وتعذّب بـ "الفلق" واللذعات الكهربائيّة بواسطة جهاز هاتف يدوي، مع سكب الماء زيادةً في شدّة لسعات الكهرباء. وكان السؤال أثناء التحقيق عن عناصر عسكريّة في الجيش وأعضاء آخرين بالحزب. وكان يُلاحَظ وقتها أنّ بعضاً من عناصر الشرطة كان يتهرّب من الضّرب والتعذيب، ومنهم إن أُلزِموا يكون ضربهم خفيفاً...

لم أتوارى في بداية الأمر، على الرغم من اعتقال والدي الذي أُطلق سراحه مجرّد وصوله إلى دمشق، ربما لكونه غير منتمٍ إلى الحزب، أو بسبب تدخّل أكرم الديري الّذي تربطه علاقة قربى بالعائلة الكبيرة. وتمّ اعتقال الرّفقاء عبد الرزّاق بعّاج، رفيق الملحم وآخرون، وسيقوا إلى دمشق. هنا اشتدّ البحث عنّي، فتواريت وأقمت في بيت عبد الوهاب سبع الدير، لكونه بيت عمتي وأخي الأكبر صهرهم. وبعد اشتداد البحث عنّي التجأت إلى بيت صديق العائلة الرجل الطيّب عيد الصيّاح، وأقمت عنده أياماً إلى أن تمّ اعتقالي وإياه بعد أن دلّ على مكاني أخي عبد الفتاح، الّذي لم يتحمّل كثيراً من الضغط والتعذيب.

كانت ثكنة الهجانة مكان تجمّع المعتَقلين من الرفقاء وبعض الأصدقاء، وهي ثكنة قديمة من عهد الاحتلال الفرنسي الّذي شكّل فرقة عسكريّة تستعمل الجمال لتحرّكاتها في البادية. وقد تجمّع عدد كبير من الرفقاء، بحيث غصّت هذه الغرف الّتي هي عبارة عن مترين عرض بأربعة طول ولا تحتمل منّا أيّة حركة ما خلا اصطفافنا كسمك السردين.

بعد جولة من التحقيق الّذي لم يُعطِ أيّة نتيجة، قامت السلطة بإجراء تصفية، فأُخلي سبيل كلّ من لم يكن عضواً في الحزب، ومنهم العمّ عيد الصيّاح، كما أُخلي سبيل عدد من الأعضاء، لأُنقَل أنا وممّن لم أعد أذكر أسماءهم في شاحنة عسكريّة إلى حلب، حيث أودِعنا ليلة في سجن الشرطة العسكريّة، التقيت فيها بالرفيق الطالب الضابط في كلية الاحتياط أدونيس الّذي كنتُ تعرّفت عليه سابقاً في دار الجيل الجديد بدمشق. وقد أودعني بيتَين من الشِّعر من وحي ذلك المكان، ضاعت مع الأيّام من الحفظ ومن الذاكرة.

نُقلنا بذات الطريقة إلى دمشق إلى سجن تابع لموقع الشرطة العسكريّة المقابل للجامعة السوريّة، وهنا التقيت بأخي الرفيق عبد الرزّاق والرفيق جودت عيّاش، اللّذين وجدتهما قد نالا من التعذيب ما يفوق التصوّر، خصوصاً وأنّ كليهما يمتلكان جسماً نحيفاً ضعيف البُنية، فكانا يضعان عجينة خبز الصمون العسكري السميك على مكان الإصابة تخفيفاً للآلام.

القلعة والمهجع رقم - 9 -

كان المعتقلون من القوميّين الاجتماعيّين ومن كافّة المناطق يتواردون إلى مقر الشرطة العسكريّة. يتمّ التحقيق مع البعض والبعض الآخر يُرسَل إلى سجن المزّة للتحقيق. كان حظ القادمين معي من دير الزور أفضل، حيث اكتفت الشرطة بالضبط التحقيقي المرسَل معنا وتجنباً للازدحام بالورديّة، وهكذا سلمنا من بعض التعذيب.

أُرسلنا إلى قلعة دمشق التي كانت تُستَعمل كسجنٍ مركزيّ، وكان الصعود إلى المهجع الذي يحمل الرقم – 9 – عبر درجات، ربما كان عددها بين الستّ أو الثمان درجات، فيُفتح الباب الحديديّ المكوَّن من قُضبان غير مغلقة من أجل دخول الهواء والصوت الذي يستمع إليه عناصر الحراسة في مقرّهم أسفل الدرج. شكّل هذا المهجع حرف تاء معكوسة، لا منافذ له إلّا في أعلى القبو الذي يبلغ ارتفاعه ما قد يتجاوز الخمسة أمتار. وكان البساط الأرضيّ من

الإسمنت، مساحته بين الجدارَين بحدود السبعة أمتار، يتخلّلها في الوسط خندق عرضه ما يُقارب المتر وعمقه أقلّ من المتر، يفصل الأرضية إلى مصطبتَين، ويشكّل مسيلاً للماء للاستعمال والتنظيف. كما كان يوجد شبه غرفة مقسومة إلى قسمين؛ المدخل وفيه فتحة أرضيّة كمصرف للمياه، والقسم الداخلي فيه شقّ أرضيّ كمرحاض. وإذ أفاد عناصر الشرطة المدنيّة الّتي تستودعنا أمانة لحساب المخابرات العسكريّة وتحت إمرتها أنّ هذا المهجع مخصّص لعدد بين الأربعين إلى الخمسين من السجناء الجنائيّين كحدّ أقصى، إلّا أنّ تعدادنا قد بلغ في المرحلة الأولى ما يقارب الأربعمئة، أذكر القليل منهم، وذلك بسبب مرور الخمسة والستين عاماً على بدء التذكّر والكتابة!

كان من دير الزور الرّفقاء حسن عيّاش الّذي أُعيد بعد فترة إلى المزّة لإجراء تحقيق، صالح عبود، رفيق ملحم، عبد الرزّاق بعاج، خضر دعاوي، نديم سليمان، عباس دعاوي، ناجي حطاب وأنا عبد الوهاب البعّاج. وكان من اللاذقية فؤاد شوّاف الذي كان يُعاد أحياناً إلى المزة للتحقيق، قاسم شوّاف، أديب عازار وولده (لا أذكر اسمه)، علي زغيبي، سعيد مخلوف، محمود مخلوف وعبد الرحمن الخيّر. وكان من السويداء غالب الأطرش، زيد الأطرش ويحيى الأطرش، ومن حلب كان عدنان أورخان. من الكسوة كان حنا الكسواني، رجل كبير في السنّ، فلاح، جيء به بديلاً عن النائب المحامي حنّا الكسواني، الهارب من الاعتقال وقبل أن يدخل المجلس النيابي). هذا ما سمحت به الذاكرة!

المعيشة

لم يكن لنا أيّ اتصال مع ما هو خارج المهجع. كلّ شيء ممنوع؛ الطعام، الدخان، الصحف والكتب. كان الجيش يتكرّم بإطعامنا، فتوزّع قطعة خبز يومياً لكلّ شخص، تُسمّى آنذاك «كماج»، وهي عبارة عن قرص قطره بحدود الخمسة والعشرين سنتيمتراً، وسماكته من الوسط بحدود الخمسة سنتيمترات، يُشوى جيداً من الوجه الأعلى، أما الوجه الثاني فأقلّ شواءً وفي الوسط عبارة عن عجين! وكنّا نصنع من هذا العجين حجر الطاولة، الدامة والشطرنج.

أمّا الطبخ، فهو غالباً مرق نصطاد فيه بعض البطاطا أو حبّات الفاصولياء. وفي إحدى المرّات تكرّموا علينا بشوربة عدس، ما أن حطّت رحالها في معداتنا حتّى بدأت حركة من القرقعة في البطن وتفتّحت المصران لإبعاد هذا المحتوى، ولكن كيف ولا يوجد إلّا هذا المسمّى مرحاض ونحن بحدود الأربعمئة!!

تولّى المسؤولون تنظيم الدور بالجلوس حسب تسلسل الأولويّات، على ألّا يُطيل الداخل أكثر من دقائق معدودة، ولمّا كان هذا غير كافٍ، فقد سُمح باستعمال الفتحة في المدخل (المصرف) ما دام ما يخرج عبارة عن ماء أو ما شابه، فاستطعنا التغلّب على الوضع. عندها، قامت الشرطة بإعلام الجهة المودعة، فحضر في اليوم التالي عسكريّ قيل إنّه طبيب، إلّا أنّه لا يصف دواءً أو يطلب لنا غذاء، إنّما سمح للشرطة أن تُدخل لنا بعضاً من الخضار، فكانت الشرطة تبيعنا ليمونة، حبة بندورة، حبّة خيار وبصلة بليرة سوريّة كنّا نشتري بها في ذلك الوقت كيلوات من الخضار، كما أصبح الدخان متوفراً بيعاً.

كان بعض الأهالي يأتون إلى السجن، إنّما لا يحقّ لهم رؤية سجينهم، وكان أغلب الّذين يحضرون محمّلين بالدخان والسكاكر والفواكه الّتي تتسلّمها الشرطة لإيصالها لأصحابها بيعاً بالمفرّق. واستناداً لهذا الحدث، فقد تمّ فتح مهجع آخر برقم – 14 – وتمّ نقل قسم من الرّفقاء من المهجع – 9 – ولمن يأتي لاحقاً.

هل أنتم من جنس البشر؟!

نتيجة الضيق الذي كنّا نشعر به بسبب الانقطاع التامّ عن العالم الخارجيّ، وعن الأهل والعمل، والتفكير بمصير من هم خارج السجن من الرفقاء والأهل وكيف يُصار إلى تدبير هذه الأمور كلّها، كانت تحدث الشجارات إمّا باليد أو اللسان. ومع هذا، لم تحدث مشاجرة إلّا مرّة واحدة، إذ تشاجر رفيقان، أذكر أنّ أحدهما ابن أديب عازار، وبصفعة واحدة على الوجه سال الدم من الأنف في لحظة دخول الرقيب رئيس المخفر، الّذي أصرّ على عقابهما على الرغم من

تدخّل الوالد أديب والآخرين. وبعد إصرارهم اكتفى الرقيب بأن سكب عليهما بعض الماء، ثمّ التفت إلى من حوله وقال بصيغة السؤال والجواب: «هل أنتم من جنس البشر؟». وأجاب: «لو كان جزء من هذا العدد من السجناء العاديّين مكانكم لحدثت حتماً جريمة قتل يومياً».

القضاء على الوقت

للوقت حدَّان؛ إمّا أن تنتفع به وتقتله، وإمّا أن يقضي عليك ويقتلك. نحن مجموعة قوميّة اجتماعيّة، وُضعنا في محيط ضاغط، نجهل مصيرنا ولا نعرف شيئاً عمّا يحدث حولنا في هذا المحيط. لا نعرف ماذا حلّ برفقائنا في السجون الأخرى والرّفقاء الّذين لم يتعرّضوا للاعتقال. أهلنا الّذين نحن بحاجة إليهم، هم بحاجة إلينا حتى في الأمور المعيشيّة. في هذا الجوّ، كنّا إذا جلسنا يضع كلّ واحد منّا يده على خدّه، الوقت سيقتلنا كمداً غير مأسوف علينا.

لنتذكّر! نحن لسنا من جنس البشر كما عبّر عن ذلك رئيس مخفر الشرطة. نحن أبناء سعاده المعلّم القدوة، الّذي وضع كتاب نشوء الأمم وهو في السجن الأوّل، ووضع المبادئ وهو في السجن، وبعد سماعه حكم الإعدام ذهب في نومٍ عميق صارفاً فكره عن الموت حتى تحين لحظته.

إذن، ونحن أبناء النظام، فلا بدّ من عملٍ ينظّم حياتنا في هذا المحيط كما هو، فتشكّلت منّا لجان إذاعيّة وإداريّة من المسؤولين المتواجدين، تقوم بالإشراف على كلّ أمور هذا السجن فكراً وإدارة.

يبدأ اليوم في الساعة السابعة صباحاً بالاستيقاظ العامّ. تقوم المجموعة الّتي عليها دور التنظيف بمهمّتها وفق ما يجب. كان إفطارنا ممّا تيسّر. شكّلنا حلقات، هذه تلعب الشطرنج، وتلك تعلب الدامة الّتي صنعنا أحجارها من عجينة الخبز وأخرى تلعب ورق الشدّة من كرتونات علب سجائر البافرا، وذلك إلى حين حضور وجبة الغداء الّتي يجلبها الجيش، وبعد ذلك ينصرف الكثيرون إلى بعض الراحة، ومنهم من يغتنم وجود مكانٍ يغفو به قليلاً لأنّ نوم الليل لم يكن كافياً.

تبدأ السهرة في الساعة السادسة مساءً، وتكون اللجنة الإذاعيّة المؤلّفة من عنصرين رئيسيَّين هما الرفيقان المهندس قاسم شوّاف والمحامي صالح عبود وأحياناً يشترك آخرون، قد نوّعت برنامجها بين التوجيه الإذاعي القومي، وبعض المقتطفات الشعريّة ممّن يحفظ الشعر، وبعض القصص والنوادر وتمثيليّة مسلّية، وذلك كلّه لإبعاد السأم والضيق.

ينتهي هذا البرنامج في الساعة التاسعة، ساعة النوم في السجن، ويبدأ توزيع وجبات النوم بحيث ينقسم الرفقاء قسمان، فينام القسم الأول من الساعة التاسعة حتى الواحدة، بينما يبقى القسم الآخر ساهراً يجلس على حافة الخندق من دون أيّ صوت، إلّا همساً إن لزم، ثمّ يستفيق النائمون ليحلّ محلّهم الساهرون حتى السابعة صباحاً وقت الاستيقاظ العام. كلّ ذلك بسبب ضيق المكان الّذي لا يتّسع لأكثر من أربعين شخصاً، علماً أنّ حصّة النائم من المساحة لا تتجاوز الظهر أو الجنب، وللنائم أن ينقلب بين الظهر والجنب في حدود هذه المساحة.

أمّا الساهرين، فغالباً ما يكونون اثنين لا أكثر، فإمّا يتسلّيان بلعبة أو حديث أو كتابة على كرتونة. وممّا أذكر أنني كنتُ غالباً ما أرافق الرفيق عدنان أورخان، الفنّان المعروف، الّذي لم نكن نسمع له صوتاً في أيّ وقت. نجلس ليلاً، ويكون لديه بعض الورق الّذي لا أعرف كيف حصل عليه، قطع صغيرة يرسم عليها مشاريع ربّما ترى النور فيما بعد، وكان لي اهتمام في هذا المجال، فصمّمت بعض الرّسوم، وكنت أشاركه في بعض الأفكار والملاحظات، لكنّني لم ألتقِ الرفيق عدنان بعد ذلك أبداً، ولا أعرف ماذا حلّ بتلك المشاريع!

ومن الأحداث الّتي تُذكر، أن الأخوين محمود وسعيد مخلوف، وهما من نبع واحد إلّا أنهما كانا يختلفان تكويناً وطبعاً. محمود على ما عرفنا هو الأكبر، يجلس صامتاً لا يُكلّم أحداً ولا يشارك في حديث عاقد الحاجبين، قد يكون منشغلاً بالتفكير بالعائلة، بوضعه، لا نعرف، لأنّه صامت. بينما سعيد، فكان يتحرّش بهذا وذاك لافتعال حادثة أو نكتة تغيّر من جوّ الكرب، يبعث بنا على التوالي إلى أخيه محمود، يمرّ الأوّل مسلّماً: مرحبا سعيد. فيردّ عليه: أنا محمود. يأتي

الثاني مكرّراً هذا السيناريو، فيردّ محمود بصوت أعلى وحدّة أكثر: أنا محمود. ليأتي الثالث، فيكون الجواب بالصوت العالي المسموع للجميع: قِرد أنا محموود. فينطلق الجميع بالضحك.

الاستقالة من الحزب مقابل الإفراج

التّهمة بالنسبة لعضويّة الحزب هي «الانتماء إلى جمعيّة سريّة». وقد أخذت أبواق الجهات المُعادية من الأحزاب، وبتوجيه من المخابرات العسكريّة، تنشر في صحفها أنباء عن استقالات من الحزب لبعض القوميين ممّن هم خارج السجن. وكان جزء ممّا نشرته الصحف آنذاك صحيحاً، وذلك نتيجة ضغط أو خوف، فركب الأهل هذه الموجة، وأخذ البعض منهم يحضر ومعه صحافيّ أو محامٍ ليوقّع على ورقة استقالة مكتوبة مسبقاً، مع الوعد بإخلاء السبيل. إلّا أنّ الغالبيّة كانت ترفض التوقيع، والبعض تمّ تزوير توقيعه أو شُوّهت كتابته، وكانت الصحف المأجورة فرحة بذلك.

المُحاكمات

بدأت مُحاكمتنا، نحن المتّهمون بالانتماء إلى جمعيّة سريّة، في المكان الذي كان يوماً القصر الجمهوريّ الّذي اقتيد منه حسني الزعيم إلى الإعدام.

تُنقل مجموعة بواسطة ملالة عسكريّة هي شبه سيارة، سقفها وأرضها والجوانب من الحديد وبلا مقاعد، نكوّم فيها برفقة عناصر من الشرطة العسكريّة لنصل إلى مكان المحكمة. المرحلة الأولى كانت أمام النيابة العسكريّة الّتي لديها تحقيقات الأمن العسكريّ، ومع ذلك كانت تُعيد التحقيق. تُعتبر تحقيقات سلطات الأمن في الأصول القانونيّة مأخوذة بالإكراه إلى أن يثبت العكس.

أمّا النيابة العسكريّة الّتي واجهناها، وجدنا أنّها جزء من المخابرات بدرجة أعلى. ولم يكن النائب أو من يمثّله من يقوم بالتحقيق، بل يساعده عناصر من الضبّاط تساعده على الاستجواب.

صفعات لا تُنسى

التُّهمة، إن صحّت، فهي جُنحة أصلاً، وموجّه التُّهمة يعلم أنّ الحزب قائم بترخيص رسميّ له مقارّ وصحافة خاصة به. وكنّا قد نقلنا سجلّات منفّذيّة دير الزور قبل الحدث إلى يد ظننّا أنّها محطّ ثقة وأمان، إلّا أنّ هذه اليد خانت الأمانة وسلّمت السجلّات للمخابرات، ومع هذا كان يسأل المحقّقون عمّن هم أعضاء الحزب!

وإذ توجّه إليّ السؤال، أجبتُ مبيّناً أسماء الرّفقاء المعتقلين فقط. فتكرّر السؤال: من تعرف غيرهم؟ فقلت: لا أعرف. فكان الردّ من أحد الضبّاط الواقفين لي بصفعة على وجهي، شعرت بسببها أنّ ضوءاً لمع في عيني وأنّ رأسي التصق بالجدار المُقابِل مع عبارة «لا أعرف». وما إن وقفت حتى كرّر الصفعة وانتهى التحقيق.

وأنا في هذه الحالة، تذكّرت أنّها ليست المرّة الأولى الّتي أتلقّى فيها صفعة بسبب انتمائي وعملي الحزبيّ. كان مرشّح الحزب في دير الزور الرفيق حسن عيّاش في مقابل شخصيّات عشائريّة وقَبَليّة تمثّل تركيبة مجتمع دير الزور. حينها كُلّفت شأن الآخرين بتوزيع نشرات الحزب دعاية لانتخاب مرشّحنا الرفيق عيّاش، وكان نصيبي ومن يرافقني المرور بالجرداق (المقهى الصيفي) الّذي يرتاده أغلبيّة أقاربي ومنهم أخي الأكبر «فصيح». مررت ووزّعت النشرات الحزبية، وبعد انتهاء مهمّتي، وبشكلٍ طبيعي، عدت إلى البيت لأُفاجَأ بحضور أخي الّذي كان يُقيم وعائلته في بيت مستقلّ، وكان والدي ووالدتي يجلسان في الرّواق المُشرف على الحوش الكبير حيث تتوسّطه حديقة صغيرة. ناداني أخي يسألني سؤال العارف: أين كنت؟ أجبت: كنتُ أوزّع نشرة الحزب الداعية لمرشّحنا حسن عيّاش. سأل مجدّداً: ألا تعرف أنّ مرشّح العشيرة هو طه حداد، وأنّ بيت أبيك مفتوح للدعاية له؟ فأجبته: أنا مرشّحي حسن عيّاش، مرشّح الحزب. وإذ بي أتلقّى صفعة على وجهي من دون توقّع، جعلتني من الصدمة أقف مكاني كالخشبة بدون أيّ كلام. لم يكن هذا من تركيبته ولا من تركيبة عائلتنا، رغم أنّنا

في هذا البيت سبعة ذكور وأربعة إناث.

صاح أبي بصوتٍ عالٍ: لماذا تضرب أخاك؟ ليجيبه: ألم تسمع ما يقول؟ ردّ والدي: لم يقل خطأ.

كرّرت والدتي استنكارها للضرب قائلة: لماذا تضرب أخاك؟ ليقول: إذاً أنتم معه. وغادر البيت.

صاحب هذه الصفعة، أخي فصيح، كان يلاحقنا من سجن إلى آخر محاولاً إخلاء سبيلنا وتقديم ما يستطيع من أجلنا.

بعد التحقيق، أُحيلت الأوراق إلى قاضي الفرد العسكريّ وفق اتّهام النيابة، وكان القاضي الضابط زهير غزال، وكان معروفاً عنه أنّه قاضٍ يفهم عمله جيداً، سلوكه راقٍ جداً ويمثّل القضاء بوجهه الصحيح. (سُمع عنه قربه من الحزب وربما انتماءه إليه). وبناءً عليه، رفض إصدار حكم وفقاً للاتّهام، بتعليل أنّ هذا الجُرم إنّ صحّ، فهو من اختصاص القضاء المدنيّ.

غضبوا منه ونُقل على إثر هذا إلى خارج سلك القضاء، إلّا أنّه من حيث النتيجة جاء رأي محكمة النقض (التمييز) موافقاً لرأيه، وأُحيلت الأوراق إلى القضاء المدنيّ الّذي أعلن من حيث النتيجة البراءة من هذه التُّهمة، لتبقى محاكمة الحزب الجنائيّة المتعلّقة بالقتل وما أُضيف إليها من اتّهامات، وأغلب الرّفقاء أوقفوا بهذه التُّهمة مدّة ثلاثة أشهر على الأقلّ، والبعض امتدّ به التوقيف أكثر من ذلك وذلك بتهمة الانتماء إلى جمعية سريّة.

من السّجن الصغير إلى السجن الكبير

سعيد تقيّ الدين وأصغر رسالة

قبل أن أتوارى عن الأنظار بعد اشتداد حملة الاعتقالات على القوميّين الاجتماعيّين إثر مقتل المالكي، ناولني مدير المدرسة الّتي أعمل بها، مدرسة الآباء اليسوعيّين الكبوشيّه، الأستاذ فؤاد الزغبي من بسكنتا، مغلّفاً ليس عليه عنوان. فتحته وتناولت رسالة صغيرة جداً، وهي عبارة عن صورة صغيرة لهويّة شخصيّة كُتب عليها: «ماذا تعرف عنه؟».

كان الجواب: «لا تتعاملوا معه بأيّ شكل». هكذا كان ردّي الّذي كتبته على ذات الصورة، وأعدتها إلى داخل المغلّف وأعطيته للأستاذ.

ما يستدعي الغرابة وقتها، أنّني لم أسأل الأستاذ فؤاد كيف وصلته الرسالة وكيف سيُعيدها، ولماذا أُرسِلت إليّ وليس لغيري من المسؤولين أو القوميّين، والأهمّ من هو فؤاد الزغبي؟ لم يكن وقتها السؤال ليمرّ بخاطري!

اللقاء مع سعيد تقيّ الدين

جمعنا اجتماع حزبيّ مرّة وحيدة في دار «الجيل الجديد» في دمشق. وبعد الاجتماع، مشينا سويّة في شوارع «جوزة الحدبة» حيث موقع دار «الجيل الجديد». وكان يحدّثني عن الراحة النفسيّة التي تغمر نفسه حين يأتي إلى دمشق، لما يلقاه من حسن معاملة أهلها لكلّ قادم إليها، كما أخذ يستوضحني عن أحوال مدينتي دير الزور ووضعها الاقتصاديّ. وقد وجّه إليّ سؤالاً وحيداً: «كيف وضع إيجار العقارات عندكم؟». وكان جوابي أنّه لا قيمة للإيجارات عندنا، فردّ عليّ بالجواب الّذي لم أدركه آنذاك: «إذن وضعكم الاقتصادي غير نشط». هذه هي المرّة الأولى الّتي نلتقي فيها ونتواصل، وربما كنتُ وقتها ناظر الإذاعة الوحيد خارج المعتقل.

صاحب الصورة

كان صاحب الصورة من دير الزور، بيتنا وبيت أهله في ذات الحيّ «البعّاجين». وهو عبد الجبار عبد القادر الموسى، وكان يكنّي نفسه أحياناً بـ "الخلوصي"، طويل القامة أبيض البشرة جميل الوجه، ويعمل لدى المخابرات العسكريّة (المكتب الثاني) برتبة مساعد، وهي الرتبة الأعلى بين الرّتباء والأدنى من رتبة ضابط.

لماذا السؤال عنه؟

ما تكشّف لنا بعد سنوات عن سبب السؤال عن هذا الشخص في ذلك الوقت، حين زُجَّ بالقوميّين الاجتماعيّين قياداتٍ وأفراد في السجون، واستطاع البعض أن يصل إلى بيروت لكي يقوموا بنشاط ضدّ الوضع، وخصوصاً الحكم العسكريّ الّذي يضطهد القوميّين في الشام، وكانت قيادة هذا النشاط بيد سعيد تقيّ الدين وغسان جديد. وقد أرسل المكتب الثاني بقيادة عبد الحميد السرّاج عبد الجبار الّذي وصل إلى الحزب كشيخ من شيوخ عشائر الفرات والرقة، والّذي أبدى تعاونه مع الحزب، مصرّحاً أنّ لديه عشرة آلاف مقاتل من عشيرته وهم بحاجة إلى السلاح وبعض المال. وكان من صفات وقدرات هذا الإنسان أنّه يستطيع إقناعك بأنّه ضابط كبير حين يرتدي اللباس العسكريّ، أو أنّه تاجر مهم حين يحمل حقيبة السامسونايت، بالإضافة إلى كونه شيخاً من شيوخ العشائر فيساعده الشكل واللسان والصورة. هذه الرسالة الصورة الّتي أدّت مفعولها، وقدرات هذه الشخصيّة الّتي لم تُبقها عند حدود الوظيفة الّتي يعمل بها صاحبها، بل أصبحت لديها طموحات أكبر!

ففي العام 1969، كنتُ وبعض الرفقاء نزلاء في سجن القلعة، وإذ بنا نلتقي صاحب الصورة سجيناً لا سجّاناً، ومعه زميل آخر وصحافي كنيته الذهبي، أرسلتهم المخابرات إلى بيروت بمحاولة للتواصل مع عناصر من السفارتَين السعوديّة والأمريكيّة بقصد الحصول على معلومات عن الحلف الإسلاميّ الذي

كانت أمريكا تعمل عليه، ولكن يبدو أنّ مطامعه قد دفعته إلى إعطاء معلومات عن الجهة الّتي أرسلته فانكشف أمره من خلال الزميل الثالث. وبعد قضاء فترة في السجن غادر إلى اليمن، إلّا أنّه لم ينجح بمكسب، بل وقع ببعض من أعماله الاحتياليّة فأمضى سنواتٍ في السجن أثّرت على صحّته، حيث توفّي بعد عودته إلى الوطن بفترة قليلة.

إعادة التنظيم... محاولة أولى

بعد اعتقالنا مدة تُقارب الثلاثة أشهر، نحنّ المُدّعى علينا بجرم الانتماء إلى جمعية سريّة، أُخلي سبيلنا مع استمرار محاكمتنا، خرجنا لنجد المكتب مُغلقاً بالشمع الأحمر ومنفّذيتنا قد انفرط عقدها. المنفّذ حسن عيّاش الّذي فقد مورد رزقه من وظيفته بسبب استقالته والتفرّغ للعمل الحزبيّ، التجأ للعمل كمعقّب للمعاملات القضائيّة. ونديم سليمان، المنفّذ وناظر الماليّة أحياناً، انصرف إلى عمله التجاريّ مع العائلة بضغط من أهله. أمّا صالح عبود، فقد أعلن وهو في سجن القلعة أنّه سيتزوّج من خطيبته ولن يعود إلى العمل الحزبيّ عند خروجه من السجن، وفعلاً نفّذ هذا، حيث التحق بإدارة قضايا الدولة محامياً للدولة ومنصرفاً لحياته الخاصة، إلّا أنّه لم يبدّل ولم يغيّر. ورفيق الملحم ناظر التدريب الموظّف، انصرف إلى وظيفته، مورد عائلته الوحيد. وهذا ما ينطبق على الآخرين.

بالنسبة لي، وكنتُ الأصغر بين مسؤولي هيئة المنفّذية المحلولة، غادرت عملي في مدرسة الكبوشيّين متخفّياً، ثمّ معتقلاً وسجيناً، فلم أكن مسؤولاً لا عن زوجة ولا عن عائلة.

بإحساس القوميّ الاجتماعيّ الّذي لا يحتاج إلى قرارات ولا تعيينات، نصّبت نفسي مسؤولاً، محاولاً إحداث تنظيمٍ سرّي، الحلم الّذي كان يراودني ونحن في عزّ العمل الرسميّ وقبل أن أعرف أن أنطون سعاده كان يعمل مع بعض القوميّين سرّاً، كما أنّني لاحظت أنّ الشيوعيّين كان لديهم تنظيم آخر ينفي ارتباطهم بالحزب العلنيّ الّذي يعملون علناً من خلاله، وكانوا ينشطون بأسلوب دعائيّ مُنتِج يردف أعضاء ومؤيّدين للحزب الشيوعيّ.

كان بيتنا، بيت أهلي في منطقة البعاجين، يُعتبَر مقرّاً من مقارّ الحزب على الرغم من أنّه كان مُحاطاً بمؤيّدي البعث من العشائر ومن هم أعضاء، ومع ذلك، فقد استطاع حزبنا اختراق هذا الحصار وانضمّ إلينا عدد ليس بالقليل.

اتّصلت، (أنا واثنان من إخوتي عبد الرزاق وعبد الشافي ولاحقاً أنور)، بسبب علاقاتنا الناتجة عن موقعنا، بعددٍ من الرّفقاء الصغار، مستفيداً من كونهم مرتبطين ببعضهم البعض بالقرابة أو علاقة الجوار أو المدرسة، وشكّلت منهم «جرائد» مؤلّفة ثلاثة أو خمسة أشخاص، وكل واحدة لا تعرف الأخرى، مع التشديد على السريّة مهما كان الأمر، وكنت وحدي شخصياً المرجع الوحيد، وقد استثنيت من أخشى عدم قدرته على ضبط النّفس، أو تهوّره. كما استثنيت الكبار، وممّن استثنيت من هؤلاء الشباب الصغار الرفيق عبد الرزاق منديل، وذلك لمعرفتي باندفاعه وعدم انضباطه وحبّه للثرثرة، وفعلاً هذا ما حصل.

كان أغلب الرّفقاء من تجمّع الحارة، المدرسة أو العلاقات الشخصيّة، وأغلبهم قد انتمى إلى الحزب «على يدي» وفي بيتنا. التقى أحد هؤلاء الرفيق عبد الرزاق مفاخراً يسأله: من أيّ مجموعة أنت؟ عندها عرف عبد الرزاق أنّه مُستبعَد، فثارت ثائرته: «إذاً أنا لست أهلاً للثقة». وأخذ يدور ويشكو لكلّ من يراه، فوصلني الخبر. وحيث كان تشكيل المجموعات مُسجَّلاً على دفتر صغير في جيبي، مزّقته وأبلغت الجميع بإنهاء هذا التشكيل.

في المساء، وبينما كنتُ وبعض من الرفقاء نجلس في «الجرداق» (المقهى الصيفي على ضفّة الفرات)، وإذ بدوريّة الشرطة العسكرية تطلب منّا مرافقتها إلى مقرّ المكتب الثاني. عندها ظننتُ أنّ ثرثرة عبد الرزاق وصلت إليهم، لكن تبيّن أنّ المُخبرين المتطوّعين من كافّة الأحزاب، كان يسوءُهم، وربما يخيفهم، وجود تجمّع قوميّ ولو كان من اثنَين. فكانوا يسارعون إلى إبلاغ المكتب الثاني الّذي لم يكن بإمكانه الإحجام عن الإخبار عنّا، فيوعز للشرطة أن تنفّذ إحضاراً ينتهي بكتابة تصريح بعدم التقائنا وتجمّعنا، فيكون خروجنا من المكتب الثاني إمّا ليلاً أو في صباح اليوم التالي، لكنّنا نخرج مترافقين على الرغم من كتابتنا التصريح.

هي التجربة الأولى والفاشلة، وإنّي أعزو الفشل هذا إلى تربيتنا كقوميّين اجتماعيّين منذ انتماء أحدنا وأدائه قَسَم اليمين بأن يكون الحزب هو حياته وقضيّته، لأنّه يمثّل قضيّة الأمّة. لذا، فإنّ كلّ قوميّ اجتماعيّ يتوجّب عليه أن يُجاهر ويدعو الآخرين للانضمام إلى حزبه. ومن مظاهر النظام وتطبيقه، في أيّ مكان، أنّه عند دخول القوميّ الاجتماعيّ إلى مكتب الحزب أو أيّ تجمّع فيه قوميّين اجتماعيّين، فإنّ عليه أن يقف مستعداً رافعاً يده زاوية قائمة صارخاً: تحيا سورية. وهذا واجب حتى لو كان اللقاء في شارعٍ عامّ، ومن لا يؤدّي التحيّة الحزبيّة فإنّه يكون عُرضة للمُساءلة ولو بكلمة. وهذا ما سنراه منطبقاً على الحالات اللاحقة.

السجن الكبير

خرجنا من السجن الصغير حيث يحيط بنا عدد من رجال الأمن أو الجيش. ومع أنّ الجدران مُغلقة علينا، إلّا أنّنا وبسبب وحدتنا الإيمانيّة والسلوكيّة كنّا نتغلّب على الآلام والصعوبات آملين الخروج إلى حياتنا في البيت والعمل حيث لا جدران ولا حرّاس.

خرجنا لنجد الجدران المغلقة حول كلّ بيت من بيوتنا، ولم يكن الحرّاس والمخبرون من الشرطة أو أفراداً من الجيش، بل جماعات وعناصر تابعين للأحزاب التي لم نكن على علاقات وديّة معها أصلاً، بل كان لهذه العلاقات طابع من التصادم الفكريّ والعنفيّ أحياناً. كذلك انضمّ الإعلام إلى هذه الأحزاب، بجرائده المرتبطة بالمخابرات (المكتب الثاني)، طواعية أو إكراهاً. لذا، أصبحنا وأهلنا مثل الوباء الذي يهرب منه الآخرون.

كلّ هذا تحمّلناه وحمله الأهل معنا، إلّا أنّ الإمعان في الضغط جعلهم يحذرون علينا التواصل مع بعضنا البعض حتى وإن كان هذا التواصل من أجل العمل، أو بسبب العلاقات الاجتماعية التي جمعتنا، من قرابة أو صداقة. وفي هذا السجن الكبير... تتوالى الأحداث!

روّاد الأقبية وكُتّاب التصاريح

وجدت الأحزاب ضالّتها بجهاز القمع، المكتب الثاني، فأصبح لهذه الأحزاب مخبرين متطوّعين يعملون لدى هذا الجهاز، يراقبون حركة القوميّين الاجتماعيّين إذا التقى اثنان منهم أو أكثر يسارعون إلى الهاتف ليخبروا عنهما، فتتحرّك وحدة الشرطة العسكريّة الّتي يقودها المساعدان جاسم العتيقة وجاسم ويس الّذي أصبح ضابطاً فيما بعد، وسجّاناً في سجن المزة، وكان يعمل على التآمر على الأمينة الأولى حسب ما ذكرت في مذكّراتها، وأصبح لاجئاً في مصر بعد الانفصال ثمّ عاد بالعفو.

كان لحزب البعث دوراً رئيسياً في هذه المُلاحقات، وكانت حجّتهم وتبريراتهم أنّ إقدام الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ على قتل عدنان المالكيّ حسب الاتّهام، هو قتل لقائد بعثيّ انتقاماً لقتل عضو في الحزب القوميّ هو الرفيق محمد أمين جمعة. هكذا سرت الإشاعة، علماً أنّ المحامي رياض المالكي شقيق عدنان المالكي وعضو المجلس النيابيّ عن حزب العربيّ الاشتراكيّ المتحّد مع البعث آنذاك أعلن أنّ من قتل أخاه هما شوكت شقير وعبد الحميد السرّاج (رئيس الأركان ورئيس المخابرات).

لهذا، وكما ذكرت في فصل «محاولة التنظيم الأولى» الّتي أفشلها الرفيق عبد الرزاق، كيف أخذنا إلى مقرّ المكتب الثاني لنكتب تصريحاً يُلزمنا بعدم اللقاء مع بعضنا البعض مهما كان الأمر.

وعلى الرغم من كلّ الضغوطات، لم يخبر أيٌّ قومي اجتماعي عن رفقائه وحزبه.

تمّ اعتقالنا لأنّنا كنّا نجلس سويّة في «الجرداق» وأمام العلن، حيث قام أحد العناصر بإبلاغ المكتب الثاني بوجودنا، فسارعت مجموعة الشرطة العسكريّة إلينا وطلبت منّا مرافقتها، فبقينا قيد الاعتقال حتى الصباح بعد أن تمّ إلزام الرفقاء بتوقيع التصاريح المعتادة الّتي تفيد بالتزامهم عدم التواجد مع بعضهم. أمّا أنا فلم أوقّع على التصريح، وكان لقاء رئيس الفرع الملازم أول فوزي الشعيبي معي أكثر

طيبة، وقد أصبح الشعيبي فيما بعد من كبار ضبّاط هذا السلك، وتحوّل لاجئاً سياسياً بعد الانفصال في مصر وعاد بعد العفو.

كان الحديث مع الشعيبي حول تواجدنا نحن القوميين مع بعضنا، وأنّ هذا الأمر يسبّب لهم حرجاً ويسبّب لنا الإزعاج، وعلينا أن نجد أسلوباً للتواصل الاجتماعي بدون القوميّين الاجتماعيّين. فكان ردّي أنّنا جيل متقارب وأصدقاء من قبل أن نكون معاً في الحزب القوميّ وبعد هذا، وعلى هذا الأساس نلتقي. فقال لي: «التق وترافق مع أخوتك». فأجبته: هل يتوافق وجود شاب مع أخوته الأكبر منه سنّاً؟ نحن جيل لنا أحاديثنا وأسرارنا. وإذ به يقول لي: «تعال رافقني أنا».

كان كلامه مفاجئاً لي، فقلتُ له مستغرباً بصوتٍ عالٍ: «لا لا... أتريد أن يقول عنّي الناس أنّني مخابرات؟». عندها علا صوته وهاج وهدّد: «نحن لسنا عملاء لإسرائيل». فعدت لتهدئة الجوّ وقلتُ له: «أنت لَكَ علاقاتك الشخصيّة وأصدقاؤك وأنا لا يناسب وجودي معهم، لا سنّاً ولا تصرّفاً». هدأ قليلاً، إلّا أنّ تهديده بقي قائماً: «إذا لم تتوقّف عن لقاء هؤلاء وتُنهي علاقتك معهم، فإنّني مضطر إلى اعتقالك وإرسالك مخفوراً إلى دمشق». أجبته: «وفّر عليك.. أنا سأغادر إلى دمشق وأريحك منّي».

وفعلاً هذا ما حدث، لأنّني كنت قد سجّلت في كليّة الحقوق – الجامعة السوريّة بدمشق، وقد كانت رغبة أهلي أن يرسلوني للدراسة على الرغم من الضيق المادي بقصد الراحة من هذا الجوّ.

خرج الرفقاء بعد توقيعهم على التصاريح، إلّا أنّهم بقوا منتظرين على باب المقرّ إلى أن خرجت وترافقنا كلّ إلى بيته.

إلى قبو سامي جمعة

أقمت في دمشق مع الرفيقَين صبحي فريح (الأمين لاحقاً) وشاكر عوجان في قبو في بناية الدكتور أمين الساطي في الحلبوني، حيث دقائق من المشي

تفصلني عن كليّة الحقوق. وبوساطة الدكتور بدري عبود، وزير الصحة آنذاك، عُيّنت في مركز مكافحة السلّ بمشفى المجتهد، وقد كان تمويل هذه المؤسسة من الأمم المتحدة، فكان مرتّبي الشهريّ يبلغ 140 ليرة سوريّة، كانت كافية لكي أدفع نصيبي من أجرة السكن وللمعيشة، عدا عن الأحوال الاضطراريّة. قبلها أقمت والرفيق نوري حلاوي في منطقة الشعلان، وكان الرفيق حلاوي يعمل فنيّاً في الأشغال العامة.

توفّي الرفيق شاكر، الّذي كان يعمل في الإذاعة، إثر حادث سيّارة وهو في طريقه إلى منطقة كسب، حيث كان يعمل هناك لبناء محطّة للإذاعة. وكان، رحمه الله، نشيطاً حزبياً كما هو في عمله الوظيفيّ، وله أعمال تجاريّة خاصّة، وابنة وحيدة تُدعى ميسلون وُلِدت بعد وفاته على ما أظنّ. أمّا الرفيق صبحي، الّذي كان بالإضافة إلى دراسته الحقوق موظّفاً، فقد ترك البيت ليتزوّج.

تحمّلت عبء الإيجار وحدي، وكان زميلي في الجامعة والعمل «مخلف الشرمان» يُقيم في بيتٍ غير صحّي، فاقترحت عليه مشاركتي السكن فوافق. وحضر شفيق عبّود (شفيق دبيش كما كان يُسمّى في دير الزور) طالباً مشاركتنا السكن خلال فترة الامتحان لعدم قدرته على إيجاد سكن.

دعا مخلف ابن عمّه الضابط صلاح الشرمان إلى الغداء في البيت فأُعجب بالبيت وبموقعه، وذكر هذا لابن عمّه مخلف.

في اليوم التالي التقاني هذا الضابط، وهو ابن مدينتي وحارتي وثمّة علاقة معرفة وجوار، وكان أخوه بشير (قُتل بحادث شجار) من رفقائنا، وكان آنذاك معي أخي ورفيقي عبد الشافي، وإذ به يقول إنّه أخذ البيت من ابن عمّه. فواجهته متحدّياً عندما شعرت أنّه يتكلّم بلهجة التأكيد. إلى جوارنا كان الدكتور عبد المنعم خريط من دير الزور، وكان ضابطاً في الجيش، فتدخّل وأفهم صلاح أنّ البيت لي وأنّني من أُسكن ابن عمّه فيه.

جئتُ ليلاً لأجد شفيق يحزم أمتعته، وحين استفسرت منه إلى أين يريد الذهاب، قال إنّه ذاهب إلى الفندق. وطلبتُ إليه تأجيل ذلك حتّى الصباح على

الأقلّ، فلم يقبل، مع أنّه بحاجة إلى السكن ولديه مواد ليمتحن فيها. وسألت عن سبب قراره مغادرة البيت، فلم أستطع معرفة شيء منه. ولكن بعد أن غادر، وكان مخلف موجوداً، قال لي: أنا أيضاً سأترك البيت لأنّه مراقَب. هنا عرفت اللعبة، فانتظر ليلتَين، إلّا أنّني لم أُبدِ أيّ خوف أو استعداد للمغادرة، فغادر وبقيت وحدي لأجدني ليلاً مُحاطاً بعناصر من المخابرات وآخرين ينبشون أغراض البيت من دون أن يجدوا ورقةً أو كتاباً، إلّا أنّهم اقتادوني إلى سرداب، لا أعرف مكانه طبعاً، وإذ بي وجهاً لوجه مع بعبع دمشق، تلك اليد الضاربة لعبد الحميد السرّاج سامي جمعة، صاحب كتاب «أوراق من الوطن» الّذي يذكر فيه بعض فصول التآمر على سعاده.

خاب ظنّ هؤلاء، فلم يكن الصيد كما توقّعوا. فعلى ما ظهر من التحقيق، أنّ الأمين علاء الدين حريب، الّذي لا تُعرَف له صورة، وهو نحيل الجسم قصير القامة، أشقر الشعر أبيض اللون، كان يحضر من لبنان بهويّة مزوّرة ويقوم بنشاط عبر هذا البيت نظراً لوجود الرّفيقَين شاكر وصبحي فيه، وهو خال صبحي وجميعهم من مدينة الميادين.

سألتُ المحقّق بعد أن عرفت أنّهم لا يريدونني شخصياً إذا كانوا يريدون منّي أن أترك هذا البيت، فكان الجواب بالنفي.

في اليوم التالي ذهبت إلى المقهى، لأجد الضابط ينظر إليّ ضاحكاً، وهذا قد أصبح فيما بعد ذا مكانة وخبرة في مجال الحرب الإلكترونية، لكنّني لم أعره اهتماماً وبقيت في البيت.. وهكذا تابعت عملي ودراستي حتى حصلت على النجاح إلى الصف الثاني.

الجنديّة والخدمة الإلزاميّة

عمل يسدّ حاجتي، نجاح في الدراسة وإقامة في دمشق بعيداً عن الملاحقات والاعتقالات، هذا ما كان يُفرِح أهلي ويُفرحني ويُفرِح كلّ المُحبّين.

عندما أقدمتُ على التسجيل في الجامعة، تقدّمت بالوثيقة إلى التجنيد باعتبار أنّني مؤجّل من الخدمة بسبب الدراسة، وحصلت على الموافقة.

أُبلِغت من الأهل أنّهم تبلّغوا من شعبة التجنيد بوجوب التحاقي بكليّة الاحتياط تحت طائلة اعتباري متخلّفاً. فقام والدي بمراجعة دائرة التجنيد الّتي يديرها ضابط يُلقّب أبو حنيك (مُصاب في حنكه) ومساعد من البلد اسمه صالح البخيت. أعلما والدي أنّ أوراق التأجيل الّتي يؤكّدان معرفتهما بها مفقودة من الإضبارة، فطلب منّي الأهل الاتصال بالضابط أكرم الديري (عائلة الديري هذه من فروع عائلة البعاج الكبيرة)، وكان له دور فاعل آنذاك، إلّا أنّني لم أفعل، وتركت العمل وأوقفت الدراسة والتحقت بكليّة الاحتياط.

كان في دائرة تجنيد دير الزور في تلك الفترة، إضافة للضابط والمساعد، مجنّدان بعثيّان هما راضي وهذا بيت أهله قرب بيت الشيخ سعيد العرفي قرب سينما فؤاد، وابن علوان بيت أهله مقابل مدرسة يوسف العظمة، وكلاهما من تشكيل يُلقّب بـ «الكجلان».

كليّة الاحتياط

في الأيام الأولى من عام 1957، كنت أرتدي اللباس العسكريّ والحذاء اللامع، ذقني محلوقة وأنام على سرير حديديّ، فراشي ملفوف بالبطانية على شكل «الطامبو»، وهو تعبير فرنسيّ يعني القبر. أمّا الموقع فكان ثكنة هنانو الواقعة على تلّة عالية في حلب. يبدأ صباحنا الباكر والبارد جداً بدرس الرياضة، تليه الدروس النظريّة والعمليّة. وكان الضبّاط المدرّبون ممّن أذكر مدير الكلية نامق كمال، على ما أعتقد، وكان المدرّبون ضابط من وادي النصارى كنيته بيطار، مثقّف وقيل وقتها إنّه شيوعي، شاهين الّذي أصبح مخرجاً سينمائياً فيما بعد وزوج الفنانة منى واصف، ناصر وهو ضابط حديث التخرّج من الكليّة، وكان يبدو أنّه ابن قرية.

أمّا الطلّاب، فالغريب أنّهم بتلك الدورة جلبوا كلّ المتأخّرين عن الخدمة الإلزاميّة من أطباء ومهندسين وحَمَلَة شهادات جامعيّة أخرى، إلى جانب حَمَلَة شهادة الثانويّة العامّة بفرعَيها العلميّ والأدبيّ. من دير الزور مثلاً، كان الأطبّاء

صالح خلّوف (بشعان)، عبد المجيد حافظ، الصيدليّ أحمد السراج والمفتّش المالي سعيد طعمة. وممّن تعرّفت عليهم وترافقت وإيّاهم بسبب من التقارب الفكريّ والسلوكيّ فؤاد رفقة، الشاعر والأديب وأستاذ الفلسفة والدكتور فيما بعد. جرجس عرنوق، الّذي تزوّج فيما بعد من شقيقة الشهيد ميشال الديك، اسمها إذا لم تخنّي الذاكرة بديعة. جرجس مخّول ونعيم صبّاغ الشيوعي من أبناء الوادي. وكان الرفيق (العميد فيما بعد) مفيد عرنوق يُقيم في حلب، يعمل موظّفاً لدى الريجي وزوجته من عائلة رفقة.

كنّا نحن الثلاثة، فؤاد وجرجس عرنوق وأنا، إذا نزلنا من الكلية في يوم العطلة ولم نتناول طعامنا وجيوبنا خاوية، نحطّ رحالنا في البيت الّذي يرحّب بنا ويطعمنا بلا أدنى شعور منّا بالحرج تجاه هذا الأمر.

كان الضابط البيطار يدرّس مادة الطبوغرافيا ويعطينا وظائف لعمليات حسابيّة، وحيث أنّه من طبيعة الشخصيّة العسكريّة أنّها لا تقبل المناقشة، وإذ أنهيت وظيفتي الحسابيّة بنتائج صحيحة ولكن بطريقة تُخالف الطريقة الّتي وضعها المدرّب البيطار، فإنّه لم يقبل بها. وفي نهاية هذه المرحلة الّتي كانت مدّتها أربعة أشهر، كان البيطار نفسه هو الّذي يختبر الطلّاب، وكانت المفاجأة بالنسبة لي عندما سألني عن انتمائي الحزبيّ، فلم أنكر.. وكان هادئاً مهذّباً، لم تبدُ عليه علائم الاستغراب ولا الغضب. حينها كان باب الغرفة مفتوحاً وبعض الطلاب بقربه، وكان أحدهم شيوعيّاً فتلقّاني مُعلناً أنّه عرف صفتي الحزبيّة، فما كان منّي إلّا أن أعلنتُ ذلك لكلّ الطلاب، فلم تكن هناك أيّة نتائج عكسية تُذكَر. وفي نهاية المرحلة، وباعتبار أنّي أحمل شهادة الثانويّة العلميّة، فقد تقرّر نقلي إلى مدرسة المدفعيّة في قطنا لإتمام الدورة... عندها افترقت عن فؤاد وجرجس.

مدرسة المدفعيّة

تبعد المدرسة في قطنا عن دمشق مسافة أربعين كيلومتراً، وقد أصبحت فيما بعد مدينة قطنا. تقع هذه المدرسة في ثكنة بعيدة عن مباني القرية، وهي

ساحة واسعة تحتوي على بعض الغرف الصغيرة وقاعة للتمارين النظريّة في علم مدفعيّة الميدان، وهي عبارة عن سلك طويل برأسه قطعة حديديّة صغيرة تمثّل القذيفة، يقوم الطالب بإعطاء الإحداثيّات ويُسقِط السلك على الموقع الهدف، وهذه الطريقة منذ عهد الوجود الفرنسيّ. كانت هذه مرحلتنا الأولى في التدريب، أمّا المرحلة الثانية فكانت على أرض الواقع الميدانيّ.

كان الجهاز المشرف مؤلّفاً من ضابط برتبة مقدّم لم أعد أذكر اسمه، وكان المدرّبون الملازم أوّل عبد الله حبيشي، الملازم أوّل وليد عزّت وملازم أوّل من عائلة الزعبي لم أعد أذكر اسمه. كان الأقدم بينهم هو الضابط حبيشي من اللاذقيّة، وكان عدد الطلاب ثلاثين طالباً، أذكر منهم مطر حلاس الجفيل من دير الزور والّذي أصبح ضابطاً عاملاً، أحمد نامي (شركسي) أيضاً أصبح ضابطاً ومحمد الحريري من درعا. كوّنّا نحن الثلاثة مجموعة صداقة ومعنا جرجس مخول. لاحقاً شارك محمد الحريري بمحاولة الانقلاب مع جاسم علوان وهرب إلى مصر، فالتقيته هناك في العام 1967، ثمّ عاد إلى الوطن وأصبح محامياً.

أنا وصفتي الحزبيّة والرسوب

لم يظهر لي أيّ تصرّف من المدرّسين يميّز بيني وبين الطلّاب الآخرين إلّا حين دخلت قاعة الاختبار لاجتياز المرحلة الثانية في دمشق، وكانت المرحلة الأولى في حلب. أدّيت التحيّة العسكريّة ووقفت مستعدّاً، لأُفاجَأ بنبرة اتّهامات بالخيانة والعمالة موجّهة للحزب وزعيمه تنطلق بها حنجرة الحبيشي ويردّدها معه الزعبي، وأنا أقف مصدوماً مهدّداً بالسجن أو بالرسوب في المرحلة كعسكريّ، وبالتالي بدل أن أؤدّي الخدمة برتبة ضابط أؤدّيها برتبة جنديّ. لم يكن بإمكاني عندها الردّ سلباً أو إيجاباً، لأنّ الأمر ليس حواراً ولا سؤالاً يُجاب عليه. وهذا ما كان يختلف عن طريقة الضابط المثقف البيطار الّذي واجهني بالسؤال عن صفتي الحزبيّة أثناء الاختبار. وبعد هذه الجولة، أمرني بالانصراف وأنا في حالة من الغيظ والشعور بالخوف من نتائج غير محسوبة!

لم تطل فترة القلق هذه طويلاً، فقد حضر إلى المدرسة مجموعة من طلاب الكليّة الحربيّة، وتمّ تكليف الحبيشي ومجموعته بالإشراف على تدريبهم وتكليف وليد عزّت بالإشراف على مجموعتنا نحن الاحتياط، وقد تمّ كلّ هذا قبل أن تنتهي تلك المرحلة بنتائجها.

مع وليد عزّت

وليد ضابط درس العلوم العسكريّة في الباكستان، يجيد اللغة الإنكليزية ويقوم بترجمة النشرات المرافقة للأسلحة الّتي كانت تأتي في تلك الأيّام من تشيكوسلوفاكيا، وكان يقوم بعمله ليلاً ونهاراً. من الناحية العسكريّة هو الضابط العالم بأمور العلوم العسكريّة نظريّاً وتطبيقيّاً، وفي السلوك كان قائداً وإنساناً.

بعد أدائي الخدمة الإلزاميّة التقيتُ هذا الضابط طالباً معنا في الجامعة، والتقيناه ضابط أمن في القنيطرة عندما قمنا برحلة إلى حمّامات الحمّة كطلاب، وكان هو من يمنح الموافقة بالمرور إليها وقد لحق بنا ليشاركنا رحلتنا. ثمّ عرفناه لاحقاً كفنّان تشكيليّ يرسم لوحاته بالألوان المائيّة ويقوم بمعارض عدّة، ومؤلّفاً لكتاب جلجامش رسماً بالاشتراك مع الرفيق المهندس قاسم شوّاف كتابةً، وقد رحل عن عالمنا بمرض عضال باكراً.

الخدمة في الميدان

بعد انتهاء الدورة التدريبيّة، والّتي استغرقت السنة الأولى من الخدمة، جاء فرزي إلى وحدة مدفعيّة الميدان الّتي يقع مركز قيادتها قرب بقعاتا الواقعة شمال القنيطرة على مسافة ستة كيلومترات. ولكن قبل التحاقي كُلّفت بالالتحاق بمعسكر القنيطرة رقم (2) خارج البلد للعمل على تدريب عناصر من المجنّدين الأغرار، يشاركني اثنان من الضباط الحديثي الخدمة. ولمّا كان تعداد الأغرار يبلغ ثلاثمئة، فقد كانت حصّة كلّ واحد منّا مئة مجنّد.

كان آمر الدورة حينها المقدّم محمد خير بدوي الّذي أصبح لفترة وزيراً

للداخلية، وكان معاونه الرائد صلاح جديد الّذي كان يقضي أغلب وقته في العمل، وهو المشرف الفعليّ على هذه الدورة وصلِتُنا نحن المدرّبين كانت به مباشرة. أمّا خير بدوي، فكان يقضي وقته بالزيارات خارج المعسكر.

كان هؤلاء المجنّدون من مختلف مناطق الوطن، إنّما كان ملفتاً أنّ عدداً من أبناء الفرات والجزيرة ممّن يمارسون بعض الطقوس الدينيّة الخارجة عن تفسيرات العقل، وأغلبها حلقات الذكر التي يغيب فيها الذاكر عن الوعي ملتحقاً بأرواح أخرى! ويمكن أن يستعمل سيخاً (الشيش) لإدخاله في جسمه من دون أن يتأذّى، كما كان منهم من يتعامل بالأفاعي والعقارب من دون أن يخشى لدغةً أو وخزة!

من الأحداث والنوادر التي مررنا بها أنّني كنت في أحد أيام الدورة أعطي درس قتال على الطبيعة، فحدث هرج بين المجنّدين فقيل لي إنّه توجد أفعى. وإذ بالمجنّد أنور، وكان يطلق لحيته، يقول أرجو أن تتركوها لي، إلّا أنّه انشغل وأشغل الآخرين، فأمرته أن يقتلها أو يتركها، إلّا أنّه حاول الممانعة معلّلاً ذلك أنّه يريد أن يقوم بتربيتها في صندوق ثيابه لتحمي أغراضه من السرقة. وطبعاً هذا أمر خطير يرتّب عليّ مسؤوليّة قد تقودني إلى الخضوع للمساءلة. لذلك لم أوافق على طلبه، فأمرته بقتلها أو رميها، فأراد أن يتحدّاني ويرهبني، وإذ به يضع رأس الأفعى بين أسنانه ويضغط عليه ويقتلها ملتفتاً إليّ بنظرة تحدٍّ، إلّا أنّني قلت له بكلّ برود «ارمها»، فأنا ابن المنطقة وعائلتنا هي عائلة «أبو الحيايا» وكان قد نُقش على مدخل واجهة بيت جدّي رسم حيّتَين متقابلتَين تلتفّان على أسدَين بمواجهة بعضهما، لذلك فإنّ الأمر لم يكن غريباً أو مرعباً بالنسبة لي.

كذلك كان بين المجنّدين واحد من منطقة الساحل، كبير السن مقارنةً بالآخرين، ضعيف البُنية حين بداية الدورة لكن جسمه أخذ بالتحسّن، تبيّن لاحقاً أنّ الفقر كان أشدّ قسوة وحرماناً عليه، فلا غذاء ولا كساء ولا تعليم.

كان المجنّدون يتوقّعون فترة عطلة وإجازة عندما أقبل العيد، إلّا أنّ التعليمات كانت تقول إنّ الإجازة بنسبة 10 %، وهم لا يعلمون بذلك طبعاً. يومها جاءني

عريف المهجع ومعه هذا المجنّد باكياً يقول إنّ مبلغ ثلاثمئة ليرة قد سُرق من صندوقه، وكان راتب المجنّد آنذاك سبع عشرة ليرة مع كميّة من الدخان والصابون والطعام، وكان يبيع الدخان، ومع الراتب تجمّع معه هذا المبلغ. قال العريف وهو يحمل مبلغاً من المال: "جُمع هذا المبلغ من المجنّدين كتعويض عمّا فُقد". وكنتُ قد أعلنت أن لا إجازة حتى يعود المال المسروق. فذهبت إلى صلاح جديد أُعلمه بالواقعة وقلت له إنّ المجنّدين جمعوا قسماً من المبلغ كتعويض لهذا الفقير المُعدَم، إلّا أنّ صلاح ردّ عليّ قائلاً: "تذهب وتُعيد ما جُمِع". فأجبته بأنّ المجنّد فقير مُعدَم. أصرّ على إعادة ما جُمِع مبيّناً: "بكرة كل يوم بيجي واحد يقول انسرق منّي مصاري.. رجّع اللي انجمع". فأمرت العريف بإعادة ما جُمِع، لكنّهم رجعوا إليّ يقولون إنّ مبلغ المجنّد قد عاد إليه"، فردّ هو قائلاً: "لكنّه مبدّل يا سيّدي"... فأدركت أنّهم جمعوا له كامل المبلغ.

إرهاب الضباط المدرّبين

كنّا عائدين من الغداء الّذي نتناوله في نادي الضبّاط في القنيطرة ظهراً والجوّ شديد الحرّ، وإذ دخلنا المعسكر وجدنا أنّ عدداً من هؤلاء في حالة من الوجد والقيام بحركات تدلّ على غيابهم عن الواقع، فعلمت أنّ هؤلاء قد فُرضَت عليهم عقوبة عدم الاستراحة وقت الظهيرة والاستمرار بالتدريب، ومن هنا جاءتهم هذه الحالة ردّاً على العقوبة.

صاح الضابط المعاقَب بالسائق أن يقف، فطلبتُ منه تركهم وعدم مواجهتهم، إلّا أنّه نزل من السيارة فذهبتُ إلى غرفتي مُلقياً بجسدي على السرير... لحظات وإذ بي أسمع ضجيجاً متّجهاً نحو الغرفة. نهضت لأجد الضابط ومجنّداً من البصيرة من عائلة سيّد رجب الراوي، وهم من أصحاب إحدى الطرق الدينيّة، وكان كلّ منهما يتمسّك بسيخ حديديّ من قضبان السرير العسكري.. تساءلت: «ما بكم؟». فقال المجنّد: «هذا لي يريد أن يأخذه». استدرك الضابط موقفه فوضع السيخ من يده قائلاً إنّه أراد أن يراه إلا أنه لم

يسمح لي. أخذت السيخ ثمّ أعدته إلى المجنّد الّذي قام بوضعه باتجاه بطنه بعد أن حلّ أزرار قميصه واتّجه بالطرف الآخر نحو الجدار، وقام بدفع جسمه مرّة وثانية، وإذ بقسم من السيخ يظهر من ظهره وبقي يُمسِك بقبضة يده وتقدّم منّي طالباً سحبه من جسمه، وفعلاً حدث ذلك بمساعدة عنصر أمسك بكتفَيه. كانت هذه الحادثة كافية أن تجعل من الضبّاط المدرّبين خائفين بالنسبة للعناصر فيتعاملون معهم بما لا يزعجهم.

نتابع أحداث هؤلاء الخوارق عندما انتهت الدورة، فقد كان نصيبي من هؤلاء الّذين اصطحبتهم إلى حيث القطعة الّتي التحقت بها الحصّة الأكبر... كلّ ذلك حسب مرور الأفكار وحسب الزمن...

كان رئيس القطعة المُقدّم سهيل عقيل من عائلة محترمة من إدلب، مثقّفاً هادئ الطبع، علم أنّ هذه المجموعة تُقيم حلقات الذكر فطلب منّي إحضارهم إليه، وأردت ألّا يتمّ هذا اللقاء لما أعرفه عن عقليّة هذه المجموعة، إلّا أنّ إصراره جعلني أنفّذ الأمر. وجرى الحوار... هو يتكلّم كمثقّف وأنّ هذا ليس من الدين، كما أنّه وجّه السؤال إلى أنور المُلتحي أبو الحيايا بالقول: «لماذا اللحية؟». وخرجنا بعد أن طلب أنور مخصّصات إضافيّة من الصابون من أجل اللحية، غير أنّ آخر من المجموعة قال: «لو علّقت لي ثلاثة عيدان، لا بُدّ أن أقوم بالحلقة والذكر ليل الجمعة». فكان الردّ عليه: «إذن اذهبوا بعيداً عن ميدان المعسكر».

بعد عدّة أيام كنتُ والضابط المصري أحمد دسوقي نقف سويّة، يقابلنا أنور واضعاً «عربيداً» على رقبته، كأنه جناد، بذات اللحظة مرّ المقدّم وعند مشاهدته هذا المنظر أخذ بالابتعاد عنّا.

آمر أو قائد سريّة القيادة

ذكرت أنّ قائد فوج المدفعيّة المتواجد في بقعاتا كان بإمرة المقدّم سهيل عقيل، وكانت توجد سريّة مدفعيّة بقيادة ملازم أوّل كنيته الأقرع من أرياف حلب،

ومعه ضابط من حلب كمعاون، وكلاهما قول بلا فعل. كان همّ الأقرع أن يضع مكبّر الصوت في الساحة، وأنا فوق الأهرام وأمامي بساتين الشام، للدلالة على وطنيّته وحبّه للوحدة المُعلَنة حديثاً.

كما كان في القطعة ضابط مجنّد بصفة طبيب من حلب، وضابط متطوّع من الساحل أذكر أنّ اسمه يوسف السهلي أو الساحلي، ضابط آليات بسيط طيّب القلب، وأنا المرشّح، وهي الرتبة الأعلى بين الرتباء والأقلّ من رتبة الضابط، بحيث أصبح ضابطاً عند انتهاء الخدمة. هذه الرتبة الّتي تتعامل عملياً كضابط محسودة من قِبَل الرتباء ويحاولون إفشالها لما لها من خدمة ومعرفة بأمور القطعة، وهي من تُمسك بالأمور الإداريّة والماليّة، ومع هذا يتعامل معها الضبّاط كرتبة أدنى.

مع هذا، كُلّفت بإمرة سريّة القيادة الّتي تتبع لها المكاتب الإداريّة والماليّة ووحدة الآليّات الّتي يُشرف عليها ضابط الآليّات، وكذلك الوحدة الصحيّة بإمرة الطبيب. بشخصيّتي وإدارتي استطعتُ أن أجعل رؤساء المكاتب يستسلمون لإدارتي وإشرافي، كما أنّني في حقل الميدان العمليّ والرماية الحقيقيّة تفوّقت على كثير من الضبّاط العاملين.

كما كانت سريّة ثانية فيها ضابط من حماة اسمه واصف محمود، طيّب المعشر، يعمل معه ضابط مصريّ ومرشّح هو الرفيق جرجس مخول. وكان معنا في القيادة حديثاً ثلاثة ضباط، أحدهم برتبة رائد وهو معاون قائد القطعة واثنان آخران، علماً أنّ أغلبهم قد تواجدوا قبل إعلان الوحدة ببطاقة خبير، وكلّ خبرتهم هي كتابة التقارير!

أنا وعبد الناصر والإصلاح الزراعي

كنّا مجموعة ضباط الوحدة نجلس إلى طعام الغداء في مطعم الوحدة المخصّص، ليُعلن الراديو البدء بخطاب للرئيس جمال عبد الناصر، فجمدنا في مقاعدنا ولم يعد أيّ منّا قادراً على المغادرة، ما عدا الضابط واصف الّذي كان

قد تدبّر أمره بأن طلب من أحد العسكريّين أن يبلغه بأنّه مطلوب على الهاتف.. وهكذا غادر وعلى وجهه ابتسامة شامتة.

بعد ساعات انتهى الخطاب بإعلان قانون الإصلاح الزراعي في الإقليم الشمالي. وبينما نحن نغادر المطعم، حضر إلينا الضابط المصريّ قائلاً بأعلى صوت، موجّهاً كلامه لنا: «صدر قانون الإصلاح الزراعيّ». فقلت له: «نحن لسنا بحاجة لقانون إصلاح زراعيّ.. إنّ لدينا أملاك دولة لو أردنا توزيعها لما وجدنا لها أحداً». فردّ عليّ: «إنتَ إش عرّفك؟». فقلت: «بلدنا ونحن أعرف بها».

في هذه الفترة كان قائد القطعة قد غادر المعسكر بإجازة قصيرة، وأصبحت القيادة بإمرة المعاون المصريّ. عندها اتّصل بي المرشّح الرفيق جرجس يسألني: ماذا بينك وبين هذا المصري؟ إنّه يسأل عن اسمك ويكتب شيئاً لا أعرف ما هو». في اليوم التالي، حضر يحمل مُغلّفاً وطلب من المعاون إرساله إلى المخابرات، ثمّ جرى بينهم حوار بالهاتف وكان جرجس يستمع إليه، ففهمنا أنّ المصريّ يقول إنّني شتمت عبد الناصر ويستعجل إرسال التقرير، والمعاون يقول له إنّه لم يبدُ منّي ما يُشير إلى ذلك، ومع هذا كان يُلحّ بإرسال التقرير.

في الصباح الباكر من اليوم التالي، كنتُ بانتظار وصول المقدّم سهيل، الّذي لم يتأخر لأبلغه بالأمر، وحال دخوله مكتبه استدعى الضابط والمعاون وعمل على إنقاذي من اعتقال وتحقيق يثبت أو لا يثبت ما ورد في التقرير، فأقبع في السجن أشهراً حسب ما أفاد ناصحاً المقدّم الشهم.

كان هذا الحدث في الأيام الأخيرة المتبقّية لنهاية الخدمة الإلزاميّة، حيث تسلّمت وثيقة ببراءة الذمّة وتنويه «جيد جداً» بأداء الخدمة.

العودة إلى الجامعة

في بداية العام 1959 عدتُ إلى الجامعة بعد انتهاء الخدمة الإلزاميّة الّتي دامت عامَين كاملين، وعدتُ وأنا برتبة ضابط احتياط ما يعني أنّني إذا تمّ استدعائي إلى الخدمة الاحتياطيّة، أُستدعى برتبة ضابط وليس مرشّحاً.

التحقت بالسنة الثانية، باعتبار أنّني كنتُ قد اجتزتُ السنة الأولى قبل الخدمة العسكريّة، وكانت الوظيفة الّتي عملتُ بها في مشفى المجتهد التابعة لمنظمة الصحّة العالميّة لمكافحة السلّ هي بناءً على عقد سنويّ لم يتجدّد، كما وأنّ واسطتي الدكتور بدري عبّود لم يعد وزيراً.

كنتُ ألتزم بدوام الجامعة فترة، وأقضي الأخرى في البيت بدير الزور الّتي كانت تشهد طقساً قاسياً لم نخبر مثيلاً له.. قحط، انحباس المطر كليّاً مع غبار فظيع نسمّيه «العجاج»، مهما حاولنا وصفه فإنّنا نعجز عن ذلك.

كان يبدأ يومنا عند الظهيرة أو قبلها بقليل، فتتلبّد الغيوم في السماء ليبدأ تساقط المطر رذاذاً، ثمّ تتزايد شدّته حتى أوائل الليل، ولكن بدل ماء المطر كان يهطل علينا التراب والرمال. وإذ تأقلم الناس مع هذه الحالة، كانوا يذهبون لقضاء حوائجهم نهاراً وفي الليل يبدؤون بجمع الرمال من البيوت ورميها أكواماً في الشارع، ومن ثمّ تنظيف البيوت والاستحمام من أجل النوم لعدّة ساعات.

دير الزور بلد زراعيّ يهتم بزراعة الحقول المرويّة بماء الفرات والبعليّة بمياه الأمطار، وقد أتلف هذا الطقس المليء بالرمال المحاصيل، وبالأحرى لم يعد بالإمكان زراعة شيء. ولمّا كان الاقتصاد الزراعيّ يؤثّر بالحيوانيّ، فقد قُضي على هذه الثروة وأصبح مربّو الأغنام من أفقر الناس تموت ماشيتهم أمام أعينهم ولا يستطيعون لها حفظاً. حتى أنّ الكثير من هؤلاء كان يجلب الغنمة إلى البلد، ويطلب من يأخذها ليطعمها بدل أن تموت بين يديه، وفعلاً كان بعض الأهالي قد أخذ بعض هذه الأغنام وأطعمها من الفضلات.

كان يجبرنا هذا الطقس على مغادرة دير الزور، فنقضي الأيام الدراسيّة مُلتزمين بدوام الجامعة على الرغم من أنّه ليس إلزاميّاً.

في العام 1960 أصبحت في السنة الجامعيّة الثالثة، وترشّحت لاتحاد الطلبة في الجامعة لجهة اللجنة العسكريّة وفزت بالترشيح. بعدها انتظرت دعوتي لحضور اجتماع أو نشاط للطلبة، فكان معسكر الطلبة الجامعيّين في مدينة

الإسكندريّة في مصر، فوجّه إليّ السؤال فيما إذا كنتُ أرغبُ بالمشاركة، علماً أنّني عضو الاتحاد عن اللجنة العسكريّة وهذه المشاركة حُكميّة، ومع ذلك أجبت برغبتي في المشاركة، لكنّني لم أتلقَّ أيّ ردّ ولم أُدعَ نهائياً. لهذا تركتُ الاتحاد واللجنة، إذ إنّ هويّتي لا تسمح لي أن أمثّل الطلبة أو غيرهم في ظلّ حكم الوحدة.

العودة إلى التدريس

لم تكن الإمكانات الماديّة تساعدني على البقاء بعيداً عن طقس دير الزور ومتابعة الدراسة، لذا عدتُ إلى البيت إلى أن جاءني طلب للعمل كمدرّس في مدرسة النجاح الخاصّة الّتي يملكها الفلسطيني محمد علي عودة، وهو مديرها، فاشترطتُ أن أغادر المدرسة عندما تبدأ امتحانات الجامعة.

الصدام مع المفتّش التربوي والثناء

حضر المفتّش الأستاذ عبد الرحمن أبو صالح واطّلع على التحضيرات المتوجّبة على المدرّس، فاختلفنا حول وجوب تكليف الطلاب بالوظائف المنزليّة. هو يعتبرها شرطاً تربويّاً، وأنا أعتبرها جهداً بلا فائدة، وهدّد المدرسة بتغييري إذا لم أستجب لملاحظاته.

كذلك طلب حضور درسٍ عمليّ وجلس في آخر مقعد، ولم يطل به المقام إلا بضعة دقائق حتى قام شاكراً. ثمّ دعا المدرّسين كافّة إلى اجتماع مسائيّ، وكان من بينهم مصريّون. فصبّ هجومه وملاحظاته على الجميع وخصوصاً المصريّين، الّذين كانوا حسب ملاحظاته يتكلّمون باللهجة العاميّة المصريّة خلال الحصّة الدرسيّة. انتهى الاجتماع وذهب إلى مديريّة التربية حيث كان بانتظاره المدير، ليسطر توبيخاً لكافّة المدرّسين وثناءً للمدرّس عبد الوهاب البعاج.

تركت العمل مغادراً إلى دمشق في نهاية السنة الدراسيّة، حيث امتحانات الجامعة الّتي تكلّلت بالنجاح (قرار الجامعة 247 تاريخ 1961/08/06 الدورة 1961/60).

بعد تخرّجي من الجامعة طلبت من أهلي أن يرسلوا لي الأوراق اللازمة للتسجيل في نقابة المحامين، وكانت دير الزور تتبع إلى نقابة دمشق (حسب سايكس بيكو كان يوجد ثلاث نقابات: دمشق وحلب واللاذقيّة). فعدتُ في آب 1961 محامياً متدرّباً في مكتب الرفيق خضر البطاح الحصني، الّذي كان يعمل به جدّي محمد كامل بعّاج كمحامٍ، وبقيت إدارة هذا المكتب لعمّي تاج الدين، علماً أنّ جدّي هو خال الأستاذ خضر ومدرّبه.

المُحاماة والانفصال

في الرابع عشر من آب 1961، وبحضور المحامي الأستاذ نزار بقدونس، نائب نقيب المحامين في دمشق، أدّيت قَسَم اليمين أمام محكمة الاستئناف كمحامٍ متدرّب، ثمّ غادرت عائداً إلى دير الزور لأباشر العمل في اليوم التالي في المكتب تحت إشراف الرفيق خضر البطاح.

في 28 أيلول كنتُ أرافق محكمة الاستئناف لإجراء كشف في منطقة السوسة المُحاذية للحدود العراقيّة، وكان القاضي المُستشار محسن الخيّر، وهو من اللاذقيّة، مكلّفاً بالعمل، وأنا أمثّل الفلّاحين وميخائيل ميخا ممثّلاً للإصلاح الزراعيّ ومعنا بعض الخبراء. وكنّا نستمع خلال فترة طريقنا بين القرى إلى الراديو يُذيع بلاغاتٍ وأخبار الانفصال عن الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بين التصديق وعدم التصديق والاستغراب! ولكن، بعد أيّامٍ قليلة توضّح الأمر وتأكّد حدوث الانفصال.

المُحاماة والتدريس

كانت نسبة المصريّين العاملين في مدارسنا عالية، وما أن جرى تسفيرهم إلى مصر حتى وجدت مديريّة التربية نفسها عاجزة عن تأمين الشواغر التي تركها سفر هؤلاء المدرّسين، ما اضطرها إلى الاعتماد على كلّ من لديه خبرة في هذا المجال من أجل سدّ الفراغ، وكنتُ أحد هؤلاء، فكُلّفت بتدريس بعض المواد في إعداديّة الأمين حتى تمّ تأمين الكادر الرسميّ.

أمّا مدرسة النهضة للبنات، الّتي كانت تتبع لجمعيّة النهضة النسائيّة وتُشرف عليها كلّ من السيّدتَين وداد طبّال وخديجة العبد الله، وكلتاهما زميلتان في كليّة الحقوق ومن سيّدات البلد المعروفات، فقد طلبت منّي من خلال الزميلتَين أن أقوم بتدريس مادة الرياضيات بحكم شهادتي الثانويّة العلميّة، وذلك للصف السابع أو الثامن، لم أعد أذكر تماماً، وقد استمرّ هذا حتى نهاية العام الدراسيّ.

وبما أنّ هذا العمل يُخالف القانون الخاصّ بالمُحاماة، وعلى الرغم من أنّ تكليف مديريّة التربية كان رسميّاً، فإنّه لم يُصرف لي أيّ أجر لقاء ذلك، كما أنّني لم أُطالب بأجر. أمّا جمعيّة النهضة النسائيّة، فكنتُ أعلم مُسبقاً أنّه عمل تبرّعيّ، وذلك بسبب العلاقة الّتي ربطتني مع إدارتها، ولأنّهم لم يملكوا المال وقتها.

في 15 أيلول من العام 1963، أي بعد مرور عامَين كاملين أثبتّ فيهما قدرتي على الاستقلال بالعمل، انتقلت إلى جدول المحامين الأساتذة وبقيت في نفس المكتب حتى منتصف العام 1964 حيث استأجرتُ مكتباً مستقلّاً.

المكتب والتأسيس

انفصلت مستقلاً عن مكتب جدّي الّذي يُديره عمّي ويشغله أستاذي خضر، وهو عبارة عن دكّان بطاولة واحدة ومقاعد عدّة، وقد كانت غالبيّة مكاتب المحامين على هذا الشكل، باستثناء عدد من المُحامين الّذين كانوا يشغلون مكتباً رسميّاً من عدّة غرف، كما أنّ هؤلاء كانوا يتواجدون في مكاتبهم ليلاً بقصد الدراسة والمراجعات.

قرّرت أن أُؤسّس مكتب مُحاماة، فكان يبدأ العمل صباحاً بين المكتب والمحاكم حتى نهاية الدوام، كما يبدأ مساءً ويستمرّ على الأقلّ ثلاث أو أربع ساعات. وعلى الرّغم من أنّ حجم العمل لديّ قليل، فقد كنتُ أستغلّ وقتي في الدراسة القانونيّة من أجل الإحاطة بكلّ جوانب هذا العمل العلميّ الواسع، وشرعت في كتابة بعض المقالات الحقوقيّة لتُنشَر في مجلّة «المحامون».

لم يكن هذا الجهد بلا مردود، فقد أصبح للمكتب مراجعون وموكلون ودعاوى، وهذا يعني مردوداً وإن لم يكن يوازي الجهد من حيث القيمة الماديّة.

مصر ومؤتمر المحامين 1967

كانت حريّة المشاركة في مؤتمرات المُحامين مُتاحة ما دام المشترك قادراً على دفع كامل التكاليف. وكان مؤتمر العام 1967 في القاهرة وبرعاية عبد الناصر. ومع علمي أنّني كنتُ ممنوعاً من دخول مصر، إلّا أنّني اشتركتُ للذهاب إلى هذا المؤتمر، وكان عدد من المُحامين والقضاة من دير الزور من ضمن المشاركين، أذكر منهم علاء الدين طبّال، مرعي عبد الله، أحمد رمزي، رشيد دهمش، سعيد مدلجي، عارف عليوي، بديع ملحم، خالد نظام ورياض سبع الدير. وكان أيضاً الرفيق صالح عبّود وزوجته، ربما بدعوة من عديله الوزير السابق أحمد حنيدي اللاجئ حينها في مصر، كونه من وزراء الوحدة ومن الضبّاط الّذين أقاموا هذه الوحدة.

وقفة احتجاج في المطار

حطّت الطائرة السوريّة الّتي كانت تقلّنا، فتسلّم الجميع جوازات سفرهم ممهورة بتأشيرة الموافقة على الدخول إلّا أنا. سألت أين جواز سفري؟ فأجاب المسؤول: «قليلاً». هذا القليل استغرق وقتاً يتجاوز النصف ساعة وزملائي لم يغادروا القاعة... أخيراً أبلغوا المسؤولين ما مفاده إمّا أن يسمحوا لي بالدخول أو يُعادوا جميعاً إلى الطائرة.. فجاءني جواز السفر وعليه تأشيرة الدخول.

كنّا قد اتّفقنا، علاء ومرعي وأنا، أن نكلّف زميلنا عبد الحميد الصالح الّذي يُقيم في القاهرة لدراسة الدكتوراه في الحقوق بإيجاد شقّة نُقيم فيها معاً بدلاً من الفندق. علماً أنّ مدّة المؤتمر كانت وقتها حوالي الأسبوعين، بدءاً من 22 شباط، وكانت شقّتنا المستَأجَرة في ميدان المساحة – الدقّي.

افتتاح المؤتمر

كان المؤتمر برعاية وحضور جمال عبد الناصر شخصيّاً، وكانت الإجراءات الأمنيّة مشدَّدة حول جامعة القاهرة – مكان الافتتاح، كذلك كانت طريقة الدخول إلى قاعة المؤتمر.

وقف المحامون صفّاً أُحاديّاً للدخول من باب الجامعة الصغير، وكان المحامي أو المُشارِك يُبرز هويّته لعناصر الأمن ليتأكّدوا منها. وعندما جاء دوري، وكان خلفي الأستاذ أحمد رمزي مباشرةً، وهو من قيادات الناصريّين في دير الزور، أبرزت هويّتي بِاسم عبد الوهاب البعّاج، وإذ بالعنصر يحمل ورقة صغيرة ويسألني: عبد الوهاب جلال الدين محمّد كامل؟ فقلت: «مزبوط». أي الاسم مع الوالد والجدّ.. هنا احتجّ الأستاذ رمزي قائلاً: «شو هالإجراءات البوليسيّة؟!». فردّ عليه عنصر الأمن: «امشي مش شغلك».

أشار إليّ ورافقني إلى الباب الكبير حيث يقف شخص يضع إشارة المؤتمر، فأشار إليه وإليّ أن نتوجّه إلى القاعة، وكان هذا العنصر يُتابعني حتى استقام به المقام بالقرب منّي.

يوجد مسرح في هذه القاعة الكبيرة أمام الجمهور ومقصورات عدّة قريبة منه، وفي الجهة المقابلة توجد شُرفة عالية كان فيها مجموعة من الشباب، ذكوراً وإناثاً، ليسوا من المؤتمر إنّما ستظهر لنا الحاجة لوجودهم.

وقف عبد الناصر، وعلى خلاف عادته ألقى كلمة قصيرة لا تتجاوز مدّتها عشرة دقائق، وفي هذه الأثناء وقف أحد المحامين العراقيّين مخاطباً الرئيس، يريد أن يقول كلمة له، فأُشير إلى الشرفة الخلفيّة حيث بدأ هتاف وتصفيق والمحامي واقف يكرّر كلمة: «يا سيادة الرئيس»، والهتاف يرتفع مع التصفيق حتّى لم نعد نسمع حتّى أصواتنا. ولمّا لم يستجب الرئيس، اتّجه عناصر الأمن الذين يملؤون قاعة المؤتمر على أنّهم أعضاء مشاركين بقصد إخراج المحامي العراقي، ما اضطرّ الأخير للجلوس من دون أن يوصل الرسالة الّتي كان يريدها.

برنامج المؤتمر

كانت نشرة برنامج المؤتمر الّذي ابتدأ يوم 22 شباط 1967 واستمرّ مدّة أسبوعَين، كما ذُكِر سابقاً، تتضمّن، كما وضعتها السلطات المصريّة بالتوافق مع اتّحاد المحامين، زيارة منشآت استراتيجيّة مثل معامل الطائرات – الصواريخ (الناصر والظافر)، الصلب والحديد (إنتاج حربي) والسيارات (نصر).

فوجئنا بتعديل هذا البرنامج وإلغاء زيارة تلك المعامل، عدا معمل الصلب الّذي وجدناه يصنع عبوات الغاز بدل الصناعات الحربيّة، واقتصرت الزيارات على معمل الشبراويشي للعطورات والحفلات الترفيهيّة، إلّا أنّنا نحن (علاء طبّال، مرعي عبد الله وأنا) قمنا بزيارة خاصة إلى معمل السيارات بناءً على دعوة خاصّة أمّنها عبد العزيز يحيى الجابر، الطالب الدارس في القاهرة مع أستاذه الّذي يعمل أيضاً مديراً للمعمل. وجدنا المعمل متوقّفاً عن الإنتاج، وخصوصاً السيّارات السياحيّة التي يستوردها قطعاً من إيطاليا (فيات) ويجمعها بِاسم «نصر». أمّا «هنشل» الألمانيّة، فكانت تُرسل لمصر بمعدّل شاحنة واحدة في اليوم، ولم نستطع مشاهدة المعمل بآلاته وإنتاجه واقتصرت زيارتنا على مكتب المدير، إذ تبيّن أنّ جهاز الأمن في المعمل لم يسمح لنا بأكثر من ذلك، وعدنا بهذه المعلومات فقط.

عند انتهاء المؤتمر غادر الزملاء المُحامون القاهرة، وبقيَ علاء طبّال الّذي سبق وأقام في القاهرة كعضو في مجلس الأمّة أيّام الوحدة ممثّلاً عن دير الزور، كما بقي سعيد المدلجي، وأنا بدوري رغبةً منّي بالاطّلاع والتعرّف على مصر الّتي يصوّرها لنا الإعلام والسينما المصريّة الرائجة آنذاك على أنّها أمّ الدنيا، ولأنّني ممنوع عنها بأمر من المخابرات لكوني سوريّاً قوميّاً اجتماعيّاً، وقد وجدت في السّكن الّذي أقمنا به عدّة كتب ونشرات مصريّة تُهاجم الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ.

سوريّون التقيتهم في مصر

التقيتُ في مصر جاسم علوان، المقدّم الّذي حاول إعادة الوحدة بانقلاب فاشل وحُكم عليه بالإعدام إلّا أنّ سلطة دمشق عفت عنه بطلب من عبد الناصر. وبحكم علاقته بعلاء ومرعي أبناء جيل واحد وثمّة صداقة تجمع بينهم، بينما أنا لا علاقة تجمعني به ولا معرفة إلّا من خلال تعليمه لنا في مدرسة «صقر قريش» في الصفّ الثاني الابتدائي، حيث لم يطل ذلك لالتحاقه بالكليّة العسكريّة، فقد دعانا إلى غداء في نادي ضباط الزمالك، وكان الغداء يومها حمام بالفريك وهي أكلة مشهورة في مصر. ولم يتكرّر اللقاء.

الحوراني محمد الحريري، الزميل والصديق في كليّة الاحتياط ومدرسة المدفعيّة، واللاجئ في مصر هرباً من حكم الإعدام لاشتراكه في حركة جاسم علوان الانقلابيّة الفاشلة، وقد التقيته صدفة على الرغم من أنّني حاولت لقاءه ولم أُفلِح، فبقي ملازماً إيّاي مدّة تلك الأيّام الأخيرة الّتي قضيتها في القاهرة، وقد عاد إلى الشام بعد العفو وأصبح مُحامياً في مدينة درعا.

كنت قد ذكرت أنّ عائلة الديري الدمشقيّة هي فرع من عائلة البعّاج الكبيرة، وكنّا على صلة معها من خلال الأخ الأكبر نادر أبو نذير الّذي تزوّج ابنته ضابط المخابرات فوزي الشعيبي، وشفيق. أمّا تيسير، صاحب مطعم «موروكو» في أبو رمانة، فقد كنّا على تواصل دائم معه، وصدف أن التقيته في القاهرة حيث إقامة أكرم الوزير الّذي أصبح لاجئاً، والّذي دعانا إلى الغداء في بيته، ولم يكن لي سابق تواصل معه برغم كونه ضابطاً ذا سلطة في دمشق سابقاً ولم أقم بأيّة محاولة للاتصال به. وبعد دعوة الغداء تكرّرت زيارتي له، وقد حدّثني مع مرّ الشكوى من معاملة المصريّين لهم كلاجئين، وبصفته وزيراً فقد خُصِّص له سكن مُجهَّز وخادمة وسيارة مع سائق وراتب شهريّ.

ولم يكن السائق والخادمة إلّا عبارة عن مخبرَين يُحصيان عليه أنفاسه، وكان المرتّب الشهريّ يُصرَف مع إحساس بالمذلّة، وقد قال «إنّ هذه المعاملة قد تسبّبت بإصابتي بالقرحة المعديّة، وسأعمل على إعادة العائلة إلى دمشق أمّا أنا فسأتدبّر أمري».

حدث هذا وأصبح يعمل لدى المتعهّد الشاميّ المعروف موفق الميداني، الّذي نقل نشاطه الاقتصاديّ إلى سويسرا وبقي فيها حتى وفاته هناك.

ذكر لي أكرم حينها أنّه يتعالج من مرض القرحة المعديّة، وباعتبار أنّني أشكو منذ سنوات من مشاكل معديّة، فقد دلّني على الطبيب أحمد حافظ موسى، وهو طبيب عالميّ كان مشهوراً آنذاك، فذهبت إليه وقام بإجراء التحاليل والصور اللازمة وكتب لي نسختَين من قائمة الأدوية؛ الأولى تُصرَف في مصر، والثانية في سورية لأنّ الدواء فيها كان أفضل آنذاك... كما أنّني اشتكيت من بعض المأكولات، فقال إنّ الطعام عندكم في سورية أفضل.

غادرت القاهرة في أوائل نيسان، لتكون النكسة في الخامس من حَزيران!

كنتُ ذكرتُ أنّ الرفيق صالح عبّود كان مع زوجته في القاهرة، وربّما كان ذلك بدعوة من عديله الوزير السابق، وحين حضر عبد الناصر زائراً إلى دير الزور قام بزيارة خاصّة لهذا الضابط الوزير فور إتمام عملية الوحدة، إنّه أحمد سعيد حنيدي الّذي أصبح لاجئاً بلا عمل بعد حدوث الانفصال.

لقد حوّل عبد الناصر هؤلاء الضبّاط، قادة الوحدات العسكريّة، المسيطرين على الجيش وعبره على السيّاسيّين إلى مدنيّين بِاسم وزراء بعضهم في القاهرة والبعض الآخر في دمشق فور تسلّمه البلاد منهم، وذلك خشية أن ينقلبوا عليه مثلما انقلبوا على سياسيّي الحكم في الشام، وبالتالي يسيطر على الجيش بواسطة ضبّاط مصريّين وآخرين سوريّين ثانويّين، وكان هذا مقتل الوحدة.

وكان قد أبلغني الرفيق صالح أنّه التقى الأمين نوري الخالدي في القاهرة وأنّه قام بزيارته. وإذ كانت معلوماتي أنّ نوري الخالدي المدرّس في الكليّة الأمريكيّة في حلب، القوميّ الاجتماعيّ الّذي سبق أن كان أحد مرشّحي الحزب لانتخابات مجلس النوّاب في الشام قبل مقتل المالكي والملاحَق بأحكام على إثر هذا الحدث، فقد أعطاني الرفيق صالح رقم هاتفه، فاتّصلت به وذهبت لزيارته في منطقة المهندسين، وعرفتُ أنّه يُقيم في أمريكا ويعمل مدرّساً في إحدى جامعاتها وأنّه مكلَّف بالحضور إلى مصر والتدريس في إحدى جامعاتها كإعارة ولتحضير موضوع قد طلبته الجامعة الأمريكية.

بحثتُ والخالدي في مواضيع عدّة تتعلّق بالفكر، فلاحظت تغيّراً في إيمانه من خلال عبارة لفظها: «إنّ من يُقيم في أمريكا ويطّلع على العلوم هناك، يجد تغيّراً على بعض أفكار سعاده». لم أكرّر زيارتي، لأنّني وجدت صورته قد تغيّرت في ذهني، وأتمنّى أن أكون مخطئاً...

الانفصال والانقلاب الفاشل

قامت مجموعة شاميّة الهوى بالانفصال عن الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بتاريخ 1961/09/28، وقد أيّدتها جماعات وأحزاب من ضمنها حزب البعث، بينما ارتدّت عناصر أخرى تطلب إعادة الوحدة... كان هذا في الشام. أمّا في بيروت فؤاد شهاب، فكان النفوذ والسيطرة لعبد الناصر ومحازبيه. وبالنسبة لحزبنا، فكان بين مطرقة عبد الناصر وسندان سجون دمشق الّتي دُكّ فيها القوميّون المحكومون إثر مقتل المالكي، وعلى رأسهم الأمينة الأولى وعصام المحايري.

ومن أجل الخلاص من هذا الوضع، فقد نفّذ الحزب انقلاباً فاشلاً في ليل 1962/01/01، وكانت نتيجته القبض على القيادات القوميّة من أمثال عبد الله سعاده وأسد الأشقر وآخرين كثيرين، وقُتِل عدد آخر وهرب البعض الآخر وتجمّع عدد من القادة في عمّان الأردن.

بالعودة إلى دمشق، فقد تنازع الشعب والوطني على السلطة وهما لا يملكان دعماً عسكرياً، ثمّ كان التوافق بين حزب البعث العربي الاشتراكي ومجموعات الناصريّين ومنهم عسكريّين، فقاموا بانقلاب مع إعلان ووعد بإعادة الوحدة حتّى تمكّن البعثيّون من تثبيت أقدامهم ودعم عناصرهم في الجيش باستقدام عناصرهم الاحتياطيّة، بينما كان الناصريّون مشغولين بالهتاف للوحدة وعبد الناصر في التظاهرات.

عندما أحسّ الناصريّون بأنّهم خُدعوا، قام المُقدّم جاسم علوان بحركة عصيان في حلب كُتِبَ لها الفشل وحُكِمَ على قائدها بالإعدام، إلّا أنّه بوساطة من عبد الناصر نفسه تمّ العفو عنه وتسفيره إلى مصر حيث أصبح لاجئاً هناك.

واستتبّ الأمر للبعث بتاريخ 08 آذار 1963، مع العلم أنّه مع الانفصال عن مصر وثمّ انفصال الاشتراكي العربي (أكرم الحوراني) عن البعث العربي، الّذي أصبح هو صاحب «ثورة الثامن من آذار» بعد خلاف بينهما على القيادة، صدر عفو عن الأمين عصام المحايري في 1964/08/30 مرسوم رقم 677، مع بقاء عقوبة عدم الإقامة في دمشق، حيث غادر إلى المغترب ثمّ إلى عمّان، وعاد إلى دمشق في 1965/11/16 على الرغم من منعه من الإقامة فيها.

كان البعض من قيادات الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ يجتمع في عمّان، وقد مُنِحَ الأمين المحايري سلطة رئاسيّة محدّدة المدّة (سنتان) لإعادة تنظيم الحزب وفقاً لوضع كلّ منطقة.

لم يكد الأمين عصام يتسلّم هذه المهمّة، حتّى باشر بكتابة المنشورات الّتي تُغطّي المناسبات الحزبيّة من ميلاد سعاده في الأوّل من آذار، إلى السادس عشر من تشرين الثاني عيد التأسيس وحتّى الثامن من تموز ذكرى استشهاد المؤسّس. وأخذ يتّصل بالبعض ممّن قام بزيارته للاطمئنان عليه، أو لمباحثته ببعض الأمور السياسيّة، وكانت أولى الاتصالات بشأن إعادة التنظيم برفقاء الجزيرة الفراتيّة مثل فؤاد يونان، إلياس عبد المسيح صبري، عبد الأحد سليمان، كبرو كوركيس (أبو آشور)، حنّا عبود، يعقوب بغدي، عبد المسيح، حبيب ساعاتي، عادل حمّاد وناصر سليمان الّذي كان يعمل محامياً للدولة. إلّا أنّ الأمين المحايري لم يراعِ السريّة في أعماله، ما جعل السلطات تعتقل البعض وتحيلهم إلى المحاكمة. وإذ إنّه لم تثبت الإدانة وقتها، فقد أصدر قاضي التحقيق قراراً بمنع المحاكمة.

عندها قمتُ بزيارة الأمين عصام، مهنّئاً إيّاه بحريّته مبدئيّاً. ثمّ أخذت الزيارات تتكرّر بقصد البحث في وضع البلد والحزب فاختلفت معه على طريقته بالعمل، حيث كنتُ أرى أنّه من الأفضل أن نُعيد الصِّلة مع القوميّين عن طريق التواصل الاجتماعيّ، من دون تنظيم حزبيّ ولا مراسلات خطيّة. ولكن بالإضافة إلى عقلية وتربية الرفقاء على المظاهر العلنيّة، بدا أنّ الأمين المحايري اعتبر أنّ من أعاده إلى دمشق برغم المنع القانونيّ قد منحه إجازة بممارسة النشاط

الحزبيّ. وكان حسن عيّاش من هذا الخط، لذا لم ألتقِ به إلّا نادراً وبعلاقات شخصيّة بسبب هذا الأمر.

في تلك الظروف، كان حزب البعث الحاكم في حالة صراع داخليّ بين الجماعة التي يقودها صلاح جديد والجماعة الّتي يقودها حافظ الأسد قائد سلاح الطيران وزير الدفاع. لذا عملت سلطات البعث على فتح السجون لنُشطاء من الأحزاب الأخرى من مثل السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، الاشتراكيّ العربيّ (أكرم الحوراني)، الوحدويّون (جمال الأتاسي)، التوحيد الإسلامي، البعث العربي (صلاح البيطار) والقوميّون العرب.

الاعتقال والسجن المدنيّ

بتاريخ 1968/02/11، وبينما أنا في مكتب المحاماة خاصّتي، حضرت مجموعة من عناصر الأمن السياسيّ واقتادتني إلى مقرّها حيث كان قد سبقني إلى هناك كلّ من الرفقاء حسن عيّاش، صلاح هجر، فيصل صائب، أفرام موسى مطلي، أنطوان سيمون وإبراهيم هنيدي.

كان يرأس هذا الجهاز ضابط حقوقيّ لم يستعمل العنف أثناء التحقيق، وبالذات أنا لم أتعرّض لأيّ إكراه، كما أنّ اثنَين من المحامين الّذين تربطني بهم صداقة، البعثيّان خطّاب مضحي شقيق رفيقنا أحمد ومحمود السيّد قاما بزيارتي وكان لقاؤنا في مكتب رئيس الفرع وحضوره. وأذكر أنّ اسم ذلك الضابط كان سعيد سليمان الّذي استقال فيما بعد وأصبح محامياً.

بعد التحقيق، نُقلت إيداعاً إلى سجن الأمن العسكريّ لأيّام عدّة، كذلك نُقلت إيداعاً إلى السجن المدنيّ برفقة القوميّين العرب، وهم قاسم هنيدي، حمود نجم، خلف سطام (معروف بأبو صكر)، مرعي صاهود، أسامة حوكان ومحمد دكاك. وقد أودِعنا كلّنا في مهجع واحد مؤلّف من صالة تلحق به فسحة مكشوفة السطح، ثمّ أُلحِق بنا أحمد كدرو (إخوان مسلمون)، حمزة عوجان وعبد الباقي مشهور وهما تاجران.

لم يكن السجن يقدّم لنا الطعام، فكان الأهل يقومون بهذه المهمّة لتأتي

الصحون صباحاً وظهراً. ولم يكن هذا عبئاً مادياً، بل هو إشغال للأهل بالتحضير وإشغال لمن يجلب الطعام لنا. وكان نقلنا من سجن الأمن السياسي والأمن العسكري إلى السجن المدني دليلاً على طول المدّة الّتي سنُقيم فيها بهذا السجن، ولو أنّ الآخرين كانوا يتوقّعون ويأملون إطلاقهم من هذا السجن قريباً.

جمعتُ كلّ من كان معتقلاً معي ودعوتهم أن يبلغوا ذويهم بعدم جلب الطعام إلّا حين نبلغهم بذلك، ووضعنا برنامجاً مدّته خمسة عشر يوماً بما أنّنا سبعة عشر معتقلاً ومحمد دكاك من العشارة وحمزة عوجان من الميادين في دير الزور فلا يمكن تكليفهما بدور تأمين الطعام. وأصبح كلّ بدوره يؤمّن وجبة الغداء للآخرين، أمّا الوجبات الأخرى فكنّا نتدبّرها داخل السجن. وكان يُشرف على الوجبة من يكون دوره، فيقوم بسكب الصحون للجميع كي لا يحدث ما يُسيء، إلّا أنّ الأغلبيّة كانت تحمّلني هذه المسؤوليّة.

أمضينا معاً في السجن فترة توادّ وتفاهم إلى أن حدثت بعض الخلافات، خصوصاً بعد أن طال زمن هذا الاعتقال الّذي وتّر أعصاب هؤلاء الشباب، فمنهم من سُرّح من وظيفته مثل الرفيقَين فيصل صائب وصلاح هجر العبيد، ومن القوميّين العرب علاء الخضر ومحمد دكاك، كما أنّه كان من بين المعتقلين من هو مسؤول عن عائلة أو عمل... كلّ هذه الأمور تؤثّر على الإنسان، ما يدفعه إلى التصرّف أحياناً بشكل يؤثّر على علاقته مع الآخرين، فكان فصلنا نحن القوميين الاجتماعيّين في مكان مستقلّ مع بقاء نظام الإطعام كما وضعتُه، ولكن كلّ مجموعة لوحدها.

في بداية العام 1969، تمّ إخلاء سبيل كلّ من إبراهيم هنيدي، أفرام مطلي، صلاح هجر العبيد وفيصل صائب، وقد حُرّكت بحقّهم دعوى انتماء لجمعيّة سريّة أمام القضاء العسكريّ انتهت بعدم الحكم!

نُقلنا حسن عيّاش وأنطوان سيمون وأنا إلى دمشق وأُودعنا سجن القلعة، حيث التقينا رفقاءنا إلياس صبري، كبرو كوركيس، يعقوب بغدي، ياسين عبد الرحيم، عابد حماد، وكان بعثيّو صلاح البيطار والتوحيد الإسلامي في ذات القاعة، وفي القاعات الأخرى كان الاشتراكيّون والناصريّون.

كان إطعامنا في دمشق من سجن القلعة، وقد كلّفني الرفقاء بتحسين مذاق الطعام عند حضوره. وكانت تأتينا من الخارج من الزائرين الحلويات والفاكهة، فكنّا نصنع منها سلطة فواكه في المساء بدلاً عن العشاء.

وعلى ذكر الزيارات، فقد قضينا فترة السجن في دير الزور بدون زيارات من الأهل وفقاً لتعليمات وزير الداخلية محمد العشاوي آنذاك، كما أنّه منع إدخال الصحف والكتب إلّا أنّ رئيس الأمن السياسي ومدير السجن عمر الأقرع كانا متساهلَين، وقد زارني في غرفة مدير السجن وبحضوره الصديقان فايز عرب الّذي أصبح رئيس محكمة أمن الدولة لاحقاً، والمحامي الّذي كان يشاركني المكتب مرعي الصالح وقد قُتِل عن طريق الخطأ من قِبَل صديق. وقد أفاد رئيس الأمن السياسيّ بأنّه أعلم وزير الداخليّة أنّ السجناء لم تتمّ زيارتهم من قِبَل أهلهم، فكان جوابه "عمرهم" وبقي مصرّاً على رأيه، علماً أنّ زيارة السّجناء في القلعة كانت مسموحة أسبوعيّاً.

المواجهة مع ضابط المخابرات المشرف

كان يوسف طحطوح هو الضابط المكلّف بالإشراف على السجناء السياسيّين في سجن القلعة. وإذ فتح باب المهجع، وقف الموجودون كأنّ على رؤوسهم الطير، فاصفرّت الوجوه ورجفت القلوب. وكنت والرفيقان حسن وأنطوان نقف بزاوية حيث أسرّتنا ومقامنا، وإذ به يحضر باتّجاهنا موجّهاً الكلام إلى حسن بأسلوب المعاتِب: «لماذا هذا العمل يا حسن؟». أجاب حسن: «هذا ما حدث». فتوجّه إليّ، وكنتُ قد أطلقت لحيتي منذ أن تمّ اعتقالي، أي أصبح عمرها حوالي السنة. وإذ لم تسبق لي معرفته شخصيّاً، وهو أيضاً، سألني: «من أنت؟». فقلت: «عبد الوهاب البعّاج». عندها أدرك أنّه أمام شخصٍ تربطه به قُربى أكثر من عاديّة ولو أنّها تحمل صفة العشائريّة، فأراد أن يلطّف الجو إنّما خانه الأسلوب فقال: «تقدّمي ولحية؟!». فرددتُ عليه: «ما علاقة التقدميّة باللحية؟». فما كان منه إلّا أن انفجر صارخاً: «خرّيها يا خي» واتّجه نحو المخرج ولم يعد ثانيةً.

كان الموجودون يشيرون إليّ بأعينهم ووجوههم صفراء، كأنّها تقول لي لا تردّ بأيّ كلمة، لأنّه معتاد على استعمال يديه ولسانه، بسبب وبدونه، لذا نحن نخاف عليك. بعد خروجه عاد الدّم إلى وجوههم، شاكرين الربّ على ما انتهت إليه هذه الزيارة.

بعد أن خرجت من السجن وتغيّر مركز عمله، التقينا مرّات عدّة بمناسبات عاديّة وعشائرية وقد أبدى أسفه لما كان يقوم به، وأعلن أنّه قد غيّر سلوكه إلى العكس، وأنّه مستعدّ لأيّة مساعدة.

إلى محكمة أمن الدولة العُليا

احتدم الصراع بين جماعات الحزب الحاكم؛ فئة تتبع القيادة القوميّة المتمركزة في بغداد، وفئة يتزعّمها صلاح جديد اتّخذت الماركسيّة اللينينيّة نهجاً لها، والفئة الثالثة يقودها حافظ الأسد ومجموعة من الضبّاط التفّ حولهم تجّار دمشق وحلب لتحقيق دعمٍ معنويّ لهم ورغبة منهم بحريّة اقتصاديّة.

هذا الصراع أدّى إلى التضييق على الأحزاب من قِبَل فئة صلاح جديد، حيث هي الجهة الوحيدة الّتي لها حق بقيادة المجتمع، لذا كنّا نجد كلّ الفئات الحزبيّة في السجون باستثناء الشيوعيّين والإخوان المسلمين المدعومين آنذاك من السعوديّة.

بقيت عناصر تتبع بفكرها للقيادة القوميّة على رأس عملها، ما أفادنا في مرحلة الاعتقال والتحقيق والسجن، فلم يُستعمَل معنا أسلوب التعذيب أو التضييق، لأنّ هذه العناصر كانت تريد أن تُظهر الفئة الحاكمة على أنّها غير مؤهّلة وأنّ أسلوبها في الحكم يتناقض واتّجاه البعث.

ثورة سويكاني

قام ضابط من ضبّاط الاحتياط المُلحقين بالجيش أثناء وجودنا في سجن دير الزور بوضع مخطط لحركة ثوريّة، وكان هذا الضابط على علاقة مع بعض

الشباب الّذين يمارسون هواية الصيد والتسلية بلعب الشدّة، وكانت لقاءاتهم تتمّ في مزرعة لأحد أبناء الهنداوي خارج المدينة على طريق دير الزور–دمشق (المالحة).

يبدو أنّ هذا الضابط كان من أتباع القيادة القوميّة ولم يكن وجوده في الجيش إلّا عبارة عن نجوم على الكتف، إضافةً إلى أنّه ثرثار، وهو بذات الوقت كان صديقاً للضابط مدير سجن دير الزور الملازم أوّل عمر أقرع. كما كان من بَين مجموعة الشباب رفيق لنا يتّصف بحجمه الكبير المتناسِب مع رأسه، حتى أنّه كان يُلقّب بـ "أبو راسين" عبد الرحمن السلامة وكان شديد الغيرة على رفقاء له في السجن الأمر الّذي دفعه للمشاركة في هذه الحركة.

كان مخطّط هذا الضابط يقضي بقيام حركة ثورة تبدأ مع هؤلاء الأصدقاء ببنادق الصيد، يتمّ الاستيلاء بعدها على بنادق الحراسة في الثكنة العسكريّة ومن ثمّ الاتجاه إلى السجن المدنيّ لإطلاق السجناء السياسيّين الّذين نحن منهم وتسليحهم أيضاً بالبنادق، فتوجيه نداء إلى العراق لإرسال قوّة مؤازرة تُعلن نجاح الثورة.

كانت النتيجة أنّه تمّ إلقاء القبض على البعض بمجرّد تحرّكهم وهرب الآخرون، فقد كان جهاز المخابرات يتابع تحرّكاتهم عن طريق أحد المشاركين. وعلى الإثر جرت محاكمة علنيّة في سينما الفردوس لمن اعتُقِل، وكان رئيس المحكمة اللواء الطيّار ناجي جميل عضو القيادة القوميّة، فحكم على الضابط بالإعدام وبالسجن للآخرين وبُرِّئت ساحة مدير السجن لعدم علمه أو مشاركته، وكان من بين الفارّين رفيقنا عبد الرحمن سلامة... وكانت سلامتنا نحن من خلال عدم مشاركة مدير السجن.

المؤتمر القطريّ

عُقِد المؤتمر القطريّ لحزب البعث في أوائل العام 1969، في أجواء يسودها التوتّر الشديد بين أطراف الكتل والفئات أهمّها بين جماعتَي صلاح جديد وحافظ الأسد.

حاولوا اتّهام حافظ الأسد في هذا المؤتمر بالطائفية ومحاولة إلحاق العلويّين بالجيش كضبّاط وأفراد، فردّ عليهم الأسد بإبراز القوائم الّتي ترد إليه من الوحدات الحزبيّة، وتتضمّن هذه القوائم أسماء طالبي الانتساب إلى الكليّة العسكريّة وعليها إشارة تُفيد بمن هو مقبول أو مرفوض في الكليّة، وأنّ لا علاقة شخصيّة له بذلك. وكان من اتّهامات الأسد لخصومه ما يتعلّق بالوضع السياسيّ الداخليّ، وخصوصاً اعتقالات عناصر الأحزاب الأخرى من دون مبرّر.

على إثر انتهاء المؤتمر، صدر قرار بإحالة الموقوفين إلى المحاكم، وبشكل خاص محكمة أمن الدولة العُليا الّتي شكّلها البعث، ومن هنا اتُّخذت الإجراءات والمحاكمة التي رأسها القاضي سعيد خدّام، واتّخذت مقرّاً لها في مبنى البرلمان.

بدأت المُحاكمات بالتحقيق الأوّليّ وإخلاء السبيل بالكفالة، وكنّا نحن القوميّين الاجتماعيّين الموقوفين كلّنا من الفرات والجزيرة ما عدا عابد حماد وياسين عبد الرحيم. وإذ لم يكن معنا من أبناء المحافظات الأخرى من القوميّين أحد، لم أحاول معرفة السبب وراء هذا، علماً أنّ عابد كان معلّماً في القامشلي وهناك دُعي إلى العمل الحزبيّ واعتقل لهذا السبب، وسبق أن اعتُقل وسُجِن وسُرِّحَ من عمله ثمّ أُعيد إليه، وقد أُخلي سبيله أوّلنا على الرغم من صِدامه مع قاضي التحقيق!

بيني وبين قاضي التحقيق

لم يجد القاضي علي الظاهر الذي وقفت أمامه، وهو من مدينة الرستن متخرّج حديثاً من الجامعة ومستجدّ في العمل القضائي بينما كنتُ أنا متمرّساً مدّة ثمان سنوات في عمل المُحاماة، لم يجد ما يسأل عنه، لأنّ التحقيق الأوّلي لم يُظهر أيّة وثيقة جرميّة، كما أنّه يوجد اعتراف بعدم تشكيل أيّ تنظيم، والزيارات ليست جُرماً. وهو كقاضٍ جديد وأمامه محامٍ أكثر خبرة، كان لا بدّ له أن يظهر بمظهر الفاهم فأخذ يحاورني بأفكار ومعتقدات الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ ووحدة الأمّة الّتي يُنادي بها. هنا، عند هذه النقطة تحديداً، كان قوله بصيغة السؤال: «أنتم تقولون بوحدة سورية الطبيعية بحدودها من طوروس وزغروس إلى

السويس والصحراء العربيّة، واليهود يقولون بوطن من الفرات إلى النيل، وهذا يعني أنّكم تتفّقون وإيّاهم». وما إن أنهى عبارته حتى شعرت أنّ الدم في جسمي قد أصبح في رأسي وأنّ ضغطي قد ارتفع، فضربت بيدي على الطاولة وقلت بعالي الصوت: «نحن لا نقبل اليهودي مواطناً في دولتنا". هنا أُغلِق المحضر.

لديّ قريب اسمه شوقي بعّاج، وهو من اشتراكيّي أكرم الحوراني سبق له أن أُصيب بطلقٍ ناريّ في الجامعة خلال أيّام الوحدة، وذلك إثر حوارٍ حادّ بين مؤيّدي وحدة عبد الناصر واشتراكيّي الحوراني، إذ أطلق أحد عناصر مؤيّدي الوحدة عيارات ناريّة تسبّبت بوفاة طالب لا علاقة له بالحوار وجرح شوقي.

تقدّم شوقي بطلب إخلاء سبيل لي سائلاً الموافقة عليه، فقال له القاضي: «الأفضل أن تبقوه في السجن.. أفضل من أن يُخلى سبيله ثم يعود مجدّداً». ولمّا كان إخلاء السبيل توجّه قياديّ، فقد وافق القاضي بكفالة مقدارها ألفي ليرة على الرغم من أنّ كفالة الآخرين تبلغ 200 ليرة فقط، وتمّ إخلاء سبيلي بتاريخ 1969/05/08.

وقد سجّل القاضي رسميّاً في قرار الاتّهام ذي الرقم 33 أساس 228 تاريخ 1969/06/26 ما مفاده: «يؤمن بالحزب القوميّ السوريّ إيماناً لا يتزعزع»، وأضاف: «يؤمن بتوحيد الأمّة السوريّة الّتي تشكّل جغرافياً كلّ من سورية الحاليّة، لبنان، فلسطين، الأردن، العراق، الأهواز، الإسكندرون، وهو المشروع الاستعماريّ المُسمّى مشروع «الهلال الخصيب».

أصدرت المحكمة حكمها بالقرار 63 أساس 84 تاريخ 1969/12/03، معتمدة على تحقيقات الأمن، وكانت العقوبات كالتالي:

1 – الأمين عصام المحايري الحبس ثلاث سنوات لتكراره الجرم، وللأسباب المخفّفة تخفيض عقوبة الحبس إلى مدة سنة وتسعة أشهر وألفَي ليرة، وقد أوقف بتاريخ 1968/02/20.

2 – فؤاد يونان، عبد الأحد سليمان وإلياس صبري عبد المسيح الحبس مدّة سنة وثلاثة أشهر.

3 – حسن عيّاش، عبد الوهاب البعّاج، ياسين إبراهيم عبد الرحيم وأنطوان جان سيمون الحبس مدّة سنة واحدة عملاً بالقانون رقم 02 لعام 1958.

4 – براءة عابد حمّاد.

تجدر الإشارة إلى أنّ القانون رقم 02 لعام 1958 هو القانون الّذي أصدره جمال عبد الناصر فور إعلان الوحدة، والقاضي بحلّ الأحزاب في الشام.

وضع مكتب المحاماة بعد العودة

كلّ مهنة هي علاقة ثقة بين صاحبها ومرتاديها وخصوصاً المُحاماة. وكنتُ قد أمضيت ثمان سنوات في ممارسة مهنتي المُحاماة، نصفها في مكتب خضر البطّاح الّذي هو إرث لجدّي محمد كامل البعّاج كان قد تركه لِإبنه تاج الدين كحق استثمار وهو عبارة عن دكّان، وهذا بالاتّفاق مع خضر كمحامٍ، وجدّي في الأصل خال خضر وأستاذه. أمّا في النصف الثاني من السنوات الثمان فقد أسّست مكتباً من غرفتَين، وبدأت بتأمين الكتب القانونيّة والفقهيّة وأصبح لديّ مراجع وعملتُ على نشر دراسات حقوقيّة في مجلّة «المحامون» ومحاضرات للمتدرّبين، الأمر الّذي شكّل مكانة للمكتب وحقّق له عملاً فأصبح له روّاد وموكّلون وبالتالي دعاوى.

ولكن عند توقيفي أدار الزميل المحامي حسن الحاج محمود المكتب، وهو الرّفيق السابق الّذي قدّمني وأدخلني إلى الحزب وغادره دون أن يقول شيئًا كما أنه لم يغير من انتمائه، وكان قد حاول دراسة الطبّ في الجامعة الأمريكية أو في أنقرة ولكنّه لم يوفَّق، فانتسب إلى الكليّة العسكريّة وكان الأوّل على دورته (الماجور)، وبعد أن رُفِّع إلى رتبة ملازم أوّل نُبِش تاريخه وسُرِّح، فلجأ من جديد إلى كليّة الحقوق وأصبح محامياً ومتدرّباً في مكتب خضر البطّاح. ومن المؤكّد أنّه لم يقصّر في إدارة أعمال المكتب في هذه الظروف، إلّا أنّ الزبائن والموكّلين تهمّهم رؤية من اعتمدوه لدعاواهم. لهذا وجدتُ أنّ أغلب هؤلاء قد سحبوا مستندات دعاواهم إلى مكاتب أخرى، ولم يبقَ في المكتب من القضايا إلّا القليل وما هو

غير مهمّ. كما أنّ العنصر الأمنيّ فعل فعله، فالناس يعلمون أنّ هذا المكتب مراقَب قد يتعرّض مرتادوه للسؤال وقد يعود صاحبه إلى السجن مرّة أخرى، بينما المحامون الآخرون موجودون لا يتعرّضون للمشاكل، بالأحرى يصرفون النظر عمّا قد يصيبهم من أذى!

الزواج

ما إن وصلت البيت عائداً من سجون دامت خمسة عشر شهراً توقيفاً، من 1968/02/11 ولغاية 1969/05/08 وكان الحكم بالنتيجة سنة واحدة، حتى بدأت حملة ضغط مكثّفة من قِبَل الأهل من أجل الزواج، بحجّة ظاهريّة أنّني بلغت السادسة والثلاثين من العمر ولا يجوز تجاوزها بدون زواج، وأخرى باطنيّة تهدف إلى إشغالي بالعائلة عن العمل الحزبيّ الّذي أذاقهم العذاب والويلات في بداية العمر (1955) والآن 1969. وإذ حاولتُ التنصّل من فكرة الزواج معلّلاً ذلك بأنّ عملي متوقّف ولا إمكانيّة عندي لأُقدِم على هذه الخطوة وتكاليفها، إلّا أنّ هذا الأمر لم يكن ليشكّل عندهم عائقاً فقدّم أخوتي كلّ ما يلزم من أجل إتمام الزواج، وعُقد القران بتاريخ 1969/08/28 في مدينة الحسكة حيث تُقيم من تمّ التصويب عليها مع أهلها، وهي من أقارب العائلة.

بعد أسبوع واحد كنتُ أستقلّ الطائرة مع العروس إلى دمشق عبر مطار دير الزور، وكان يشاركنا هذه الرحلة الأصدقاء غازي عيّاش وزوجته، بشير هنداوي وزوجته وطارق الشيخ وزوجته. وإذ كنتُ قد وعدتُ زوجتي بقضاء أيّام في بيروت، فقد كان الذهاب إليها يحتاج إلى موافقة الأمن. وكان آنذاك الضابط سعيد بحادي رئيساً لشعبة المكتب الثاني، وهو من الضبّاط الاحتياط الّذين استدعاهم البعث من أجل الانضمام إلى الجيش كونهم من أعضاء الحزب. وبما أنّه صديق وشقيق رفيقنا جوزيف، فقد طلبتُ الموافقة الأمنيّة منه، لكنّه حضر إلى المطار ليقول لي: «أنصحك بإلغاء فكرة السفر إلى بيروت»، كما أبدى استعداده لإعطائي الوثيقة إن أردت، وسيخبرني لاحقاً عن أسباب نصيحته هذه!

وعلى الرغم من أنّني كنتُ أفكّر أن أُقيم في منزل مستقلّ حين الزواج مباشرة، إلّا أنّ وضعي ألزمني الإقامة مع الأهل رغم الضيق.

توفّي الحمل الأوّل في بطن زوجتي، ثمّ كان هاني ولدي الأوّل في نهاية العام 1971، ما زاد من الأعباء الماديّة. كما أنّ والدي الّذي كنّا نعيش في كنفه قد أُحيل على التقاعد من وظيفته، وكان من المفروض أن أُعينه لا أن أستعين به، وعَجَلَة مكتبي لم تتحرّك كما يجب.

وإذ كان أخي أنور قد غادر إلى الكويت ووجد عملاً هناك، بعد أن تركنا في سجن دير الزور في العام 1968 وأصبح قوميّاً اجتماعيّاً، فقد أبلغني أنّ ثمّة فرصة عمل في الكويت وخصوصاً في مجال الصحافة وعليّ الذّهاب.

منع السفر وجواز السفر

تقدّمتُ بطلب جواز سفر، إلّا أنّني وجدتُ إشارة من مخابرات الفرع الخارجي مفادها: «عليه المراجعة فور دخوله البلاد». حينها كان ابن عمّي طلعت بعّاج موظّفاً في دائرة الهجرة والجوازات، فأرسل برقيّة استيضاح مبيّناً أنّني لستُ خارج البلاد مُرفقاً بياناً عن هويّتي، إلّا أنّ الجواب جاء بالتأكيد على طلب حضوري إليهم.

ذهبتُ إلى دمشق واتّصلتُ بقريبي وصديقي منذ الطفولة عبد القادر حيزة، الّذي كان يعمل آنذاك في أمن الدولة وأصبح فيما بعد رئيساً لبلديّة دير الزور ومحامياً، فترافقنا إلى فرع المخابرات، لأجد هناك الضابط جابر كمور الّذي نبّه المحقّق المختصّ قائلاً له: «هذا ابن خالتي».

انصبّ التحقيق على حزبيّتي ونشاطي المتوقّف عمليّاً بعد خروجنا من السجن، غير أنّ التقرير المُعطى للأمن يفيد بأنّني كنتُ مرشّحاً لعمل ما أثناء انعقاد مؤتمر ملقارت في بيروت. فبيّنت أنّني لم أُشارك في هذا المؤتمر، كما أنّني لم أُغادر إلى بيروت في تلك الفترة. هنا انتهى التحقيق معي، ورُفِعَت عنّي إشارة المنع وحصلت على جواز السفر.

وضاعت الفرصة

ذهبت إلى الكويت، حيث بيت شقيقتي خنساء المتزوّجة من قريبنا القوميّ الاجتماعيّ برهان الدين بعّاج ابن مدينة القامشلي، الّتي غادرها إلى الكويت إثر أحداث واعتقالات مقتل المالكي، وحصل على عمل وإقامة.

بعد وصولي قمت بزيارة الرفيق إلياس مسّوح في دار «الرأي العام» الّتي يُشرف بنفسه على تحريرها، والّتي ذهبتُ قاصداً العمل فيها، لنجد أنّها الفرصة قد ضاعت ولم يستطع الرفيق إلياس مساعدتي.. كذلك مررتُ والرفيق أنور إلى دار جريدة «السياسة» حيث يعمل الرفيق شوقي صوايا، بأمل الحصول على مساعدة، فلم نجدها.

وإذ أعلنت الصحف عن حاجتها لموظّفين حقوقيّين باختصاص إداريّ، توجّهت صباحاً إلى الجهة المُعلِنة ليخبرني الموظّف أنّ «الطلبات قُدِّمَت بالعدد الكافي».

تبيّن لي لاحقاً أنّ كبار الموظّفين في الكويت هم من المصريّين، ويعملون بالاتفاق مع السلطات المصريّة على وضع شروط للمسابقات تتّفق مع الوثائق الّتي ترتّبها السلطات المصريّة، فتكون جاهزة بحيث يكون الإعلان لاحقاً لتقديم الطلبات.

أمّا مكاتب المُحامين في الكويت فهي حصراً وفق المنظومة الكويتيّة، عدا عن محامٍ واحد لكلّ دولة عربيّة. كان أحمد سلطان المحامي السوريّ الوحيد، وهو وزير عدل سابق في دمشق، وعندما سألته عن الأمر كان جوابه لي: «إنّ السوريّ لا يقبل العمل في مكاتب المحامين هنا، لأنّه يعمل كمُستخدَم وهذا لا يليق بنا كسوريّين».

كذلك طرقتُ باب المدارس الخاصّة لإلمامي بالتدريس، فوجدتُ أنّ أيّ عمل في أيّ مجال هنا يحتاج إلى دعم شخص نافذ، باستثناء الشغل كعامل في أحد المعامل الصناعيّة.

وإذ أُخبِرت لاحقاً أنّ الأمين عمر أبو زلام قد افتتح مكتباً للخدمات العامّة هناك، ذهبتُ إليه فرحّب بي كزائر وحاول إقناعي بأنّ الأمر يحتاج إلى الصبر،

لكنّ صبري كان قد نفذ وحلّ مكانه القرف من هذا التذلّل، خصوصاً أنّني تركتُ مكتباً بِاسمي كمحامٍ له مكانة كما تركتُ زوجة في مرحلة الحمل وطفلاً، فكانت رحلة العودة عن طريق البصرة – بغداد – البوكمال الّتي وصلتها بتاريخ 1972/11/01.

زوجتي والشلل والولادة

بعد شهر واحد على عودتي من الكويت صدمني الزمن بمرض زوجتي الحامل بشهرها الأخير، فانتقلت بها من مشفى دير الزور الّذي لم يستطع معالجتها إلى حلب، حيث استنجدنا بالدكتور جلال هنيدي الّذي حضر ليلاً وطلب تحليل دم، وفي الصباح حضر مع الطبيب طه كيالي الّذي قال إنّه لا فائدة تُرجى فزوجتي ستبقى بحالة سُبات، فما كان من جلال إلّا أن قال منزعجاً: «اذهبوا إلى دمشق».

وإذ لا بدّ من سيّارة إسعاف لنذهب بها إلى دمشق، اتّجهت إلى المحافظة حيث زميلي وابن بلدي المحامي والمحافظ أحمد إسماعيل، فالتقاني في الطريق ضابط الشرطة معن كوسا، إذا لم تخنّي الذاكرة بصحّة اسمه، وأخذني معه حيث أمّن لي سيارة الإسعاف. إنّه الضابط الوحيد الّذي تصادقت وإيّاه عندما كان في دير الزور!

بدأت زوجتي تستعيد وعيها عندما وصلنا إلى معرّة النعمان، لكن من دون حركة أو كلام، خلافاً لرأي الدكتور كيالي الّذي خدعه تحليل الدم، إذ أشار إلى نسبة عالية في السكّر، الأمر الّذي منعنا من أن نستجيب لطلبها الطعام على الرغم من إلحاح الجوع عليها.

وصلنا إلى مشفى المواساة، وكان طبيب قسم الإسعاف أوّل من طمأننا أنّها ستستعيد عافيتها. هناك أشرف على علاجها في القسم العام الطبيب أنس سبح، وعندما حاولنا نقلها إلى القسم الخاص لوجود العناية والنظافة، أخبرنا سبح أنّها إذا انتقلت فإنّه لن يُشرف عليها.

عندما بدأت تقف على قدميها أخرجتها من المشفى إلى بيت ابن عمّها زهير حوكان، وكانت معنا والدتها في هذه الرحلة، ثمّ انتقلت وإيّاها إلى بيت الصديق غسان شباط في منطقة الروضة حيث حضر الطبيب سبح بناءً على طلبنا، فنصح بالعلاج الفيزيائيّ في مركز متخصّص في حيّ المهاجرين. كنّا نذهب بسيّارة لإجراء جلسة التمرين ونعود، إلى أن استطاعت المشي بعد عدّة أيام لوحدها أحياناً وبالمساعدة أحياناً أخرى مع عدم قدرتها على الكلام. ولمّا كنّا نتهيأ للعودة الى البيت ولا بدّ من تشجيعها، فأخذتها مشياً على الأقدام في شارع الصالحيّة زارعاً فيها روح الثقة.

أمّا ما يتعلّق بحمل زوجتي أثناء وجودها في المشفى، فقد شعر الأطباء بقرب مخاض الولادة، فنُقلت إلى دار التوليد في مشفى الجامعة وأنجبت ابنتي «شفاء» على يد الطبيب إبراهيم حقي الّتي أودعت الحاضنة. فقد التقيت زميلي وصديقي خطّاب مضحي، الّذي أصبح موظّفاً لدى المخابرات. وكان ينوي الذهاب إلى دير الزور، طلبتُ منه أن نذهب برفقته بسبب صعوبة تأمين واسطة نقل وثمّة أعياد مقبلة. بدورنا ذهبنا إلى دار التوليد هذه، أخذنا شفاء وعدنا إلى بيتنا عند الأهل.

هل نتعلّم من أخطائنا؟ امتحان جديد!

خرجت من السجن مُحمّلاً بأعباء استمرار المحاكمات في محكمة أمن الدولة في دمشق، ومكتب يخشى راغبوه الدخول إليه ما انعكس تدنيّاً في الوضع الماليّ، وأعباء عائلة والتزاماتها مع نكبة مرض زوجتي القاسية والمؤلمة والّتي أدّت إلى عاهة مُستدامة في الحركة والنطق، ناهيك عن الوضع السياسيّ والأمنيّ في البلد وتزايد حركة الأجهزة الأمنيّة، خصوصاً في دير الزور المحاذية للعراق، في وقت كان جواز السفر يحمل إشارة موافقة إلى «دول العالم ما عدا العراق»، بسبب الخلاف بين شقّي البعث. وهذا ينسحب على منطقتنا بسبب قربها الجغرافيّ، كذلك لوجود علاقات قرابة لدى أغلب العائلات والعشائر شأن أيّ منطقة حدوديّة.

على هذه الحالة وفي هذا الجو، هتف لي الرفيق ناجي حطاب قائلاً إنّ ثمّة شخص يسأل عنّي ويريد لقائي.

كان الرفيق ناجي يملك محلّاً لتسجيل أشرطة الكاسيت «صوت الشرق» في وسط المدينة، وكان معروف العنوان والهويّة كما كان معروفاً لدى من هم في مركز القيادة. وهو قوميّ اجتماعيّ نشط بشكلٍ خاص في فترة المالكي والمحاكمات، وكانت المنشورات الحزبيّة تصل إليه مباشرة فيقوم بتوزيعها عندما كان الأمين جورج عبد المسيح رئيساً للحزب، وقد تعرّض للحبس خمسة عشر يوماً بحكم من المحكمة العسكريّة وفقد وظيفته في التعليم.

جاءني الشخص إلى بيت أهلي وعرّفني عن نفسه مستخدماً اسماً مستعاراً، وقال: «لقد عُيّنتُ معلّماً في مدارس الميادين، وأنا مكلّف بإعادة تنظيم الحزب في هذه المنطقة». وإذ أنّني أدركت أنّ هذه الطريقة هي نفس طريقة وأسلوب عمل الأمين عصام المحايري، قلت له: «أنت الآن تحت أعين الأمن، لأنّك بمجرّد أن جئت إليّ فقد كشفتَ عن هويّتك ولن تغيب عن أعينهم لحظة. لذلك، أنصحك بعدم الاتصال بي ولا بأيّ قوميّ اجتماعيّ في دير الزور». وإذ سألني النصيحة، قلت له «اعمل كما عمل سعاده... اذهب إلى مدرستك وفتّش بين الطلاب من يتقبّل الفكرة». إلّا أنّ هذا الرفيق اعتبر كلامي تنصّلاً، أو بالأحرى جبناً، وذهب يتّصل بالرفقاء، لكنّهم لم يوافقوا معه فالجروح لم تندمل بعد.

بعد عدّة أيام، بلّغني الأهل أنّ ابني تدحرج عن الدرج وأُصيب بكسر فذهبتُ به إلى الطبيب بدري عبّود. بعد التصوير تبيّن وجود شُعْر في الفخذ، فنصح بالتجبير الشعبي. عندها أخذته إلى الأسطة إسماعيل شيخ المجبّرين، الّذي طلب منّي إحضار المواد اللّازمة ومن ثمّ قمنا بما يلزم وعدت إلى البيت، لأجد عناصر الأمن السياسيّ بانتظاري.

هناك وجدتُ عدداً من الرفقاء ممّن اتصل بهم ذلك الشخص، وكانت نتيجة التحقيق أنّ الجميع كانوا مُجمعين على عدم الموافقة على ما طُلِب منهم، فتُرِك البعض في ذات الليلة وآخرون تأخّروا وهو بقي موقوفاً لأيّامٍ عدّة حتّى

أوعزت دمشق بإطلاق سراحه، لأعرف بعد ذلك أنّ هذا الرفيق هو إيليّا المعرّي، الأمين والمسؤول المركزي لاحقاً.

إنّنا لا نتعلّم من أخطائنا...

التركيز على العمل لتنشيط حركة المكتب

أدركنا أنّ ثمّة تغيّر في الموقف بعد اعتقالنا وإخلاء سبيلنا فوراً، غير أنّ هذا الأمر لم يكن توجيهاً. وإذ عملتُ على متابعة جهدي، علماً وسلوكاً، في مهنتي آملاً استعادة دوري في البلد كمُحامٍ له مكانته وسمعته، فقد انصرفتُ كلّيّاً إلى الدوام، نهاراً وليلاً، من متابعة للقضايا إلى الدراسات القانونيّة والفقهيّة، الأمر الّذي لفتَ الأنظار إليّ مجدّداً كمحامٍ ومن دون إغفال وضعي السياسيّ.

الترشّح لرئاسة فرع النقابة

كان المحامون موزّعون على ثلاث نقابات وفق تقسيم سايكس – بيكو؛ نقابة دمشق ونحن في دير الزور نتبع لها، نقابة حلب وأخرى في اللاذقيّة، جرى جمعها في نقابة مركزيّة تتبع لها فروع في المحافظات.

عندها أجمع أغلب المحامين في دير الزور على ترشيحي لرئاسة الفرع، بمن فيهم مَن كان قياديّاً في حزب البعث (الأستاذ حسام حيزة)، وكان المرشّح المقابل الأستاذ زكريّا عبد الجبار (يحيى الجابر) وهو معروف بانتمائه للإخوان المسلمين وقد قضى ست سنوات فيما بعد بالسجن، وكانت الرقة تابعة لدير الزور من حيث التنظيم النقابيّ.

كان عبد الوهاب الخالدي البعثي ومحمد سعيد مدلجي الشيوعي ممّن ينشطون إلى جانبي، لما يشعرانه من أهليّتي لهذا العمل ولوجود علاقة صداقة شخصيّة ومهنيّة تجمعني بهما.

وفي الجهة المُقابلة، كان الإخوان المسلمون، على قلّتهم، مع أجهزة المخابرات وقيادة البعث إلى جانب الأستاذ زكريّا، وعلى الرغم من ذلك بقيت

الغلبة لي إلى حين يوم التصويت، حيث صوّت صديقاي عبد الوهاب وسعيد لصالح الطرف الآخر بسبب الضغط، فكانت رئاسة فرع النقابة للإخوان المسلمين بفارق صوتٍ واحد.

من لحظتها قرّرت أن يكون عملي علمياً ومسلكياً، فعملت كعضو ورئيس لجنة التمرين والاختبار وكانت بصمتي فيها واضحة. كما شاركت بوضع نظام التعاون في فرع دير الزور وكان أوّل نظام يوضع حينها، وانتشر إلى بقيّة الفروع مثل حمص وحماة حتى أصبح مركزيّاً، وقد شارك أيضاً بوضع هذا النظام الأستاذان عبد الرحمن مغير وعبد الوهاب الخالدي. وكذلك كان شأن نظام الإسعاف الّذي أصبح مركزيّاً، والتكافل الّذي بقيَ خاصّاً بفرع دير الزور. هكذا استعدتُ دوري ومكانتي في المهنة وفي تجمّع المحامين، إلى جانب دوري الّذي لم أفقد منه شيئاً يوماً ما في بيئتي وبين أهلي في دير الزور.

السبعينيات والثمانينيات

فؤاد مسّوح

بعد سجن الـ 1968–1969 وما تلاه من اعتقال وتحقيق في أوائل العام 1973، أصبح التواصل بين القوميّين في دير الزور شبه متوقّف حتى على المستوى الاجتماعيّ. ولكنّ هذا لم يمنع بعض الاتصالات والزيارات الّتي كان يقوم بها من يحضر إلى مدينة دير الزور، فقد أصبح اسمي الأكثر شهرة وأنا القوميّ الاجتماعيّ الّذي مررت بتجربة السجون والاعتقالات ولم أبدّل أو أغيّر بحسب تعبير الأمين حجل، كذلك بصفتي محامٍ استطاع أن يكون اسماً في مجال المُحاماة من الناحيتَين العلميّة والمسلكيّة.

وكان من بين زوّار دير الزور الرفيق فؤاد مسّوح، الّذي كان يعمل في مجال ترويج الأدوية من خلال الدعاية لبعض شركاتها فيحمل بعض النماذج ليوزّعها على الأطباء أملاً بترويجها. وإذ كانت جولاته شهريّة ينصرف فيها نهاراً للقيام بعمله، كان لا بُدّ له من رفيق أو عائلة لكي يرتاح في المساء. ولأنّه لم

يكن يعرف غيري، أو لأنّه كان يتحاشى التعرّف إلى مجهول، فقد كان يأتي إليّ إمّا في مكتبي الّذي أقضي فيه ساعات المساء بين إعداد الدعاوى أو في دراسة القانون والاجتهاد، وإذا كان ثمّة متّسع كنّا نُمضي السهرة في بيتي مع زوجتي وطفلي. فكانت أحاديثنا تتناول الأمور العامّة والخاصّة، وقد دامت هذه الحالة سنوات إلى أن تقاعد ولم يعد يأتي إلى دير الزور، وأنا لم أكن أذهب إلى مرمريتا تحاشياً للمساءلة باعتبار أنّ هذه المنطقة «موبوءة» قوميّاً اجتماعيّاً.

تواجدتُ في حمص بعد سنوات. وبما أنّه كان من الطبيعيّ أن ألتقي فريد جنيد وهو الرفيق المحامي زميل الجامعة والمهنة في مدينتَي الرقة وحمص، فقد التقيت الرفيق أكرم دندشي بذات الوقت. وإذ أبديت رغبتي بزيارة الرفيق فؤاد مسّوح، قام الرفيق أكرم بتأمين سيّارة أقلّتنا إلى مرمريتا، فكان اللقاء حميماً مع «أبي عماد» الّذي كان بأبهى حلّة جسديّة ونفسيّة، كما ظهر لنا، وكذلك حماسه المعهود كقوميّ اجتماعيّ.

وجدتُ من زيارتي لهذه المنطقة، أنّ هناك تمييز لدى السلطة بين منطقة وأخرى، ففي الوقت الّذي كنتَ ترى فيه نشاطاً قوميّاً اجتماعيّاً شبه علنيّ، كنتَ تجد في المقابل تضييقاً في مناطق أخرى مثل منطقتنا، وربما يكون ذلك بسبب قربها الحدودي مع العراق حيث كان التوتر بين البعثَين.

بعد عامٍ أو اثنَين، لم أعد أذكر تماماً، وإذ كنتُ في دمشق والأحوال السياسيّة بدأت تتحسّن قليلاً بالنسبة لنا نحن القوميّين، وخصوصاً في مناطق دمشق وداخل الشام، جاء نعي الرفيق فؤاد وكانت مجموعة تتحضّر للمشاركة في الوداع فذهبت معها، وأذكر من المشاركين يومها الأمينَين عصام المحايري ونذير العظمة وآخرين. عدتُ بعد الوداع متحسّراً متأسّفاً على قامة من قامات الإيمان القوميّ الاجتماعيّ.

ميشيل عبّود

رنّ الهاتف في المكتب نهاراً. قال المتكلّم: «أنا من طرف الأمين عصام المحايري»، فقلت: «أغلق الهاتف واحضر حالاً.. أنا في المكتب». فجاءني

المهندس ميشيل عبّود الّذي يحمل الجنسيّة الكنديّة من لبنان، وأخبرني معرّفاً عن نفسه أنّه جاء إلى دير الزور مع الشركة اللبنانيّة الّتي تعهّدت إنشاء معمل السكّر. وإذ رحّبتُ به، أفهمته أنّ «أعين الأجهزة لن تغادر ظلّك منذ اللحظة، فاحذر».

تابع الرفيق ميشيل عمله كما تابع علاقته بي وبعائلتي، حيث كان ولداي اللذان أصبحا بعمر الستّ والخمس سنوات يجدان مجالاً للّعب مع العم ميشيل أثناء حضوره، كذلك كانا يجدان الفرصة مواتية للنزهات معه في سيّارته والقيام برحلات إلى الأماكن الأثريّة، تحديداً موقع حلبية وزلبية، وخصوصاً في أيّام الربيع.

أمضينا سنواتٍ عدّة لم يحاول فيها الاتصال بالآخرين، ومع ذلك بقي يشعر بملاحقة أعين أجهزة الأمن. وعندما غادر دير الزور لم أعد أعرف له مكاناً، غير أنّه بعد ما يقرب العشرين عاماً، حضر أحد معارفي من السعوديّة وذكر لي أنّه تعرّف إلى المهندس ميشيل عبّود الّذي سأله عنّي، ولكنّه لم يحصل لي على عنوان له!

وبعد مرور ما يقرب الخمسة وثلاثين عاماً، حدّثني أحد ما باللغة الإنكليزية على إحدى وسائل التواصل الاجتماعي يقول إنّه ميشيل عبّود! قلت له: «هل نسيت العربيّة؟». فأجاب إنّ «الجهاز الّذي أستعمله لا يمكّنني من الكتابة بالعربيّة». وإذ عرف أنّني في دمشق، قال إنّه سيكون فيها في تمّوز من نفس العام. أمضينا يومَين معاً برفقة زوجته وابنته، وكان ظهر لي من خلال لقائي به أنّه متمسّك بإيمانه وعقيدته، إلّا أنّه يشكو مرّ الشكوى من الإدارات الحزبيّة وسياساتها، وقد التقينا على وجوب التغيير في الإدارة والسياسة الحزبيّة وكان يشكّك في حدوث هذا.

الحرب اللبنانيّة

بدأت الحرب بين الطوائف والزعامات اللبنانيّة بتحريكٍ من جهات دوليّة، إلى أن كان التوافق الدوليّ على دخول الجيش من سورية في محاولة لتهدئة

الأوضاع ومنع الاقتتال وتقسيم البلد طائفياً. زجّت هذه الحرب الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، رغماً عنه، في أتونها. ولمّا كان موقفه غير طائفيّ محاولاً وقف هذه الحرب، حصل تقارب مع الجيش الشامي ما انعكس على الوضع السياسيّ داخل الشام، فظهرت بوادر «غضّ النظر» عن دخول القوميّين من لبنان إلى الشام وعدم التشدّد في مراقبتهم، ومع هذا فقد بقي الأمر نسبيّاً حسب المناطق والمسؤولين الأمنيّين.

هكذا أصبح تواجد المواطنين اللبنانيّين، مهما كان وضعهم، أمراً عاديّاً حتى في دير الزور. فمنهم مَن هرب مِن الحرب، ومنهم من لم يكن قادراً على تأمين معيشته، حتّى أنّ مِنهم مَن عمل كسائق تاكسي على سيّارته الخاصّة. ومن كرم الديريّين، كنّا نشاهد سائق تاكسي ديري يُشير إلى الراكب الّذي يوقفه أن يذهب إلى السائق اللبناني مفضّلاً إيّاه على نفسه.

أمّا بالنسبة للحزب، فإنّ مسلكيّات القوميّين الاجتماعيّين، محاربين وغير محاربين، فرضت الاحترام على أفراد الجيش، وخصوصاً الضبّاط الّذين صاروا يضربون الأمثال بصدق إيمان القوميّين وسلوكهم وترفّعهم عن الكسب كما تعاملهم بالشرف القوميّ الاجتماعيّ حتّى مع الخصم.

وبما أنّ أخلاق القوميّين الاجتماعيّين تأبى أن تطلب أو أن تتلقّى مقابلاً أو تعويضاً، إن كان في الوطن أو في المغتربات حيث قدّم القوميّون دعماً لعناصر السلك الخارجي، فقد غيّرت القيادة في الشام من نظرتها تجاه القوميّين.

قيادات قوميّة اجتماعيّة في دير الزور

توقّفت الحرب الأهليّة في لبنان وفق حلّ دوليّ، وبقي الجيش السوري بموافقة دوليّة راعياً لهذا الحلّ. كان ذلك في بداية التسعينيات من القرن العشرين. عندها تنفّس القوميّون الاجتماعيّون، وبدأت حركة لبعض القياديّين باتجاه الشام، مسؤولين وغير مسؤولين. وكان أوّل طلائع هؤلاء الأمين إلياس جرجي قنيزح الّذي تربطه علاقة مميّزة بدير الزور منذ الخمسينيات.

وإذ حلّ الأمين قنيزح ضيفاً في بيت الرفيق نبيل كريشة من وادي النصارى، وكان الرفيق كريشة يعمل لدى إحدى الشركات العاملة في دير الزور، فقد كان من الطبيعيّ أن ألتقي ضيفنا ويدور بحثنا وحديثنا في الحزب وما نأخذه على أسلوب إدارة قيادته. فكان جوابه: «إذا كنتَ تعرف خطأ واحداً فأنا أعرف الكثير، ولكنّنا لا نترك الحزب». عندها شعرت بأنّه غير مكلّف بتنظيم أو عمل، إنما مسألة دراسة وضع فقط.

أمضى الأمين إلياس أيّاماً عدّة في دير الزور، دعته خلالها الرفيقة محسنة عيّاش زوجة القيادي البعثي الأستاذ جلال السيّد، كعادتها، إلى الغداء في بيتها، كذلك دعت القاضي البعثي الأستاذ أمين فنوش لقرابتها به وشقيقها المحامي إحسان عيّاش، فلا تكون للدعوة صيغة حزبيّة ولو أنّ الجلسة لم تكن لتخلو من أحاديث السياسة والأحزاب، وكنتُ ونبيل من بين المدعوّين.

بدوري دعوته، حسب رغبته وقبل السفر، إلى الإفطار في بيتي، وكان نبيل مرافقاً للأمين إلياس في كلّ تحرّكاته، وقد ربطتني به كقوميّ اجتماعيّ وعلى المستوى العائلي روابط متينة، إلّا أنّه فجأة من دون علم أو خبر انقطع عنّي، ولم أعرف سبباً لهذا حتّى الآن. بعدها غادر دير الزور، فلم أحاول الاتصال به، كما هو طبعي، ما دمتُ لم أكن السبب في الانقطاع، إذ لم يبدر منّي أيّ خطأ تجاهه أو غيرة!

كذلك جاء إلى دير الزور الأمين شاهين عبد الخالق بصفته الشخصيّة للقيام بواجب عزاء آل منديل، فقد كانت تربطه علاقة حميمة بالرفيق عبد الرزاق، ولم أعد أذكر من كان المتوفّى.. والده أم الرفيق عبد الحميد! وقد التقيته في منزل آل منديل حينها، فكانت الأحاديث عامّة ليس فيها دعوة لعمل ما أو تكليف بالقيام بشيء محدّد، ثمّ غادر بعد يومَين.

في تلك الآونة أصبح بإمكان القوميّين أن يلتقوا مثنى أو ثلاث في الأماكن العامّة والخاصة لكن هذا لا يعني غفلة الأجهزة الأمنيّة.

مسؤولون مركزيّون في دير الزور

استفاد حزبنا من علاقته الجيّدة مع الجيش السوري في لبنان والسلطات العُليا في دمشق، وأصبح من المعتاد أن نجد لبنانيّاً في دير الزور، فكان أوّل المسؤولين المركزيّين الموفدين هو الأمين أنطون حِتّي، وكان عميداً للعمل آنذاك لديه معلومات عن القوميّين الاجتماعيّين المتواجدين في دير الزور، وأوّلهم الرفيق عبد الوهاب البعّاج، المسؤول الوحيد من مسؤولي منفّذية الفرات (دير الزور فيما بعد)، فمنهم من غادر دُنيانا، ومنهم من غادر البلد قاصداً العمل لتأمين معيشة عائلته، ومنهم من انكفأ لظروف مرضيّة أو عائليّة.

كذلك كان لِإسم الرفيق عبد الرزاق منديل تواجد في مركز الحزب، وكان معروفاً لدى الكثير من المسؤولين المركزيّين، وكانت الرفيقة محسنة عيّاش الوحيدة المتبقيّة من السيّدات والّتي لم توقف نشاطها، حتّى وإن لم يكن بشكل تنظيميّ، وعلى الرغم من اقترانها بالأستاذ جلال السيّد أحد أركان تأسيس حزب البعث، والّذي كان خارج تنظيم حزبه وقتها بسبب خلاف سياسيّ مع أكرم الحوراني بشكلٍ خاص، وقد كان جلال السيّد ذا شخصيّة منفتحة على الآخر.

وإذ كانت جولة الأمين حِتّي استطلاعيّة لمعرفة حجم التواجد القوميّ الاجتماعيّ والروحيّة القوميّة عند القوميّين بعد سنواتٍ من الانقطاع والضغط، فقد غادر دير الزور ليعود بعد فترة ليست بالبعيدة ويوسّع من اتّصالاته مع من استطاع لقاءهم، وكان البحث أكثر وضوحاً هذه المرّة بإمكانيّة إعادة ارتباط القوميّين الاجتماعيّين بالتنظيم المحلّي والمركزيّ، فكانت تتضارب الآراء بين المؤيّد والمتخوّف من هذا الأمر، كما كان البحث يدور حول من سيتسلّم المسؤولية الأولى.

توزّع ولاء القوميّون للتنظيمات المركزيّة آنذاك من دون وجود مقاطعة بينهم، فمنهم من تواصل فكراً مع جورج عبد المسيح وتنظيمه، ومنهم من ارتبط لفترة بتنظيم إنعام رعد المجلس، وآخرون كانوا مع تنظيم المحايري الطوارئ. لاحقاً عاد تنظيما رعد والمحايري إلى الوحدة، ولم يكن ليشكّل هذا التوزّع أيّ أثر

سلبيّ على علاقة القوميّين الاجتماعيّين ببعضهم البعض في محيط دير الزور، وغادر الأمين حِتّي بدون قرار ما.

وفي نهاية التسعينيات، حضر الأمين أحمد هاشم عميد الداخليّة آنذاك، فوسّع اللقاءات وتجاوز عدد الحضور العشرين قوميّاً اجتماعيّاً، وكانت هذه اللقاءات تتمّ في بيت الرفيق أنور بعّاج. عندها أصبح واضحاً للحضور أنّ الأمر جديّ وثمّة مسعى فعليّ لإعادة التنظيم والارتباط المركزيّ، وبالتالي كان لا بُدّ من البحث فيمَن سيكون المسؤول الأوّل، المنفّذ العام، فكانت الغالبيّة تُشير إلى الرفيق عبد الوهاب البعّاج.

حاولتُ الاعتذار عن تسلّم مثل هذه المسؤوليّة، مظهراً أسباب اعتذاري والّتي كان أوّلها أنّني أرعى أسرتي وأولادي وأمّهم المُصابة بشللٍ نصفيّ وصعوبة في النطق، كذلك وقتي الّذي أصرفه في ممارسة مهنة المُحاماة الّتي جهدتُ كثيراً لاستعادة دوري فيها، خصوصاً بعد أن فقدتُ الكثير منه بسبب سجن العامَين 1968 و1969. فهذه المسؤوليّة تحتاج لجهد كبير وتفرّغ كامل لجمع قوميّين مرّت عليهم أيّام أقسى من أن توصَف، وكان لا يزال الضغط على تحرّكاتهم قائماً مع تحمّلهم أعباء عوائل وأعمال وأشغال.

كان هذا من جملة الخواطر الّتي تجول في رأسي وأنا أشدّد وأؤكّد على اعتذاري. وحيث سمع الأمين هاشم عميد الداخليّة كلّ هذا بصمتٍ مُطبق، غادر دير الزور ليفاجئني بمرسوم تسميتي منفّذاً عامّاً لمنفّذيّة دير الزور، والّذي وصلني عن طريق منفّذيّة الحسكة، ما جعل هذا أمراً واجب التنفيذ.

في تشكيل المنفّذيّة

كانت المفاجأة الّتي لم أكن أتوقّعها، أنّ كلّ القوميّين المتواجدين في دير الزور، من اتّصلت بهم ومن لم أتّصل، كانوا راغبين في العودة إلى الانتظام الحزبيّ، وكأنّهم بشوق وانتظار لمثل هذه الدعوة.

عيّنت هيئة المنفّذيّة، وكان من ضمنها الرفقاء عبد الرزّاق منديل، عزيز

مرعي، أنور بعّاج، شهاب العبد الله، عطا الله كنامة وعبد الله طه. كما وُزّع الرفقاء على مديريّتَين، فكانت مديريّة «ميشيل الديك» والأخرى «أديب الصلاحي». ثمّ بدأت اجتماعات القوميّين على شكل مجموعاتٍ صغيرة في بيوت القوميّين، تحت أعين ومراقبة وأجهزة الأمن بلا إشكال أو مضايقة، ومع هذا فقد التقيتُ بالمكلّف لهذه المهمّة وأفهمته «لا تُتعبوا أنفسكم، نحن لا نبحث شؤوناً سياسيّة ولا ما يخصّ إدارة الدولة. نحن ندرس مبادئنا وطريقة إيصالها للناس». وهكذا خفّت متابعتهم لنا.

ولأنّ إقبال المواطنين كان كبيراً، منهم من يريد أن يعرف كيف ظهرنا للوجود، ومنهم المعجب الّذي يقصد الاطّلاع والآخر «الإذاعي» الّذي بدأ يدرس المبادئ، لم تعد الاجتماعات في بيوت القوميّين كافية!

افتتاح مكتب الحزب

استأجرنا مكتباً صغيراً في وسط المدينة في العام 2003 بدون إذنٍ من أحد، وقد حضر إليه من الرؤساء الأمين علي قانصو والأمين عصام المحايري، كذلك حضر عدد من المسؤولين المركزيّين، وكنّا قد وضعنا لافتة هي علم الزوبعة تحمل اسم الحزب، وكان هذا بلا معارضة من أيّة جهة.

ولمّا لم يعد مكتبنا الصغير كافياً لنشاطنا ولقاءاتنا، انتقلنا إلى مقرّ أوسع مع فُسحة كانت مساعدة للقيام بالمهرجانات والاحتفالات، وكان هذا المقرّ في مركز المدينة أيضاً. وممّا يمكن ذكره، أنّ هذا المقرّ كان بحاجة إلى بعض الإصلاحات الّتي لا قدرة لنا عليها، فلجأتُ إلى محافظ دير الزور آنذاك الأستاذ خالد الأحمد. وما أن ذهبت إليه مساءً وأخبرته أنّنا استأجرنا مقرّاً للحزب بحاجة إلى بعض الإصلاحات، حتّى استجاب فوراً بالاتصال بمدير مديريّة الخدمات وقال له: «اكشف على مقرّ الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، قدّر التكاليف وبلّغني بأقصى سرعة». في اليوم التالي، أبلغ المدير السيّد المحافظ أنّ الكلفة تُقدَّر بحدود إلى 180 ألف ليرة، فقال له: "قم بالعمل". وكان موقف السيّد

المحافظ ممّا يُشكر عليه، مع العلم أنّني كنتُ وزميلي المحامي محمود السيّد معه في قيادة اللجان الشعبيّة لدعم الانتفاضة الفلسطينيّة ومقاومة المشروع الصهيونيّ، كما كنّا معاً في دعم العراق ضدّ الاحتلال الأمريكي، بالإضافة إلى مشاركتي في لجان شعبيّة أخرى لجمع التبرّعات، مرّة لفلسطين وأخرى للعراق.

وهناك ما أود الإشارة إليه أنه عندما توفّي الرئيس حافظ الأسد في حزيران من العام 2000، وقد كنّا لا نزال في بداية تشكيل المنفّذيّة، قمنا بوضع لافتاتٍ كبيرة من القماش الأسود رُسمَت عليها الزوبعة الحمراء وكُتِبَت عليها عبارات قوميّة تُقارِب المناسبة بالخطّ الأبيض مثل «شقّ الطريق لتحيا سورية» و«الحياة وقفة عزّ»، وعلّقنا هذه اللافتات على مقاطع الشوارع الرئيسيّة، الأمر الّذي أذهل النّاس، وانتشرت التساؤلات «من أين جاء هؤلاء؟!» وقد تابعنا بعدها الكثير من الشباب المثقّف وثابروا على حضور محاضراتنا وندواتنا. ولمّا كنّا على مشارف تمّوز ولا بُدّ أن يقوم القوميّون بعملٍ ما، كانت ثمّة تعليمات بُلّغ بها الرفيق محمد منديل عن طريق حزب البعث، أنّه من غير المسموح ولا يجوز أن نقوم بأيّ مهرجان أو احتفال، فأبلغني بدوره بهذه التعليمات. كان الدكتور أسعد العيسى أميناً لفرع حزب البعث آنذاك، فذهبت لمقابلته إلّا أنّه كرّر نفس التعليمات قائلاً إنّه «لا يجوز أن تقوموا بأيّ اجتماع ما لَم تُعلمونا، خصوصاً أنّكم لستم من الجبهة الّتي لا يقوم أيّ حزب من أحزابها بعمل إلّا بعد إعلامنا». فقلت له تقديراً للوضع العام فإنّنا سنقتصر على أعضائنا. وعندما هممتُ بالخروج، طلب منّي التريّث بينما يقوم بالاتصال بقيادته، فدخل غرفة الهاتف وأجرى اتّصاله وخرج ليقول: «ماشي الحال». علمتُ لاحقاً أنّ اتّصاله هذا كان مع جهاز الأمن المشرِف على الأحزاب.

الاتّصال مع أجهزة الأمن

لا جدال أنّه من أحد اختصاصات أجهزة الأمن أن تعرف كلّ حركة كما كلّ عنصر، وما يدور من أحاديث وما يُكتب من نشرات وكتب تصدر عن أيّة

جهة حزبيّة أو غير حزبيّة، ومن السّهل أن تجد من بين أعضاء حزبٍ ما أو منظّمة من يوصل المعلومات لهذه الأجهزة.

وفي أحد الأيّام، جاء الرفيق عبد الرزاق منديل ليُخبرني أنّ أحد عناصر الأمن نصحه أن نقوم بزيارة فرع الأمن، شأننا شأن الأحزاب الأخرى. فكان ردّي أنّنا لا نذهب إلّا باستدعاءٍ رسميّ أو لأمرٍ ضروريّ، وهذا لا يقوم به إلّا المنفّذ العام حصراً أو مَن يُكلّفه المنفّذ العام. وإذ إنّ الرفيق عبد الرزاق مندفع لا يتروّى ذو حماس غير مدروس، لم يسكت واشتكى إلى العميد أنطون حِتّي موقفي، غير أنّ العميد قال له إنّ هذا القرار يتّخذه المنفّذ فقط. ولمّا لم يكتفِ بهذا الجواب، أثار الأمر مجدّداً عندما جاءنا عميد الداخلية الأمين أحمد هاشم، فتلقّى نفس الردّ.

وحدث أن التقيتُ بأحد الضبّاط بقصد إبلاغه عن مناسبة أو محاضرة بصفتي منفّذاً عامّاً لمنفّذيّة دير الزور، وكان هذا الضابط يُبدي ودّاً ومساعدة، فجاءني هذا الضابط في إحدى المرّات طالباً أسماء القوميّين الاجتماعيّين في المنفّذيّة، مضيفاً أنّ هذا الأمر بتوجيه من قيادته وهو لمصلحة الحزب، غير أنّ ردّي كان بأنّني «لستُ مخوّلاً بإعطاء أيّ اسم». فقال: «هذا لمصلحتكم». قلتُ: «لا أستطيع فأنا لا أملك تفويضاً بالأمر». فقال عندها: «اطلب إذناً من قيادتك». وعندما أبلغت القيادة بذلك، كان جوابها ما أجبته.

أمّا في الأيّام الأخيرة قبل الأحداث في سورية وما زُعِمَ أنّه ثورة، فقد كانت العلاقة على أفضل حال حين كان العميد جامع جامع رئيساً للأمن العسكريّ، فكان يطلب منّي أن ننشط وأبدى استعداده لتقديم أيّة مساعدة لنا. وقد أصبحت العلاقة معه متينة، خصوصاً أنّها امتداد لعلاقته مع قيادة الحزب في لبنان. فكان أيّ مسؤول مركزيّ يحضر إلى دير الزور يقوم بزيارة العميد جامع، اللواء فالشهيد فيما بعد عليه الرحمة.

وهكذا فقد اقتصر كلّ اتّصال مع هذه الأجهزة على المنفّذ العامّ، أو من يكلّفه المنفّذ العام لأمرٍ محدّد.

النشاط الفكريّ

اتّخذ نشاطنا الفكريّ مَنحيَين؛ الأوّل قبل أن يكون للحزب مقرّ ندعو إليه الأصدقاء من شعراء وأدباء ومفكّرين ومحبّذين، وكانت تُجرى لقاءاتنا في بيت الرفيق أنور بعّاج حيث تتّسع الصالة المخصّصة لما يُقارب الخمسين شخصاً. وقد جمعت هذه اللقاءات من ندوات ومناسبات الكثير من المثقّفين من ذوي الاتجاهات الفكريّة المختلفة، يجمعهم عطش إلى الحريّة الفكريّة، كما كان البعض يُساهم بقصيدةٍ أو حوار وتنتهي المناسبة بالفرح والشّكر.

أمّا المنحى الثاني، فكان ما يتمّ على المستوى الجماهيري في قاعة المركز الثقافي التابع لوزارة الثقافة إداريّاً وبإشراف حزب البعث، وما كان اختيار المتكلّمين ليتمّ إلّا بموافقة الجهة الأمنيّة المختصّة.

كان للمركز الثقافي مجموعة من الروّاد المثقّفين من اتّجاهات وأفكار أخرى غير أفكار البعث في منتصف التسعينيات من القرن العشرين، فكانوا يجتمعون ويتداولون في برنامج محاضرات المركز. من بين هؤلاء الأصدقاء كان الطبيب قاسم عزاوي، وهو من الداعين إلى حريّة الفكر وديمقراطيّته انطلاقاً من خلفيّة ماركسيّة، فكان من المتابعين لإنتاج حزبنا الفكريّ من خلال جريدة النهضة، البناء فيما بعد، ومجلة فكر. كذلك كان الرفيق عزيز المرعي، عضو هيئة المنفّذيّة فيما بعد ومدير مديريّة البوكمال سابقاً.

وإذ كان الطبيب عزاوي اقترح دعوة الأمين عمر أبو زلام لإلقاء محاضرة في هذا المركز، وكان وقتها في دمشق يُصدِر مجلّة «سومر» وينشط فكريّاً، فقد كانت التسمية والموافقة عليها مُفاجِئة لنا لأنّها سبقت أيّ نشاط أو تحرّك. يومها كنتُ والصديق الطبيب قاسم عزاوي في الموعد بانتظار الأمين أبو زلام، القادم على متن باصات شركة الفرات آنذاك، وكنّا الثلاثة على موعد في بيت الرفيقة محسنة عيّاش تلبية لدعوة على الغداء مُعدّة بناء على تواصل واتّفاق بين الأمين عمر والرفيقة مُحسنة.

تبيّن لنا أنّ الأمين عمر، الّذي كان له حضور سابق في مدينتَي دير الزور والميادين في فترة الخمسينيات، لم يعدّ أيّ بحث. فكان علينا، الصديق عزاوي

وأنا، إعطاءه صورة كاملة عن المركز وروّاده، وكان عليه أنّ يحدّد موضوعاً ما بنقاط محدّدة. وهكذا، امتلأت القاعة ونجحت المحاضرة بشخص المُحاضِر.

كرّت سُبّحة الندوات، فحضر الأمين هنري حاماتي بـ "العروبة العلميّة" (1999/10/20)، تبعتها سهرة مع الرفقاء، ما شجّعه على الحضور ثانيةً بدعوة من المركز، فتناولت محاضرته وقتها الاستعداد للحرب على العراق 2003، وكان رأيه في آخرها أنّ الحرب لن تحدث.

أمّا الأمين أنطوان غريّب (2001/11/10) ورقة حوار حول نظام عربي جديد، فقد اختار عنواناً لورقة حوار لم يستغرق أكثر من نصف ساعة، ليمتدّ الحوار إلى ساعتَين والحضور يملأ القاعة جلوساً ووقوفاً.

وفي موعد محاضرة الأمين قاسم صالح (بغداد بداية أم نهاية) الّذي تأخّر في الوصول، قُطِع التيّار الكهربائيّ عن المركز الثقافيّ فغادر البعض. وما أن وصل الأمين قاسم وعاد التيّار الكهربائيّ، حتّى عاد الجمهور ونجح اللقاء والمحاضرة.

أصبح المركز الثقافيّ يطلب منّا مباشرة مُحاضرين من لبنان من قيادات ومفكّري الحزب، لأنّ النشاط الّذي كان يشهده المركز لم يكن ليشهد مثله. فكان الأمين كمال نادر آخر المحاضرين في المركز، والّذي أبهر الحضور حين بدأ كلامه بـ "تحيا سورية.. السلام عليكم" وقارب بَين المفهومَين كمُنطلق لمحاضرة دامت ما يقرب من الساعتَين، تبعتها جلسة خاصّة في مكتب مدير المركز، وبحضور عضو قيادة البعث المسؤول الثقافي مصطفى عبد القادر، الّذي بدأ بتوجيه العتاب لي "كيف لم تعرّفنا على الأستاذ نادر من قبل"... وكان هذا آخر عهدنا بالمركز الثقافيّ.

ونشاطات مُرافقة

إنّ النشاط الفكريّ والعقائديّ لا يكون كافياً لحركة قوميّة اجتماعيّة، إذ لا بدّ من حركة داخل المجتمع انطلاقاً من العائلة، البيت، المرأة والجيل الجديد. فعلى مستوى العائلة، حاولنا اللقاء مع العوائل الّتي تُعتَبر منغلقة اجتماعيّاً في

مدينتنا. ففي إحدى المناسبات دعونا إلى عشاء ساهر في أحد المطاعم، فوجّهنا الدعوات المأجورة إلى عدد من عائلات القوميّين الاجتماعيّين والأصدقاء، وقمنا بنشر بعض كتب الزعيم بطريقة المزايدة، كما نفّذنا برنامجاً إذاعيّاً من كلمات وأشعار فكانت النتيجة أفضل ممّا كنّا نتوقّع.

وفي مناسبة أخرى على ساحة مكتب الحزب الواسعة الّتي اتّسعت لعدد من الطاولات في جوّ ربيعي، حضرت أيضاً عائلات القوميّين والأصدقاء فكانت غالبيّة الحضور من السيّدات، وكان من برنامج هذا الحفل تكريم المعلّمين والمعلّمات الّذين تركوا بصمة مؤثّرة ضمن المجتمع واكتسبوا سُمعةً وصيتاً، وقُدِّمَت هديّة رمزيّة عبارة عن ساعة حائط خلفيّة عقاربها شعار الزوبعة.

من نتائج هذا النشاط الاجتماعي أنّ الحزب حقّق مكانته في متّحد دير الزور الّذي يمتاز بخصوصيّته، بسبب حُسن تصرّف الأعضاء وعلوّ سلوكهم. كما أنّ العائلات بشكل عام، وبغضّ النظر عن اتّجاهات بعض أفرادها، توقّفت عن معارضة أبنائها في تردّدهم إلى مكتبنا. بل وأكثر من هذا، كان هناك من يُحضر أبناءه الأشبال إلينا، على الرّغم من أنّهم ينتسبون إلى أحزاب وأفكار مُغايرة، وقد تزايد هذا بعد تجربة إرسال مجموعة من هؤلاء الأشبال إلى معسكرات الحزب في صافيتا ومناطق الوادي. إذ شعر الأهل بتغيّر نحو الأفضل في سلوك أبنائهم المشاركين، ما سمح بتشكيل مجموعات من هؤلاء الأشبال تمهيداً لانتمائهم وهذا ما أوقفته أحداث العام 2011.

والنشاط السياسيّ

شكّلت مشاركة الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ بالنشاط السياسيّ، ضمن إطار الجبهة الوطنيّة التقدّميّة، صدمةً لنا ولجمهورنا المثقّف. رأى فينا هذا الجمهور الأمل بعد أن تأكّدت له عودة طائر الفينيق من أجداث الموت. وإذ اتّخذت قيادة الحزب القومي القرار بالمشاركة في الجبهة الوطنيّة التقدميّة، أصبحتُ ممثّل الحزب في قيادة فرع الجبهة تنفيذاً للأمر الحزبيّ.

قاد حزب البعث هذه الجبهة فانضمّ إليه اتحادا العمّال والفلاحين، وشارك الحزب الناصريّ، العربي الاشتراكي، العهد الوطني وآخرون أغلبهم مؤيّد للبعث. أمّا الحزب الشيوعي فقد شارك بشقيه، بكداش والموحّد (فيصل). وإذ كان اختصاص هذه الجبهة لا يتجاوز شؤون المدينة وتوابعها، فإنّنا التقينا والشيوعيّين في كثير من الطروحات، إلّا أنّ القرار كان بيد البعث وفقاً لتوجيهات السلطة من محافظ وأمن. من هنا شكّلنا علاقات متينة مع الأحزاب الأخرى، وخصوصاً الشيوعيّين منهم. فتبادلنا وإيّاهم حضور النشاطات والنشرات والصحف مثل جريدة «الشعب» – بكداش، «النهضة» ثمّ «البناء» – السوري القومي الاجتماعي، أمّا الشيوعيّ الموحّد فكانت لديه جريدة «النور» ولم يكن لديه مقرّ أو مناسبات – إلّا القليل – وعندما أصدر بياناً سياسيّاً نشره في صحيفته دعانا للحوار، فقدّمتُ مطالعة نُشرت في «النور». وكان حينها الوحدوي الاشتراكي يرأسه فايز إسماعيل، وحركة الاشتراكيّين العرب يرأسها مصطفى قنوت، وهي نفسها حزب أكرم الحوراني الّذي انفصل عن وحدته مع البعث بعد الانفصال السوريّ عن مصر، وانبثق عن هذا الحزب العهد الوطني. وهكذا تعدّدت الأحزاب، ولكنّها كانت تدور في فلك السلطة.

أمّا رفقاؤنا في جناح «الانتفاضة»، واسمهم الّذي لا يزال سائداً حتى الآن بأنّهم «جماعة جورج عبد المسيح» الّذي انشقّ عن الحزب في العام 1957، بعد قرار طرده لاتّهامه بالضلوع بمقتل عدنان المالكي. وإذ لم يعترف لا بالتهمة ولا بقرار الطرد، أعلن نفسه الممثّل الدستوريّ للحزب واعتبر أنّ الآخرين لا يمثّلون حزب سعاده، فحصل على ترخيص كما فعل الآخرون.

تصدّر هذه المجموعة في دير الزور الرفيق عبد القادر عبيد (المعروف بِقدّور الهجر)، وكان نشيطاً استطاع أن يستقطب عدداً كبيراً قبل أن تتشكّل منفّذيّتنا. وإذ اعتبر نفسه حزب معارضة له اتصالات بجهات وأحزاب في المعارضة، ورأى في سلطة البعث تناقضاً مع مفاهيم الحريّة والديمقراطيّة، فقد أخذ على حزبنا سياسة التبعيّة لسلطة البعث، خصوصاً بعد التحاقنا بالجبهة الوطنيّة التقدّميّة.

وهكذا، فإنّ الموقف من «عبد المسيح» وسياسة الحزبَين شكّلا وجهاً من وجوه عدم التلاقي والتنافس على كسب الأعضاء والمؤيّدين.

في العام 2011 بدأت تحرّكات ما سُمّي بالمعارضة فكانوا يشاركون فيها، بينما كنّا على النقيض من ذلك. فعندما اشتدّت الأمور وبدأت حركات التمرّد والمظاهرات، شاركوا هم وامتنعنا نحن عن هذه المشاركة. ولكن عندما بدأت تظهر معالم التوجّه الدينيّ الطائفيّ الموجّه من الخارج، انسحبوا ولم يعد لهم أيّ تواجد في هذه التحرّكات، فأصبح موقفهم السياسي في كثير من المفاصل هو نفس موقفنا، ما أَزالَ جدار العزلة بيننا وحلّ الودّ بيننا وصارت العلاقة أكثر قرباً.

أحداث آذار 2011 ونتائجها

لم تكن السلطات في البلد على دراية بما هو مد خطّط – وفق تقديري – على الرغم من الإشارات الكثيرة الّتي نتجت عن السياسة الدوليّة والإعلام. لقد وُجِد الكثير الّذي أشار إلى ذلك، خصوصاً بعد أن بدأت وسائل الإعلام توجّه جلّ تركيزها على التظاهرات وتسمّيها بأسماء ورموز معيّنة.

وبعد أن شكّل المتظاهرون ما سُمّي بالتنسيقيّات أرسلوا إلينا قائلين: «أنتم انضباطيّون نظاميّون وأهل للقيادة.. انضمّوا إلينا وقودوا الجماهير». وبما أنّنا رأينا نوعيّة التشكيلات والنداءات، لم نُعطِ جواباً بل طلبنا أن نلتقي فنتحاور ونعرف ما هو هدفهم، فإن «اتفقنا سرنا معكم». فما كان منهم إلّا أن نشروا إعلاناً على أعمدة الكهرباء يتضمّن تهديداً بالقتل لجماعة عبد الوهاب البعّاج وقدور الهجر في الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، حتّى أنّ عبارات التهديد وصلت إلى مدخل مكتبنا.

كان أوّل تنفيذ لتهديداتهم عندما تقدّم الرفيق منير هزّاع (انتفاضة) بترشّحه للانتخابات، فقاموا بحرق سيّارته، وأرسلوا له ما مفاده «إذا لم يسحب ترشيحه، فإنّ القتل سيكون مصيره»... فانسحب!

أمّا التنفيذ الثاني فكان عندما أحرقوا مكتبنا. كنتُ آخر من غادر مكتب

الحزب ليلاً بتاريخ 2011/09/27، لأتلقّى اتّصالاً في السادسة من الصباح التالي يُخبرني أنّ ثمّة دخان يتصاعد من مكتبنا. وشاءت الصدف أنّ رفيقنا أحمد منديل أحد عناصر الإطفاء، فسارع واتّجه إلى المكتب لنجد جهازَي الكومبيوتر والتلفزيون قد سُرقا، وبقيّة الأثاث حُرِقت وأُتلِفت كما تضرّر البناء الّذي كنّا نستأجره.

في نتائج هذه المرحلة

إنّ الحزب الّذي تأسّس بدماء الشهداء وأوّلهم دم المعلّم المؤسّس، لم يُبنَ على المنفعة الشخصيّة ولا على الكسب الماديّ أو الاجتماعيّ، كما تربّى أعضاؤه المؤمنون على العطاء والفداء بالدم.

تشرّد قوميّو دير الزور شأنهم شأن كل من آمن، تحمّل أهلهم العذاب والقِلّة، فلم يجدوا وهم رهن السجون والمعتقلات من يرعاهم أو يقدّم لهم أقلّ ما يمكن من الدّعم الماديّ والمعنويّ، وكذلك عائلاتهم. مع هذا، عندما وُجِدَت الفرصة لم يتوانَ من كنّا نظنّ أنّه لن يستجيب بسبب الضعف أو الحاجة أو الخوف. بل كان الأمر مفاجئاً لنا كما لأهل البلد الّذين اعتقدوا أنّ هذا الحزب قد اندثر ولا عودة له.

قدّمَ لنا الأهل أبناءهم أشبالاً، أملاً بأن نُشكّل لهم شخصيّاتهم لما عُرِفَ عنّا من سلوك وانضباط وقوّة شخصيّة. بعد العديد من الندوات والاجتماعات تمّ انتماء عدد من هؤلاء الشباب، ولكنّهم كانوا في البدايات. وقبل أن تصقلهم المعرفة القوميّة الاجتماعيّة فتحصّنهم بالقوّة الفاعلة، جاءت الأحداث متسارعة وأخذ البعض يُطالب بالمشاركة فيها. ومع هذا لم يكن من بين هؤلاء الرفقاء الحديثي العهد من خان، إنّما القلّة عارضت في أمور تمتّ إلى سوء في السلطة وتصرّفاتها.

غادرتُ أنا المنفّذ العامّ مدينتي مضطراً بسبب نقل زوجتي المريضة إلى دمشق بقصد المعالجة بتاريخ 2012/04/24، ولم أستطع العودة للسبب المذكور ولتزايد الاضطرابات واشتعال الحرب.

ستون عامًا على قراءة في رسائل صديقة

لاحظ زميلي هيثم أنّني مُهتمّ بهذه الرسائل التي يظهر عليها القِدَم، ولاحظ ارتباكي وحيرتي. قلت له: «إنّها بعضٌ ممّا تبقّى من رسائل صديقة، وجدتها بين ما تبقّى لي من أوراق ورسائل، أعادتني إلى تلك الأيام، ولكنّني أقرؤها لأول مرة على الملأ».

– ما قصّتها؟

وأنا طالب في كليّة الحقوق، الجامعة السوريّة، عرّفني رفيق لي على زميلة جامعيّة تخصّه بقرابة عائليّة، تدرس معي في ذات الكلية، إلّا أنّها غير مُلتزمة بالدوام الدراسي، كونها تعمل في بلدتها الساحليّة، وبالتالي فهي بحاجة إلى عين لها في الجامعة، تُرسل لها مَلازم الكتب والمحاضرات، باعتبار أنّ المحاضرات تظهر طباعة بشكلٍ دوريّ، وتُجمع لتصبح كتابًا، مُضافاً إليها كلّ معلومة عن الدروس، والمواد، وما هو مطلوب أو محذوف، فتكون على دراية وكأنّها على مُدرّج الجامعة.

بدأت العلاقة والزمالة، بالرسائل المباشرة مُرفقة بالمَلازم، والمعلومات، فلم يعد للرفيق الذي عرّفني عليها أيّ دور، سوى أنّه يعلم أنّ مَن كلّفه بالمهمة، يثابر على أدائها.

توقّفتُ عن متابعة الدراسة مضطرًا، لمدة زمنيّة استغرقت عامَين بسبب الجندية، لم ينقطع التواصل بيننا خلالها، وعند عودتي إلى الجامعة، كانت قد تجاوزتني في المراحل الدراسية، مع ذلك تابعنا ما بدأناه.

– هل اقتصر الأمر على الرسائل؟

لا.. لم تكن الرسائل هي الوحيدة للتواصل والتعارف، فقد كانت تستغل أيّة فرصة للحضور إلى الجامعة، وبالتالي نلتقي بشكل مباشر، وتنقضي مدّة هذا اللقاء القصير، بين باحات الجامعة، ونظرات الزملاء، خصوصاً أبناء منطقتنا الشرقيّة الذكور منهم والإناث.

في نهاية هذه الجولة في الجامعة نخرج سويًّا إلى أن أستودعها حيث تُقيم.

– وماذا بعد؟

يا زميلي قلت لَكَ: إنّها سبقتني في التخرّج، ولم تعد بحاجة لمساعدتي بإرسال الكتب والمعلومات، إلّا أنّ الرسائل استمرت بيننا، أُطمئنها عن دراستي، وأحوالي، وتكتب هي عمّا يدور حولها من أمور ورغبات وأماني.

أصبحت الرسائل المُتبادلة بيننا كصديقين يتبادلانِ كلّ ما يخص أمورهم الحياتيّة، وأمانيهم، وما يعترض حياتهم من معوّقات، تُشعرك هذه الرسائل بأنّها حميميّة، بروح منفتحة، رغم تحسّب كلينا أنّنا من مجتمع ذكوري، لا يؤمن بالصداقة بين الذكر والأنثى.

– وما موضوعك اليوم، وما مشكلة هذه الرسائل؟

في الواقع ليس هنالك من مشكلة، إلّا مع نفسي، لأنّني حين وجدت هذه الرسائل المُتبقيّة من مجموع ما كتبتُ خلال سنوات، قرأتُهَا وأعدتُ قراءتها بعد هذه السنوات الطويلة (ما يقارب الستين سنة) وجدتُ أنّني لم أقرأها أبدًا، رغم أنّه لا تمرّ رسالة إلا وأقرؤها مرّات لأجيب عليها، كما تفعل هي ذلك.

والآن نقرأ سويّة هذه الرسائل علّي بمعونتك أفهم ما فات عليّ فهمهُ.

ما وجدتهُ من هذه الرسائل ست رسائل مُتسلسلة، أمّا الأخريات فلم أجدها، وربما تكون من جملة كثير من الأوراق، والذكريات قد أتلفتها الأيام، أو بفعل مقصود، لا أعرف، إلّا أنّني وجدتُ هذه المجموعة التي أعادت لي الكثيرَ من الذكريات، ووضعتني في حيرة بين الفهم وعدمه!

أعطني لأقرأ ولتستمع، قال الزميل.

لا لن تستطيع القراءة بسهولة من الورق، كما أنّ الكتابة بالحبر، والخط نسائي قد يصعب عليك، أمّا أنا فربما أقرأ الورق مع استعادة الذاكرة والذكريات، ولنبدأ بالرسالة الأولى:

الرسالة الأولى، وهي ثلاث صفحات بخطٍ نسائي ناعم، مزدحمة الكلمات لا فراغات بين الكلمات.

تبدأ «أستاذ» موضوعة بين قوسين، تقول: «أزعجني إذ كنتُ أفكّر أن

أكون البادئة في ذلك» تبعثُ تهانيها إلى شقيقتي التي ستصبح موظفة ستشعرها شخصيتها المستقلّة، وأصبحت أكبر من أن تعتمد على أخيها».

كما تبدي أسفها لعدم نجاح أحد أخوتي بالامتحان، تنتقل في رسالتها إلى تفاصيل رحلة قامت بها مع مجموعة إلى جزيرة قبرص تقول: «إنّ نيقوسيا من أجمل البلاد التي يمكن أن تتصوّرها، فمنازلها عبارة عن فيلات صغيرة تُحيط بها الحدائق، وسقوف القرميد تذكّرك بمصايف لبنان ....، ولمّا سألنا عن أسباب انتشار هذه الفيلات الجميلة المُتباعدة، أخبرونا أنّ كلّ ربّ عائلة عليه أن يبني فيلات بعدد بناته، لكلّ واحدة فيلا مستقلة، أمّا الشباب فلا حاجة لهم بذلك... فما رأيك أن تشدّ الرحال إلى نيقوسيا».

"أمّا من ناحية الحياة هناك، فالحُريّة التي لمسناها أشعرتنا كأننا في قلب أوروبا، إنّك قلّما تجد فتاة تمشي في الشارع.. فكلّ واحدة على دراجة هوائية... أمّا عندما تتنزه الفتاة في نيقوسيا، فإنّها ترتدي بنطالًا ضيّقًا وبلوزة ديكولتيه، وتشبك ذراعها بذراع صديقتها، أو صديقها... والآن ما رأيك في رحلة إلى نيقوسيا؟".

تنتقل برسالتها إلى سهرة فيها راقصة إسبانية جميلة جدًّا وتتحدث عن زيارة البلاجات «حيث لباس البحر مُختصر جدًا» الشباب المرافق لنا نزلوا للسباحة، أمّا نحن بقينا في المقصف نشرب الكولا... أرأيت إلى هذا الظلم الذي لحق بنا حتّى في قبرص».

يظهر أنّه في رسالة سابقة أعلمتني بالرحلة، وأجبتها مازحًا أنّ قبرص مشهورة بالحمير البيضاء الكبيرة الحجم، كان الرجال عندنا سابقًا يستعملونها للركوب فكانت رسالتها الجوابيّة هذه، تذكر مازحة أنّها فتّشت لتحضر لي هديّة فلم تجد في قبرص إلّا حماراً أسود، لحلول السيارات والدراجات للركوب بدل الحمير.

"في العام القادم ستكون الرحلة إلى تركيا عليك أن تجهّز نفسك وشقيقتك" كما تقول، كما أنّها تدعو شقيقتي لزيارتها "ولا بأس أن تحضر أنت معها".

"سأبلغ الآنسة زكيّة تحيّاتك وأطمئنك، إذ أقول إنّها أُعجِبتْ بذوقي إعجابًا كبيرًا»، ذوقي في اختيار الأصدقاء طبعًا، «وأبدت إعجابها خاصة بروحك الطيّبة وأحاديثك الفكاهيّة، وكذلك كان رأي الآنسة منى وزكية تبلغك أسمى التحيات، وتتمنّى لك إقامة طيبة في دمشق».

تختم هذه الرسالة، بالإصرار على دعوتها لشقيقتي بزيارتها كما تبعث بتمنّياتها لأخي الذي سبق وتعرّف عليها بالنجاح.

والآن..

قلت لك: إنَّ هذه الرسائل عمرها تجاوز الستين عامًا، كنت في بداية دراستي الجامعيّة حيث قدّمها رفيق لي على أنّها من أقربائه المُقرّبين، وأنّها معي في كليّة الحقوق، غير مُلتزمة بالدوام الجامعي كونها موظفة في مصرف، وهي من عائلة غنيّة بمكانتها الاجتماعيّة، أمّا ماليًّا فهي في مستوى العيش الكريم.

كان مجتمع الساحل آنذاك متقدماً قليلًا على مجتمع منطقتنا الشرقيّة، لكن كلاهما ذكوري، والاختلاط بين الجنسين قليل في الساحل، وشبه معدوم في الداخل عدا بعض الاستثناءات، من هنا تقرأ ما قالته عن بنات قبرص وتحرّرهن، وعن الظلم الذي وقع عليها ومثيلاتها من بنات سورية، بينما القبرصيّة تلبس البنطال (لم تعرفه بنات سورية آنذاك) والقميص الديكولوتيه (إظهار الصدر) وترافق الصديق كما أنّها تتحسّر على أن يكون لهنّ مثل هذه الحياة المجتمعيّة أو على الأقلّ مرافقة صديق.

– من هي زكية التي بعثت إليكَ بتحيّاتها وإعجابها؟

في رحلة إلى اللاذقية، لم أعد أتذكّر سببها، وباعتبار أنّ هذه الزميلة والصديقة تعمل في أحد مصارف المدينة فلا بدّ من زيارتِها، كان لتلك الزيارة وقعًا أكثرَ من مُفرح في نفسِها، وقرّرت مباشرة دعوتي إلى الغداء على البحر في مقصف «اسبيرو»، وهو المقصف الأشهر في ذلك الوقت.

حضرت ومعها زكية زميلتها في السكن، والفتاة منى الناجحة في الثانوية والراغبة في الدراسة الجامعية، فسّرت دعوة هؤلاء معنا فقط للحفاظ على وضعها

الاجتماعي في منطقة لا يزال يحكمها تخلّف اجتماعي ذكوري، خصوصاً أنّها في بلدها ويعرفها الكثير.

في هذا اللقاء كانت هي المُتحدّثة، مع ملاحظة مظاهر الفرح والابتهاج على محيّاها، وانطلاق لسانها، بلا تحفّظ، وإن لم يكن يتجاوز حدود الاحترام والآداب الاجتماعيّة.

وكنت أنا مُتخذًا من حالتي وحريّتي المبطنة بصدق النوايا التي تربّيت عليها، فأنا وإن وجِدت ودرست وتربيت في مجتمع ذكوري منغلق أكثر من منطقة البحر، إلّا أنّ البيت الخاص بالعائلة، ليس مغلقًا تمامًا، ولا يتعامل الأبناء ذكورًا وإناثًا بتعالٍ، بل ثمّة علاقة ودّ ورأي متبادل، أثّرَ كل هذا على تكويني بالتعامل مع أيّ صديق سواء كان ذكرًا أم أنثى.

أثناء وجودي في الجامعة، مع زملاء وزميلات من المنطقة كنت لا أجد حرجًا بالتواصل مع الزميلات، بينما كان الآخرين من الزملاء يبتعدون عن التلاقي حرجًا، وخجلًا، وخشية القولِ أيّ قول.

من هنا وبطبيعتي وما لديها مؤيدًا بدعم الأخريات الشاهدات كانت الأحاديث مختلفة، متنوعة، غالبها الفرح والبهجة، وأمّا الأخريات فهن مستمعات يبدين الإعجاب، قطع الحديث سؤال من منى «خالة، هل كنت وعبد تلتقيان في الجامعة؟» نعم كان الجواب، ولكن «ليس كل الطلبة في الجامعة عبد!».

الرسالة الثانية:

"أبدأ رسالتي هذه بتحية عاطرة، ذلك منعًا لتأويل إهمال التحية بما يبعث على زهوّك واعتدادك بنفسك، إذ إنّني اعتدت في رسائلي إلى "عبد" كما في حُريّتي معه أن أكون على طبيعتي، وألّا أكلّف نفسي عناء الأخذ بالأصول التقليديّة المُتبعة في كتابة الرسائل، وأعتقد أنّ في حياة كلّ إنسان يوجد شخص أو اثنان على الأكثر بإمكانه أمامهم أن يتحلّل من قيود التحفّظ، والتقاليد الاجتماعية، والمجاملات.

يبدو أنّني في الرسالة الجوابيّة، قلت إنّي غير مهتم بمنظر ركوب الدراجة

الهوائية من قبل الفتيات، فتردّ بالقول «أسألك هل يستوي عندك منظر ركوب الدراجة بين أيّ شاب وبريجيب باردو».

وتنتقل إلى الراقصة الإسبانية ذات السمرة «الديرية» تضرب بقدميها الإيقاعية.

تقطع المتابعة بسؤال يدلّ على الاستنكار «من هي سنيوريتا الجامعة، التي تعتبرها مثالًا للجمال، ولا تتصوّر أن تفوقها أيّة جميلة في إسبانيا».

وتتابع القول بحدّة وتحدٍّ: "لقد أذكيت فضولي حتّى أنّني تمنّيت أن يتقرّر دراسة دبلوم في الحقوق حتّى أرجع إلى الجامعة، وأرى هذه السينيوريتا، فأُمتّع نظري بمرآها، أم أنّه يجب أن أستعير عينيك حتّى أراها كما تراها".

ولكي أظهر لها نجاحي في عمل المحاماة، أوردت لها شهادة امرأة عملتُ على إنهاء قضيتها بنجاح، فكان جوابها بين الشكّ والبرهان، وأشياء أخرى!

"أمّا مِن ناحية عملك، فإنّني لا آخذ الحادثة التي سردتها على أنّها برهان على قدرة برهانك، وقدرتك على الإقناع واللعب في العقول".

وتنتقل إلى ما هو مهم "خاصة أنّ المُعجبة بمزاياك "كمحامٍ" ولا أقول غير ذلك، هي صديقة وليست صديق، حتّى يُمكنني أن أطمئنّ إلى أنّ التقدير كان مجرّدًا ومُنزّهًا عن الغرض".

والمطلوب مني الآن «أن تعطيني مثلًا أقوى على براعتك في المهنة، خاصة وأنّ موكلتك العزيزة قالت إنّك تستطيع أن تقنع الشيطان، فمن تقصد بالشيطان يا ترى؟!".

عند زيارتي لها في مركز عملها، وعند مغادرة المكان، لاحظت أنّ الفتيات العاملات معها لاحقنني بعد خروجي من المكان بأنظارهنّ حيث خرجن إلى الشرفات.

وفي رسالتي إليها أبديت استغرابي لهذا المنظر، فكتبتْ تقول «قرأت رسالتك في المكتب، وضحكت كثيرًا، وبما أنّ قراءتها كانت سريعة، فقد أعدت قراءتها في البيت، واكتشفت فيها أشياء فاتتني في المرّة الأولى، كما أهديت

سلامك إلى الآنسة زكية، وقرأت عليها الفقرة التي تخصها، وأحب هنا أن أوضح أمرًا، وهو أن زكية لا تعمل معي في المصرف، أما الموظفات في المصرف فلم أنقل إليهن ملاحظتك حول خروجهن إلى الشرفات لمراقبتك، خوفًا من أن يمددن رؤوسهنّ إلى الرسالة التي وردت فيها هذه الملاحظة».

لما كنت قد ذكرت سابقًا أنّ إحدى شقيقاتي تزوجت وغادرت إلى الإمارات في الخليج، فقد جاء برسالتها هذه مقترح، يختصر الطريق علينا للحصول على بعض المال لركوب سيارة فاخرة، وبيت فاخر، ومكتب، تقترح « أن تسافر أنت إلى الخليج لتنظيم القضاء فيها، ثم ترجع بعد سنوات قليلة لتؤسس مكتبًا فخمًا وفيلا أنيقة، فتوفر على نفسك عناء الذهاب إلى نيقوسيا» الأمر المهم تتابع الرسالة «إذا فكرت في السفر واقتنعت، وسافرت في سبيله، فتكلم مع حاكم الإمارات وأقنعه في إنشاء مصرف، يتولى إصدار النقد، واقترح عليه اسمي كي أتولى إنشاء المصرف وتأسيسه، والساعي بالخير كفاعله».

أستاذ ثمّة أسئلة تتردّد في ذهني، من خلال ما قرأت في هذه الرسالة.

ما الذي تقصده بعبارتها، «في حياة كلّ إنسان شخص أو اثنان».

أعتقد يا سيدي أنّ الأمر واضح، في العبارات السابقة واللاحقة حيث تقول اعتدت في رسائلي مع عبد، كما في حريتي معه، أن أكون على طبيعتي، وأنّها تحرر نفسها من قيود التحفظ والتقاليد».

سبق أن قلت لك إنّها من عائلة لها مكانتها الاجتماعيّة، وأنّها تحافظ على التقاليد ولو بحدود لا تسمح للآخرين بالتجاوز ومسّ مقامهم.

طيب أستاذ، ماهي قصة السينوريتا؟

سأقرأ عليك أولًا ما ورد في رسالتها ثم أحلّ لك هذه الأحجية.

"لقد دعوتني إلى مباراة ذهنية، لتذكر سنيوريتا جامعة دمشق، وحكمت لنفسك التفوق، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فقد تذكرها أنت للأثر الذي تركته في نفسك وللصورة التي خلقتها في مخيلتك، ولكونها وهذا الأهم سنيوريتا، ليس سنيورًا، وإلا ما بقيت في ذاكرتك، ولكنت نسيتها كما حدث لي أنا، فهل لك أن

تتكرم فتذكر لي اسمها علّي أتذكّرها، أو على الأقل آخذ فكرة عن مدى تقديرك للجمال سنيور؟».

في تلك الأيام يا سيدي، كان العنصر النسائي قليلاً نسبيًا والزمالة، أو الصداقة بين الجنسين قليلة جدًا لذا يكثر التعليق والكلام بين الطلبة، حول بعضهم البعض.

إحدى الطالبات المتمتّعات بشيء من الجمال والمعتدة بنفسها، تكثر حولها تعليقات الشباب، وينسبون إليها صفة السينيوريتا.

والسبب في إيراد اسمها في رسالتي الجوابية على التحدي لما ذكرت عن بنات نيقوسيا، وأنّني لست ممّن ينشغل بمثل هذه الأحداث العابرة.

إلا أنّها واعتدادًا بنفسها، ومكانتها وغيرتها، اندفعت محملة رسالتها بعبارة «إنّي أكلمك بهذه الصراحة، وذلك لأنّني أعلم مدى تفهّم الطفل الذي أكلّمه، والذي هو أنت، للواقع ومدى وعيه لحقيقة جنسه». وبعد متابعة بعض العبارات المماثلة والمؤيدة لجنسها ضدّ الرجل «الطفل» تقول «رويدك ولا يأخذك الغضب يا كمال، فنحن أصدقاء، ولا أقصد من وراء كلامي إلا لفت نظرك إلى الحقيقة الكامنة في سريرة كل واحد منكم، حتى لا يركبكم الغرور فتسيئون إدارة دفّة المياه التي سلّمناكم إياها».

طيب في رسالتها الأولى تنصح بقبرص، حيث الفتاة تملك فيلا، ومن يتزوجها لا يحتاج إلى تأمين السكن ودفع الإيجار إن لم يمتلك.

وفي الثانية تدعوك إلى الذهاب إلى الإمارات، لتحصل على المال لتأمين سكن ومكتب وسيارة على أن تؤمن لها الوصول إلى هناك، لتستطيع شراء سيارة فخمة، هل تجيبني على هذا التساؤل، حسب اطلاعك ومعرفتك؟

أقرأ عليك بهذا الخصوص ما ورد في هذه الرسالة الثالثة:

"إذا استطعت أنت الذهاب إلى الإمارات، فلا تقصر بالأمر إنك تستطيع أن تجمع ثروة صغيرة، تكون نواة لتأسيس مكتب لائق وسيارة مناسبة، وأنا على استعداد للذهاب من أجل الحصول على السيارة فقط».

وإن لم يكن السفر الحلم إلى الخليج، فالخيار الأقرب لبنان، تقول «فكّرت أخيرًا العمل في لبنان وفي طرابلس بالذات»، و»أشتري سيارة فخمة بسبعة آلاف ليرة لبنانية فما رأيك؟».

سبق وقلت إنّنا هي وأنا كلانا من طبقة اجتماعيّة واحدة، الطبقة التي تملك المكانة الاجتماعيّة المحترمة ذات السمعة والأخلاق الطيبة، ولكنها لا تملك المال الذي يجعل الطبقة الغنية ماليًا تتقدم عليهم في الظروف غير الطبيعيّة وهذا يترك عند البعض عنصر نقص.

من هنا وخاصة الشباب الذي درس وتعلم وأخذ مكانًا لائقًا في مجتمعه، بقي عليه تحقيق حلم استكمال هذه الحياة الاجتماعيّة ببعض المال الذي يحقق له بعض الرفاهية، ويزيد من مكانته بين الأهل والناس، فيأتي البحث عن الطريق السليم للحصول على ما يريد من دون أن يكون لطريقه هذا ما يخلّ بالمستوى الأخلاقي الذي يحيط بالعائلة التي ينتمي إليها.. بيت ومكتب وسيارة، هل الطلب كثير؟

ولما كانت الرسائل المتبادلة شهريًا، هي تقرير مفصل يحوي الخاص والعام، ولا يخلو من المنكهات، خبر، «قرأت في الجريدة تصريحًا للدكتور أحمد السمان (عميد كلية الحقوق) أن دكتوراه الحقوق ستدرس هذا العام في الجامعة السورية (قبل أن تصبح جامعة دمشق) وقد فكرت فورًا بالعودة إلى الجامعة مرّة أخرى للحصول على دبلوم في الطريق إلى الدكتوراه»، وعند بدء الإعلان سأجد الطريق إلى ذلك.

وقد تذكرت، وأنا أفكّر بالرجوع إلى عهد الدراسة «عبد» الذي كان يوافيني بكل ما يصدر من ملازم جديدة ويوقع «مدير أعمالك»، فهل أجد أحدًا؟ هل أجد مدير أعمال آخر بنفس الإخلاص والنشاط يا ترى؟ «لا أظن» تجيب... «على كلٍّ قد نلتقي مرّة أخرى في الجامعة، وفي نفس الصف إذا فكرت أنت أيضًا بالدراسة «تعود إلى تفوق آدم على حواء»، وتختم هذا الخبر بالعبارة التالية «إنّ العودة إلى الدراسة تجعل للحياة طعمًا بأن تضع أمامنا هدفاً نسعى لتحقيقه». سيتكرر هذا الأمر وقتها يأتي الجواب:

فاصل مريح «لقد أُعجبت جدًا بالقسّ الذي استطاع أن يميّز ساقَي «بتي غريبل» (راقصة أميركية وممثلة في تلك الأيام) من بين مئة ساق «تعلّق».. ليس هذا بالأمر العجيب، فقد كان من المحتم أن يفوز القس بالجائزة ما دام لا يوجد مشايخ في أمريكا».

عزيزي، لم أعد أذكر المناسبة التي كتبتُ لها عن نكتة مشاكل الزواج فكان هذا الرد، «أما من ناحية وصف الزواج، من حيث أنّ في الشهر الأول أنت تتكلّم وهي تسمع، وفي الشهر الثاني هي تتكلّم وأنت تسمع، وفي الشهر الثالث أنتما تتكلّمان والجيران تسمع»، وتعلق على ما ورد «فإنّني أقول لك إنّ هذه الحالة أفضل من أن يتكلّم الناس وأنت وحدك آخر من يسمع!».

لا أعتقد أنّ ثمّة ردّ على ردّها على هذه النكتة.

والآن رسالة جديدة وأسلوب ينمّ عن بعض التراجعات في المطالب التي كانت أماني، ولم يظهر لها أمل من التحقق لهذا كان الهدوء، والقناعة بما هو ممكن، يظهر في صفحات هذه الرسالة بعد التحيات والسلامات على الأخوة تنتقل إلى ما كان موضوع تحدٍّ بين العنصر النسائي والعنصر الذكوري، كما في سابق رسائلها، وردًّا على ما كنت قد كتبته في رسالة جوابية مراعيًا ومسايرًا، قالت: «لقد سُررت عندما تسلمت رسالتك الأخيرة، وأصارحك القول إنّ ما أعجبني فيها هو ثقتك الكبرى بنفسك عندما ذكرت أنّك تتمنى أن يسود النساء في عصرنا، فيصبحن وزيرات ورئيسات وعندها تعتني الوزيرة باختيار شاب وسيم مفتول العضلات كسكرتير لها، تكلمت عن ذلك بكثير من الاطمئنان، وكأنّي بك واثق من أنّ أكثر من وزيرة ستطلب منك بإلحاح أن تكون ذلك السكرتير والسعيدة من تفوز بك، لا قدّر الله، أن يأتي ذلك اليوم، إنّ مجرد التفكير فيه رهيب».

وماذا بعد؟ تتابع «ونحن يا أخي قانعات راضيات بأن تكونوا الجنس الأقوى، وأن تفرضوا حمايتكم علينا، ولكن لا أن تسجنونا وتغلّونا أو تسفّهوا آراءنا التي قد تكون أصوب من آرائكم ونكتفي أن تعترفوا بأنّنا أندادًا لكم في القوى العقلية لا الجسمانيّة».

هذه واحدة من التنازلات عن بعض الأفكار، أمّا في موضوع الحصول على السيارة والرفاه، وكان لبنان يتمتع بهما أكثر من الشام، وقد فكّرتُ كما في الرسالة السابقة في العمل هناك، إلا أنّها قد تراجعت مُعزية الأمر إلى «تقلّصت الرغبة عندي عندما رأيتُ الضجة والفوضى التي تسود المصارف الخاصة، حيث تختلط أصوات الآلات الكاتبة والحاسبة، مع الموظفين والزبائن».

اكتشفت بعد تجربة أو تجارب، أنّك يجب أن تكون حذرًا عندما تتحدث امرأة عن صلة أو علاقة مهما كان نوعها عن امرأة ثانية.

ماذا في الأمر أستاذ؟

كانت لي تجارب في أعمال التدريس، وفي مرحلة نقص فيها المدرسون واستعانت بي إحدى مدارس البنات الخاصة، والتي كانت تشرف عليها جمعية نسائية وتقود الجمعيّة والمدرسة زميلات لنا في الجامعة ومعرفة خاصة كأبناء منطقة وبلد، ولما كانت رسائلنا هي تقارير شهرية، عمّا يحدث حولنا، فقد ذكرت أنّي تركت العمل الطوعي في المدرسة فكان هذا الردّ.

"لماذا تركتَ التدريس في مدرسة البنات؟ وهل هناك أسباب خاصة أو عامة، إنّ من قلة الوفاء ألّا تزور المدرسة بعد تركك إيّاها، فلا تنسى أنّ هناك زميلات يسرّهنّ رؤية زميلهن والتحدث معه، كما أنّ هناك تلميذات معجبات تعلقن بأستاذهنّ، ويتُقنَ إلى رؤيته مرّة أخرى، لهنّ كل الحق في أن يعتبنَ».

وبعد ماذا ترى يا سيدي؟

أكمل أستاذ، إذا كان ثمّة جديد في هذه الرسالة، «من ناحية الجامعة فقد تقرّر ألّا يفتح صف الماجستير في الحقوق هذه السنة، فإلى السنة القادمة».

فإذا كنّا قد خسرنا هذه فعلينا التعويض بمجال آخر.

"سيُعلن المصرف المركزي عن مسابقة لانتقاء رؤساء شعب من حملة الحقوق، وكنت على وشك إعلامك الأمر بصدد تشجيعك على الدخول في هذه المسابقة، لولا أنّني تذكرت أنّكَ قررت أن تتخذ من المحاماة مهنة لك وأنّ عملك فيها حتّى الآن يبشر بمستقبل زاهر، وهكذا ضاعت منّا فرصة للالتقاء في عمل واحد".

وتعود لتكتبْ، أنه طلب منها الانتقال للعمل في إدارة المصرف المركزي في دمشق، حيث العمل مغرٍ، إلّا أنّها لم تجد التشجيع من الأهل، تذكر أنّها قضت مع الأهل سهرة رأس السنة في طرطوس»، وهي المرّة الأولى التي يتم الاحتفال فيها بهذه المدينة لهذه المناسبة، وكانت حفلة ناعمة جدًا، وقد ضاق البِست بالراقصات والراقصين وتجرّأت واحدة فقط على التويست، هل تعلّمت هذه الرقصة؟ الأحسن بلاها!.

كما تذكر أنّها ذهبت إلى دمشق ليلة واحدة، وسهرت مع أقرباء لها «ولاحظتُ أنّ أغلب الساهرين شباب وبنات من طلاب الجامعة، فترحّمت على أيامنا!».

هل بقي شيء في هذه الرسالة؟

يا سيدي مهما تعلّم الرجل عن المرأة يبقى جاهلًا.

ما الأمر؟

ذكرتُ في رسالتي إليها أنّ ثمّة مفاجأة سأخبرها عنها، فكان هذا الرد، بين المتعجّل للمعرفة، وبين القلق والفرح فتقول، وهي على حق «ما هي هذه المفاجأة التي ذكرتها لي في رسالتك، إنّي مؤمنة أنّها مفاجأة سارّة، إذ إنّ المفاجآت غير السارّة، لا يمكن الإعلان عنها قبل حدوثها كما أنّه لا يمكن تحضيرها، وهذا ما طمأنني إلى صفة مفاجأتك التي أعتقد أنّها قد ظهرت الآن إلى حيّز الوجود، وقد وعدتني أن تعلمني عنها عند ظهورها، فإذا كنت تنتظر جوابي على رسالتك حتى تعلمني في ردّك عليها، فلن أغفر لك ذلك، إلّا إذا كان تأخرك لتأخر حدوث الأمر المرتقب، على كلٍّ أرجو ألا تطيل ارتقابي أكثر مما مضى».

ما هي المفاجأة، وماذا كان الرّدّ؟

لم أعد أذكر، ولكن على ما يظهر، لا زالت تنتظر المفاجأة فكتبتْ في رسالتها الجوابية «إنّني أصرّ على معرفة نوع المفاجأة، التي وعدتني باطلاعي عليها، فور تحقّقها، وهي إن لم تتحقق، فإنّي أصرُّ على معرفة كنهها في الرسالة القادمة».

ويبدو يا سيدي أنّني كنت في منتهى السخافة والسذاجة وأظنُّ أنّ مفاجأتي بعيدة عن محور تفكيرها واهتمامها، وربما لم تستحق أن تكون إلا نكتة للمداعبة والضحك وقد تظهر في رسائل أخرى.

إلا أنّني حتّى الآن لم أجبها على انشغالها، فبقيت تطلب الجواب.

ماذا كان في رسالتها غير ذلك؟

أخبار عن انشغالها بضيوف العيد، وتأخرها بكتابة الرسالة لأنّ «كتابة الرسالة إلى محامٍ قدير ذي حجة وبلاغة ومنطق يتطلب الكثير من الهدوء، وصفاء الفكر لذلك لم أستطع أن أكتب إليك في ذلك الجوّ المشحون بالحركة والضوضاء، لذلك اكتفيت بأن أخطّ إليك بطاقة سريعة بمناسبة العيد، كما أشكرك على تهنئتك اللطيفة في العيد».

وبعد هذه المقدمة اللطيفة والملطفة لعلّنا نصل إلى ما يمكن أن يجمعنا في عمل واحد؟

فكتبت «لقد ذكرت في رسالتك الأخيرة أنّك كنت تحلم قبل تخرجك بأن تتسلّم وظيفة في مصرف، ولكنّكَ عدلت عن الفكرة عندما رأيت أحد أصحابك وهو يعمل في أحد المصارف كيف يشتغل ليلًا نهارًا كي يستطيع إنجاز أعماله الكثيرة، وهذا صحيح بالنسبة للمصارف الخاصة، إذ إنّ الإدارة العامة تسعى فيها دائمًا لإنجاز أكبر قدر ممكن من الأعمال بأقل عدد من الموظفين حتّى تحصل على أكبر قدر من الأرباح». ثم تنتقل في رسالتها إلى المهم الذي تريد الوصول إليه وتقول: «أما بالنسبة لنا في المصرف المركزي، فالأمر على العكس تمامًا، إذ إنّنا في أيام ضغط العمل الشديد لا نعمل أكثر من أربع ساعات من أصل ساعات الدوام، وأكبر دليل على ذلك أنّني الآن جالسة أمام مكتبي النظيف إلا من الرسالة التي أخطّها إليك، ولكن الدوام يبدأ في الساعة الثامنة حتّى بعد الظهر، وهذا النظام يزعجك أنت جدًا». وتتابع الإغراءات:

"إنّ الجو في المصرف المركزي جميل جدًا، والتفاهم يسود بين الموظفين خاصة وأنهم جميعًا من مستوى ثقافي محترم، والعيش في دمشق والعمل بالبنك

المركزي يدلّ على الأرستقراطية العالية". وتتابع في هذه الرسالة المطوّلة التي جاوزت الثلاث صفحات المعتادة إلى ملحق، لتذكر أيضًا الراتب العالي (410) ليرة بينما في دوائر الدولة (375) ليرة".

تتابع...

"إنّني أكثرت من الكلام عن الوظيفة التي ليست واردة عندك وإنّني إنّما أردت أن أوضح لك بعض الأمور التي كانت بالنسبة لك، وعلى كلّ سأورد لك في آخر الرسالة شروط المسابقة التي أعلن عنها المصرف لانتقاء موظفين برتبة رئيس شعبة من حملة الإجازة في الحقوق".

ولكن تعود لتذكر، أنّ في عائلتها محامون كبار وبمراكز عالية لهذا تكتب «فإذا وجدت لذة في العمل وقدرة على المغامرة والجهد، إذ إنّ المحاماة تتطلّب الكثير من هدوء البال وراحة الفكر واتساع الصدر، ولكن المحامي الناجح لا يعادله أي موظف كما أن الجهد الذي يبذله لا يعادله أي جهد يبذل في دوائر الدولة».

هذه المقارنة بين العمل السهل المريح في المصرف مع المغريات المالية والجهد الصعب في الوصول إلى موقع مهم ومجهد في المحاماة.

"إن تقرير الأمر مرهون بالعمل الذي يرتاح إليه الإنسان"، وتعود إلى الغمز "إلا إذا كنت تريد أن تجلس أمام قوس المحكمة تقاضي الناس فتحكم وتعدل أو تحكم ولا تعدل، وذلك حسب نوع المتقاضين وجنسهم ودرجة تأثير الجنس اللطيف منهم". طبعًا لا تنسى أن تكرر دعوتها لشقيقتي وشقيقي اللّذين تعرفت إليهما لضيافتها في اللاذقية، حيث الطقس ألطف ممّا تعانيه منطقتنا الشرقية من الجفاف وعلى أن أكون معهم!

قبل أن تكتب بالتفصيل عن مسابقة وظيفة المصرف المركزي الأوراق المطلوبة، مواد الامتحان، مواعيده، وكأنها تؤكد عليّ التقدم للمسابقة.

وفي الختام

"لقد ضحكت كثيرًا عندما قرأت رسالتك التي تقول فيها إنّك رقصت مرة واحدة في حياتك رقصة التانغو في حفلة بمناسبة نجاحك، وما أضحكني أكثر تعبيرك أن الحفلة كانت (زلم بزلم)، وأنّ كل ما تحفظه من الرقصة هو خطوتين بخطوة، وهذا يكفي، بقي عليك أن تتعلم كيف تراقص شخصة لا شخصًا، وعندها لا حاجة لك لمعرفة أصول الرقصة خاصة وأنّك تكون في مأمن من المراقبة، وأنت ترقص تحت الأنوار الخافتة».

والآن إلى الرسالة الأخيرة فممّا وجدتُ بين بعثرة الأوراق والتي كاد الزمن أن يلحقها بمثيلاتها، تبدأ الرسالة كما هي العادة كيف، ومتى، وظرف كتابتها «قد يخطر ببالك أن تتساءل لماذا غيرت عادتي في زمن كتابة الرسائل؟ وأصبحت أستقبل يومي بها، بعد أن كنت أختم ليلي بها، مع أن الإنسان يصفو ذهنه ليلًا ويبتعد إلى حدّ ما عن المشاغل اليومية، وينصرف انصرافًا تامًا إلى الموضوع الذي يعالجه، والفكرة التي يبثّها، أو الرسالة التي يخطها» توضح ذلك، فتكتب: «منذ أكثر من عشرة أيام، وأنا أنسى قلم الحبر في مكتبي ولما رأيت أنّني قد تأخّرت عليك، وأنّني كنت أشعر بحاجة ملحّة للكتابة إليك، قبل أن آوي إلى فراشي، وهذا يكون عادة في ساعة متأخّرة، ولما كنت غير واثقة من ذاكرتي بأنّني سأضع قلمي في حقيبتي قبل مغادرة المكتب إلى المنزل القريب، كما تعلم، فإنّني صمّمت على الكتابة إليك هذا الصباح، حيث تكون الأعمال عادة خفيفة جدًا حتّى الساعة العاشرة، أي حتى يرجع أخواننا المسيحيون من صلاتهم في الكنيسة أو يستيقظون بالأحرى من نومهم بعد سهرة طويلة ليلة السبت».

بعد هذه الديباجة الطويلة تنتقل مع هذه الرسالة إلى «لا أعلم فيما إذا كانت ستصلك في الوقت المعتاد، إذ لا أعلم، لماذا أظنّ، أنك ربما تكون قد سافرت إلى بغداد ومنها إلى الكويت لحضور مؤتمر المحامين العرب هناك، وقد كنت أتوق إلى مثل هذه السفرة، ولكنّني أجّلتها إلى مؤتمر ثان يعقد في القاهرة، وقد علمت أنّ لكلّ حامل لشهادة الحقوق الحق في حضور هذه المؤتمرات».

وتضع خطة للحضور في المؤتمر القادم، حيث في المؤتمر القادم سيكون «كمال» قد أصبح محاميًا على سنّ الرمح، وقد يكلّف بتعديل القوانين التي ستبحث وعندها، إذا لم يقبلوني في المؤتمر كعضو مستقل بصفتي حاملة الإجازة في الحقوق، فقد أذهب بصفة مرافق لأحد المحامين وقد يكون الأستاذ القدير الذي هو حضرتكم».

أستاذ ما هي قصة المؤتمر وهل تحقّقت أم لا؟

يا سيدي في ذلك الوقت أغلب الدول العربية خارجة من سيطرة الاستعمار، وأصبحت آنذاك مستقلة، ومن حيث الشكل الحكم دستوري ديمقراطي، والمحاماة لها دور كبير في إدارة الحكم في غالبية هذه الدول، وكانت تعقد مؤتمرات لهم في إحدى الدول كلّ عام غالبًا، والحضور يقتصر على المحامين، ويشارك بعض القضاة، والمشاركة غير محدودة وعلى نفقة المشارك الذي له الحق باصطحاب مرافق، وعلى الغالب عنصر نسائي (الزوجات).

وبعد هل تحقّق هذا الحلم؟

قلت لك هذه آخر ما وجد من رسائلها، إلا أنّني وبعد سنوات ليست بعيدة، شاركت بمؤتمر في القاهرة وأثناء حضورنا حفل أقامته السفارة السورية للوفود من المحامين السوريين المشاركين، وإذ بها في الحفلة مع محام من الكبار، وهو قريب لها عرّفته بي، وانزوينا مترافقين طيلة هذا الوقت، ولم ألتقيها غير تلك الساعة.

طيب سؤال أستاذ

ألم يكن ذلك بالتنسيق بينكما؟

لو وجدت بقيّة الرسائل لعرفنا ذلك الجواب، لأنّني لم أعد أذكر ذلك.

والآن ألم يظهر لكَ لغز المفاجأة التي شغلتها أيامًا طويلة وأمّلتها بالفرح؟

يا سيدي، من مفاجآت هذه الرسالة، أنها وقبل أن نبقى في حيرة، حلّت لنا اللغز وطمأنتنا أنّ هذه المفاجأة هي الآن مفاجأة لنا بمقدار بعدها عن أن تكون إلا خبرًا أقلّ من عادي، وأمرًا تحقق أو لم يتحقق لا قيمة له.

"لقد ارتحت جدًا (يجب أن تضع خطًا أحمر تحت هاتين الكلمتين) في رسالتك الأخيرة، عندما علمت أن نوع المفاجأة التي كنت تعدّها لي (أيضًا خطًا أحمر مزدوج).

لم تتحقق لأنّ مشاريعك يجب أن تكون لها صفة الاستمرار، والبقاء، أمّا في سورية فلم نعتد أن ننظر إلى الصحفيين نظرة الاحترام والتقدير، لأنّ الصحافة عندنا ما زالت متأخرة وأغلبها يعتمد على المساعدات من جهات معيّنة».

وبعد أن تسهب في ذكر ماهية الصحافة، وصعوبة السير في طريقها، تقول: «أعتقد أنّ الفكرة لم تعد واردة عندك الآن، وعلى كل آمل أن تنجح في المهمة التي تختارها لنفسك وأن تشق طريقك بعزم، وإيمان فالحياة كفاح، وأقرب الناس وصولًا هم أشدّهم كفاحًا وأقواهم عزمًا وأصلبهم إرادة، ولا تظن أنّ اللذة في الوصول، بل اللذة في الزهور التي تستنشق عبيرها قبل أن تصل إلى الثمر».

تنتقل إلى الأخبار المعتادة «ما هي أخبارك في هذه الأيام؟ أرجو أن تكون أحسن مني، ولا تتأخر برسائلك، كما فعلت أنا في الرسالتين الأخيرتين».

وتعود إلى الطقس الجميل، والسؤال عن إمكانية زيارتها في عطلة العيد مع الأخوة.

وتختم هذه الرسالة «أخبرني عن مشاريعك للمستقبل، وهل ستتابع العمل في المكتب الذي تتمرن به أم ستستقل بمكتب خاص.. لذلك لا خوف على مستقبلك كمحام».

أستاذ، أين المفاجأة، التي وعدتها بها والتي يجب أن تكون سارّة، لأن المفاجأة غير السارّة تعلن عن نفسها مسبقًا.

يا سيدي، المفاجأة هي ما ذكرتها، وأطالت في بيان إمكانية نجاحها، أم فشلها.

أستاذ... هي كتبت عن الصحافة، فما علاقة الصحافة بمفاجأة سارة تنتظرها صديقة محبّة ودودة حميميّة في علاقتها ورسائلها.

في مثل هذه الحالة المفاجأة السارة خبر إمكانية ارتباط تجاوز الصداقة، وكانت تسأل فيما إذا كانت ثمّة صعوبات وعراقيل، يمكن تلافيها.

يا سيدي

القصة تتلخص بأنّني آنذاك فكّرت بإنشاء جريدة محليّة بما عندي من معلومات عن الصحافة، ظننت وقتها أنّها كافية لأن تنشئ صحيفة محلية من دون التخلي عن مهنتي في المحاماة، وربما فكرت أنّ ممارسة المحاماة ستكون دعمًا للصحيفة، وفعلًا وقتها تقدّمت إلى الجهات المعنيّة بطلب لهذا الخصوص ونتيجة للخيال الصبياني، وتصوّري أنّ الأمر سيكون فعلًا واقعًا، ولكون رسائلنا المتبادلة، هي تقارير شاملة لمجريات حياتنا خلال الفترة ما بين الرسالة والتالية، وغالبًا الفترات شهرية.

قلت، إنّ تصوري أنّ الأمر واقع وأنّني من شدّة فرحي به، وبانتظار جواب السلطة المختصة لمنح الرخصة كتبت لأخبرها بالأمر وبدل أن أذكر الواقعة، تركت الأمر ليكون مفاجأة!

وكانت المفاجأة فعلًا، أشغلت بمالها وعواطفها وأحلامها، حسب قراءتي للرسائل اليوم، وليس منذ زمنها، رغم أنّني قرأتها مرات.

وماذا بعد، هل استمر تبادل الرسائل، بعد هذا الموقف المحرج السخيف؟

يا سيدي إن لاحظت من مجمل رسائلها، أن في تكوينها قوة في الشخصية واعتداد بالعائلة ومكانتها الاجتماعية، إلى جانب ما تمتعت به من قدرة على مواجهة أمور الحياة والاستعداد للانفتاح على الأمور المجتمعية الحديثة، والرغبة في حياة سعيدة لذا تجدها قد قبلت هذه المزحة الثقيلة، وتجاوزتها طالبة عدم التأخر بالرسالة القادمة وكأن شيئًا لم يكن.

وبعد...!

انشغلت بإثبات كينونتي المهنية، وعملت على إثبات وجودي في جوّ يحكمه الكبار الذين أصبح اسمهم علمًا، يصعب أن تتخطّاه، ومع ذلك، فالخط البياني يشير إلى التصاعد.

ولما كانت الأوضاع الاقتصادية في انحطاط وأول من يتأثر بها المحامون، وخاصة في منطقة تحكمها علاقات عائلية وعشائرية، فلم يعد من السهل السفر

للقاء صديق عزيز حبيب لتقضي معه يومًا تنسى فيه همّ العمل المضني، وترفع عن كاهلك كلّ ما هو مزعج، وتزيح عن كاهلك هموم الموكّلين وإزعاجاتها، لتلتقي أجواءً من الطبيعة الجميلة في بحرها وجبلها، برفقة من لا يهمه إلا سعادتك والترفيه عنك في تلك السويعات.

وماذا أيضًا؟

توقفت الرسائل بفعل عامل أقوى من قدرتنا على تجاوزه.

مِثلُ ماذا أستاذ، أوضِح؟

يا سيدي إذا كنت ممّن يتصدى للعمل في الشأن العام والسياسي، فلست بمنأى عن الاحتجاز، وإبعادك عن الحياة اليومية، وتقييد حريتك بما في ذلك الرسائل، لأنّها تخضع للرقابة، ونشر محتواها، الأمر الذي ينال من مكانة الطرف الآخر وخاصة إن كان فتاة.

وهي لها عذرها لعدم قيام ارتباط له صفة رسمية في مجتمعنا يخوّلها كتابة الرسائل، أو حتى السؤال، ولو أنّني أقدّر جازمًا أنّها أصبحت على علم بما أنا فيه، وسبب هذا الجزم، أن قريبها الذي ربط علاقتنا الدرسية، يعلم ذلك.

ألم تلتقيا بعد ذلك؟

نعم وبعد عدّة سنوات، سافرت ومعي صديق إلى مدينتها لعملٍ عليَّ إنجازه، وهذا العمل يتطلّب تدخّلاً ومساعدة من قريبها، وعملت على الاتصال به، فلبّى على الفور، وكانت برفقته والبسمة تملأ محيّاها، ذهبنا إلى البيت، حيث الأهل وقضينا ربما ساعة أو أكثر.

ألم يجر بينكما حديث؟

قلت لك إنّنا في جلسة مع عائلتها، ولكنّني شعرت وكأنها تعلم أنّني أصبحت ربّ عائلة لدي زوجة وأولاد، خاصة وأنّ هذا اللقاء في زمن قد مرّ عليه أكثر من عشرين عامًا منذ بداية علاقتنا الجامعية إلى وقته.

في اليوم التالي تم إنجاز العمل بمساعدة قريبها وهو رفيق لي، وعدت مع صديقي المرافق لي من دون وداع ولا اتصال.

هل انتهت هذه القصة؟

نعم، قالت في إحدى رسائلها، إنّ المفاجأة غير السارة لا تعلن عن نفسها.

سافرت بعمل إلى حيث كانت تعمل في اللاذقية وببرنامجي البند الأول زيارتها، وإعادة الوصل ولو لساعات معها، عند باب المؤسسة وجدت الحاجب سألته عن موقع تواجدها ومكتبها، التفت إليّ مستغربًا مُتحسّرًا، وقال يبدو أنّك منذ زمن لم تأتِ إليها، لقد أُصيبت بمرض لم يُمهلها، وقد توفيت منذ سنوات.

هذه هي المفاجأة!

جمدت لم أعرف ماذا أقول له، ولفترة استعدت شيئًا من تجاوز الصدمة، وعدت أدراجي، ولم أكمل العمل الذي جئت من أجله.

والآن أنا الصديق، صاحبُ هذه الرسائل والتي استدامت سنوات، وكلّ رسالة تُقرأ مرّات، وتتم الإجابة عليها، أسأل: هل فعلًا كنتُ أقرأ هذه السطور؟

شهداء الحزب من دير الزور

قدّم الحزب عدداً من أبناء دير الزور شهداءً.

الشهيد الأوّل: الرفيق محمد ويس مرهج:

انتمى للحزب في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي (1952 أو 1953)، وتجمعه قرابة مع الشهيد محمد أمين جمعة (أبناء خالات). كان إسكافيّاً فغادر إلى لبنان للعمل والعيش. وما أن حطّ رحاله وبدأ نشاطه المهنيّ والحزبيّ حتّى اشتعلت أحداث العام 1958، وكان الحزب أحد عناصرها ووقودها.

كتبت جريدة الديار عن بطولاته واستعداده للفداء بنفسه من أجل حماية رفقائه. وإذ أُصيب بجراح ونُقل إلى المشفى، لاحقته عناصر «الكتائب» اللبنانيّة حيث المشفى وقتلته.

مُنح وسام الشهيد، ونشرت لجنة تأريخ الحزب الّتي يُشرف عليها الأمين لبيب ناصيف نبذة عنه.

الشهيد الثاني: محمد أمين جمعة الدغيم:

اغتيل إثر كمين نُصب له وللرفيق عبد الحميد منديل بتاريخ 1955/02/27. أقيم له جناز رسميّ، وفي ذكرى الأربعين سُمّي شهيداً للحزب بمرسوم حزبيّ، وكان ذلك بإشراف الأمين كامل حسّان. كما مُنِح وسام الشهادة. نُشرت عنه نبذة في كتاب "الخالدون"، كما أسلفنا تفاصيل أكثر عنه في هذا الكتاب.

الشهيد الثالث: الاستشهاديّ عرفان مصطفى الأحمد العاني:

وُلِد في دير الزور في العام 1959. أدّى الخدمة الإلزاميّة في الجيش السوري، فكان من ضمن الوحدات العاملة في لبنان حيث انتمى للحزب. عاد إلى دير الزور بعد انتهاء خدمته الإلزاميّة، وبدل أن يُباشِر عمله الوظيفيّ عاد إلى لبنان ليقوم بعمل استشهاديّ بتاريخ 1986/12/23.

فحضر الأمين مجد برمدا إلى دير الزور، موفداً من الأمين عصام المحايري رئيس الطوارئ آنذاك، ومعه عنواني ليُبلغني الخبر. بدلالة الرفيق رفيق الملحم، أبلغنا أهله وسألناهم إذا كانوا يريدون إحضار الجثمان فطلبوا إحضاره، إلّا أنّ الإجراءات طالت ممّا حدا بالرفيق قصيّ راجي، الّذي كان متواجداً في دير الزور، أن ذهب إلى لبنان، فعاد ومعه الجثمان.

حاولنا إجراء جنازة رسميّة، غير أنّ موقف الأهل لم يسمح بذلك كما أنّ المخابرات منعت المُشاركة الرسميّة. وقد كان مع الشهيد شريط فيديو وبعض التسجيلات والوثائق الّتي بعثنا نسخاً منها إلى المركز بعد توحيد الحزب، إلّا أنّها أُهملت وربّما فُقدت. كما أنّ ما عندنا فُقد بعد الأحداث حيث اعتُدي على مكتب المنفّذيّة بالسرقة والحرق.

ولمّا كان قد سُمّي شهيداً، فقد مُنِحت والدته مرتّباً لأشهر عدّة ثمّ انقطع هذا المرتّب! كذلك مُنِح وسام الشهادة.

وصدر قرار عن رئاسة الحزب بـ "تسجيل الرفيق عرفان الأحمد في سجلّ الخالدين من شهداء الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ الّذين سقطوا في معركة الحريّة والكرامة ضدّ العدوّ الصهيونيّ وعملائه من الداخل في لبنان، تاريخ 01/ آذار/1987 – رئيس الحزب الأمين عصام المحايري.

الشهيد الرابع: محمد أمين الجاسم:

من قوميّي الخمسينيات من القرن الماضي. يتّصف بالهدوء والرزانة والإيمان بالعقيدة.

عمل بعد تخرّجه من المعهد مسّاحاً لدى دائرة الأشغال العامّة. ذهب بعد زواجه مع زوجته المُعارة للتعليم في السعوديّة وعمل هناك، وكان من الطبيعيّ أن أدّى مناسك الحجّ، فجمع إلى إيمانه بالعقيدة القوميّة الاجتماعيّة إيمانه الدينيّ ممارسةً وحياة.

عاد إلى عمله في مديريّة الخدمات الفنيّة بعد عودته من السعوديّة. وإذ كان بعض مهندسي المديريّة هذه من ذوي الارتباط بالإخوان المسلمين، عرضوا

عليه العمل معهم لكنّه واجههم بانتمائه القوميّ الاجتماعيّ. وعندما كُشف أمرهم اعتقلوا، فأفاد في التحقيق بأن الأمر قد عُرِض عليه ورفض لأنّه قوميّ اجتماعيّ.

أُخلي سبيل بعضهم، واعتُبر الرفيق محمد أمين كاتماً للمعلومات، ولم يُخلَ سبيله لا حيّاً ولا ميتاً. وقد حاولت، بعد أن مُثّلنا بالجبهة الوطنيّة من خلال الأمين المحايري، الحصول على بعض المعلومات عن هذا الرفيق، إلّا أنّني لم أوفّق. كان الرفيق الشهيد أحد روّاد سجن القلعة إثر مقتل المالكي عام 1955.

الشهيد الخامس: توفيق غسان الفريج:

وُلِد الرفيق توفيق الفريج في مدينة الميادين في العام 1983. وهو من عائلة قوميّة اجتماعية آمن بالعقيدة القوميّة الاجتماعية وكان نشيطاً يبشّر بمستقبل، إلّا أنّ قذيفة ناتجة عن الأعمال الإرهابيّة التكفيريّة عاجلته فأودت بحياته.. كان ذلك في العام 2015. سُمّي شهيداً ومُنح وسام الشهادة.

مع المركز

الأمين عصام محايري جزيل الاحترام

تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

نشرت جريدة النهضة في عددها رقم 601 تاريخ 2012/11/05 حديثاً نُسِب إليكم تعرض لمشكلة ما سُمّي بالحزب السوري القومي الاجتماعي في الشام، وأسباب وطريقة تأسيسه والمستَند الدستوري والقانوني لهذا العمل.

ولمّا كان حديثكم قد تعرّض لنقاط عدّة نرى فيها تناقضاً ومغالطة لا تتناسب والمفهوم الحقوقيّ الدستوريّ من حجة، ولوقائع مجريات هذا العمل.

بين الدستور والقانون

بدأ حديثكم بأنّ «هذا الإشكال يمكن حلّه من خلال القواعد الدستوريّة الموجودة».

"إنّ دستور الحزب لاحظ هذا التمييز (بين النظام والتنظيم)، لذلك وضع قواعد في تغيير الدستور وتعديله، وفق الطوارئ، أو المستجدّات التي تطرأ في سياق العمل".

وتقول: «ثقافة ودستور الحزب قادران على حلّه ومعالجته».

وفي صادرة لكم بتاريخ 2012/08/05 واتخذت رقم وتسلسل مركز الحزب، جاء فيها: «وبذلك تمّ إبطال النظام السابق للحزب والمنصوص عنه في الدستور، والخطأ الكبير أنّه ما زالت القيادة الحزبيّة في لبنان تتعامل مع الحزب في الشام في إطار النظام المنصوص عنه في الدستور، وكأنّ القانون في الشام لا قيمة له».

حضرة الأمين:

من أوليّات المبادئ الحقوقيّة تسلسل درجات القانون، وعلى رأسها القانون الأساسي وهو الدستور، ثمّ القانون والمرسوم.

فالمرسوم والقانون يتبعان القواعد التي نظمها الدستور، ولا يحقّ للقانون مخالفة نصّ عن نصوص الدستور، والنص المخالِف لا يُعمل به، ويحقّ للقضاء عدم الأخذ بأيّ نصّ في القانون يتعارض مع الدستور.

ولمّا كان نص قانون الأحزاب في الشام، كما جاء بدراسة الأستاذ محمد زهير قتلان (مفوّض القضاء)، وبذات العدد من الجريدة (601) وقد فصل مخالفة لهذا القانون للدستور المعمول به في الشام.

ممّا يعني عدم الأخذ بهذا القانون، وخاصة النصوص المخالفة، أي «كأنّه لم يكن»، ولا قيمة له حسب تعبيركم.

في نظام الحزب

تأسّس الحزب على أساس النظام المركزي التسلسلي، وليس على نظام الفروع والأحزاب. وقد حدّد دستور الحزب صلاحيات كل سلطة من السلطات التشريعيّة الممثّلة بالمجلس الأعلى، والتنفيذيّة الممثّلة بالرئيس ومجلس العُمُد، والسلطة القضائيّة ومحاكمها. هذا القانون والنظام هما اللذان أقسمت يا حضرة الأمين حين انتمائك للحزب ومرّات حين تسلّمت مسؤوليات متعدّدة، كما أقسمنا عليه كأعضاء ومسؤولين «وأن أحفظ قوانينه ونظاماته وأخضع لها، وأن أحترم قراراته وأُطيعها، وأن أنفّذ جميع ما يُعهد به إليّ، بكلّ أمانة ودقّة، وأن أسهر على مصلحته وأؤيّد زعيمه وسلطته».

أليس هذا ما أقسمت عليه مرّات ومرّات؟ ومع ذلك تقول إنّكم «بارّين بقسمكم مخلصين لنهج زعيمنا». (بيان 2012/07/01).

تفسيرات خاطئة

في بيان أصدرته بتاريخ 2012/07/01 قلت: «كلّ ما أوردناه هو تعديل على النظام المركزيّ، أوجدته الضرورات ليقوم الحزب بمهامّه، وهذا ما يُفسّر الصيغ المتعدّدة التي طُبِّقت في الشام مثل (المفوّضية... المعتمديّة – عميد

الشام.. نائب الرئيس) المرتبطة بنظام مركزيّ». إذن كلّ هذه الأشكال التنظيميّة من ضمن الدستور وتابعة لمركز الحزب.

حلّ الإشكال

تقول يا حضرة الأمين إنّ هذا الإشكال يُمكن حلّه من خلال القواعد الدستوريّة الموجودة «الإشكال يُمكن حلّه وخاصة وأنّه يتعلّق بمخالفة القانون».

الدستور مركزيّ ولم ينصّ على فروع أو أحزاب، وإنّ ما حاولت نسبه إلى حضرة الزعيم بوضع قواعد في تغيير الدستور وتعديله وفق الطوارئ أو المستجدّات.

أولاً: إنّ تغيير الدستور كلّاً أو جزءاً يتمّ في المجلس الأعلى كصفة تشريعيّة ووفقاً لآليّة محدّدة.

ثانياً: إنّ حالات الطوارئ والمستجدات لا تُلغي الدستور ولا تعدّله، بل هي إجراءات وقتيّة تتطلّبها حالات الضرورة ووفقاً للحالة المركزيّة ذاتها.

ثالثاً: مخالفة القانون (قانون الأحزاب).

لي سؤال لحضرة الأمين: متى كان الحزب يعمل وفق قانون ضدّ مبادئه، وهل تأسّس الحزب موافقاً للقانون أيّام السلطة الفرنسيّة؟ كما وأنّه خلال الأعوام من 1955 وحتى إعلان ضمّ المركز المرخّص لبنانياً ضمن الجبهة الوطنية التقدمية في الشام، ألم يكن الحزب يعمل؟

أريد أن أُجيب عنك وبلسانك حين صرّحتَ لجريدة الوحدة الأردنيّة قبل دخول الجبهة أنّنا لم نتوقّف في يوم من الأيّام عن العمل، بترخيص أو بدون ترخيص.

تعديل القانون أم تعديل نظام الحزب؟

تقول: «مصلحة الحزب تقتضي أن يتمّ تعديل الأنظمة الداخليّة لتتلاءم مع أحكام القانون، والّذي سيجعل الحزب يتمتّع بحريّة العمل، وبالتالي امتلاك القدرة على مواجهة الظروف الحاليّة».

تعديل الأنظمة الداخليّة للحزب والّتي يملك حقّ تغييرها حرصاً على مصلحة الحزب في الشام.

تريد يا حضرة الأمين تعديل النظام الحزبي ليتلاءم وفقاً لقانون مخالف للدستور العام، وذلك للتمتّع بحريّة العمل في الشام، ولمصلحة العمل في الشام، وليس لمصلحة الحزب بشكل عام.

كيف انبثقت السلطات في حزب الشام؟

جاء في بيانك 2012/07/01 «والتزاماً منّي بما تفرضه عليّ مسؤوليّتي الحزبية، كلّفت عدداً من رفقائنا أصحاب الكفاءة والخبرة بإعداد مشروع داخليّ».

وفي حديثك تقول: «هذا الأمر اضطر تنظيم الحزب في الشام للتقدّم بنظام داخلي في إطار هذا القانون».

أنا أحد من حضر اجتماعاً دعيت إليه، حضرته لأنني عضو في المكتب السياسي في الشام والداعي رئيس المكتب، وقلت لك من أميناً عامّاً، والحزب هو الذي كلفك برئاسة المكتب السياسي الذي يتبع المركز، ولا صفة إدارية أو تنظيمية له، إنما صفته استشارية لرئيس الحزب.

إذن أنت ومن معك ممّن تسمّيهم من ذوي الكفاءة والخبرة، انتحلتم صفة ليست لكم، ووضعتم نظاماً داخلياً لا صفة له لأنه لم يصدر عن جهة ذات اختصاص.

الترابط بين الشام ولبنان

تقول في حديثك: «إنّ المسؤولية المُلقاة على عاتق القيادات هي زيادة فعالية الحزب ودعمه، وليس وضع العراقيل مجدداً. حرص الحزب في الشام على دعم الرفقاء في لبنان، ويدعو الحزب في لبنان إلى وحدة الحزب في الشام، الذي يدعمهم بكل قوته ويعمل على زيادة الترابط معه في إطار قانوني سليم. مشيراً إلى تقديمه للحزب في لبنان تصورات حول كيفية إمكان تعزيز التشابك ووحدة الاتجاه والسياسة والثقافة ومواجهة مفاعيل سايكس بيكو في المنطقة التي تتحول اليوم إلى سياسة تفتيت مذهبي وطائفي وعرقي ومناطقي».

أليس عجيباً هذا القول يا حضرة الأمين؟ تريد من القيادات في لبنان أن:

1 – تسلّمك القوميّين في الشام لتراهن بهم وفق مصلحة مجموعة لا تعرف الحزب إلّا في أوقات الارتزاق وتأمين مصالحها، وتخون هي دستورها ومبادئها!

2 – منذ ما بعد المالكي، من الذي يدعم من؟ لبنان يدعم الشام، أم الشام تدعم لبنان؟ مع أنّ كل هذا خلط يغاير مبادئنا التي هي بكلّ سوريا، وأيّ سوري قومي اجتماعي من أي جزء وبأيّ أرض هو دعم للحزب ورفقائه متى كان محتاجاً إليها. (راجع القسم).

3 – إذا كنتَ أسّستَ حزباً للشام فقط، وفقاً لقانون يمنع عليك أيّ ترابط أو اتصال بحزب آخر خارج الجمهورية السورية، وما هو القرار السليم الذي ستعتمده لهذا الترابط وقد اعتمدت قانون سايكس – بيكو، واتّجهت مناطقياً وطائفياً أيضاً؟

الشام في نظر الزعيم

"زعيمنا الذي وضع الشام في مكانها الذي تستحقه، إذ اعتبرها مركزاً للحركة القومية".

إنّنا جميعاً نشاركك بأهميّة الشام بنظر حضرة الزعيم وكافة القوميين الاجتماعيين. وأذكر، كما ربما تذكر، في مؤتمر قومي سابق، طالب الرفيق إميل عبود، وهو من لبنان، نقل مركز الحزب إلى الشام. كل الحزب، وليس حزباً شامياً إقليمياً، يؤمّن رغبات مكبوتة، وربما ظهرت مرّات وتوقّفت لعدم وجود دعم لها، واتخذت اليوم هذا القانون مبرّراً لتصرّفها الذي يؤمّن لها اسماً قيادياً ومصالح أخرى مادية.

هل هذا البرّ بالقسم والإخلاص للزعيم ونهجه؟

قد أكون – وأتمنّى ذلك – مخطئاً تجاه هؤلاء، وأن تُثبت الأيام عكس ما ذهبت.

الأمين عبد الوهاب البعاج

حضرة رئيس الحزب جزيل الاحترام،

تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة،

بعد خمسين سنة من السجون والمعتقلات، والضغط النفسي والإكراه، حتى قطع لقمة العيش على السوريّين القوميّين الاجتماعيّين في الشام، ترتفع فجأة أعلام الزوبعة في الشوارع والساحات، ويظهر القوميّون الاجتماعيّون للجماهير رافعي الرؤوس نافضي غبار الأيام السوداء.

كان ذلك مفاجئاً للناس المنتظرة مَن يخلّصها من الضغط والفساد، رأى الناس الكثير، وخاصة الفئة المتنوّرة والمتعلمة أنه جاء زمن الخلاص على يد مجموعة مؤمنة بنفسها وأمّتها، أثبتت أنها أقوى من الأيام.

بدأت المواجهة مع الناس التي تطلب منّا صراحةً قيادة سفينة الخلاص، إلّا أنها اصطدمت بقرار التحاقنا تحت قيادة حزب البعث في الجبهة الوطنية. كنّا نحاول التبرير بأننا سنوجه الجبهة والبلد إلى ما يرضي الناس.

بدأت تحرّكات الجماهير المطالبة بالإصلاح الديمقراطي. ولمّا كنّا لم نكن مع هذا التوجه من حيث ما يظهر لنا ومن قياداته، فإنّنا لم نستطع السير معهم، ولم نقنعهم بما نرى ولم يقنعونا بما هم فيه.

كانت في هذه اللحظات قياداتنا في نوم عميق، فلم تُصدِر بياناً يوضح الرأي والتوجيه، ممّا أفقدنا الكثير من القوميين الذين ساروا وراء هذه الموجة وبعضهم إلى آخرها. واليوم يتوزّع القوميون بتنظيمات (اعترفنا أم لم نعترف) بين مؤيّد للدولة ومؤسساتها، وبين مؤيّد دون حدود ومؤيد معارض، حتى أصبح يُقال في الأخبار «الأحزاب السوريّة القوميّة الاجتماعيّة».

لم يعد لنا ما نواجه به أنفسنا، ولا القوميّين الاجتماعيّين ولا أيضاً المُحبّين والمناصرين من هذا التشرذم.

والآن السؤال نوجّهه لقياداتنا:

1 – ما هي الخلافات الفكرية والعقائديّة للتنظيمات القائمة فعلاً وللمنزوين خارج الصفوف؟

نحن نعلم أنّ الجواب لا خلاف.

2 – ما هو تبرير القيادات للقواعد الحزبيّة ولمواطني سورية عن تشرذم حزب سعاده، حزب الوحدة السوريّة؟

هي الأسئلة كثيرة، والكلّ يعرفها، إنّما الجواب المطلوب هو العمل في هذه الظروف الخطيرة التي تمرّ بالأمّة السورية والوطن السوريّ، ووحدة الحزب وأبناء الأمّة، لهذا استقرّ رأينا على الاقتراح التالي:

توجيه بيان واضح وصريح إلى السوريّين القوميّين الاجتماعيّين في كافة تنظيماتهم من مسؤولين ورفقاء، يدعو فيه إلى مؤتمر عام لوحدة الحزب. يُعقَد هذا المؤتمر في دمشق، دون شروط سوى البحث في طريق عودة الوحدة فكراً ونظاماً.

دمشق في: 2013/03/05 **منفذ عام دير الزور**

الأمين عبد الوهاب البعاج

سبق لنا تقديم بعض الدراسات والملاحظات حول الدستور بشكل عام. ومنها ملاحظات قُدّمت إلى المؤتمر القومي، على أمل دراستها وتعديل ما يستوجب ذلك. إلّا أنّه، على ما يظهر، لم يطّلع المعنيّون على تلك الدراسات والملاحظات. لذا، وباعتبار أنّ دراسة الدستور كلّه بحاجة إلى وقت وجهد وعدد من المختصّين الذين يحفل حزبنا بالعديد منهم، آثرت أن أتقدّم بهذه الدراسة حول فصل رأيت من الضروري إجراء التعديلات عليه، لما يحويه من أخطاء في الصياغة أو تناقض بالنصوص، الأمر الذي لا يجوز أن يحتويه دستور الحزب.

- **المادة الثانية:**

يشترط في المرشّح لرئاسة الحزب أن يكون:

1. حائزاً على رتبة الأمانة منذ خمس سنوات.
2. قد تولّى مسؤولية عميد وما فوقه.
3. متمّماً واجباته الحزبيّة.

الملاحظة والرأي:

الفقرة الثانية من هذه المادة جاءت بتعابير غير واضحة وبمفهوم غير حقوقيّ.

لم يُفهَم المقصود من عبارة «ما فوق». والسؤال: ما هي المسؤوليّة فوق العميد؟

طبعاً هذه الفقرة بالذات غير منطقية وغير مقبولة، فالكثير من الأمناء هم أجدر من الرفيق أو الأمين الذي يتولّى مسؤولية العميد. لذا، فالاقتراح إلغاء هذه الفقرة، والإبقاء على الشرطين الأول والثالث.

- **المادة الرابعة:**

جاء نصّ هذه المادة كالتالي:

يتمّ انتخاب رئيس الحزب في جلسة واحدة يعقدها المجلس الأعلى لهذا

الغرض خلال مهلة خمسة عشر يوماً (15)، تبدأ من اليوم العاشر على انتخاب هيئة جديدة للمجلس الأعلى.

تكون الجلسة قانونيّة إذا حضرتها أكثريّة ثلثي عدد أعضاء المجلس الأعلى في الدعوة الأولى، وأكثريّة أعضائه المطلقة في الدعوة الثانية.

ويتمّ الانتخاب بأكثريّة أعضائه المطلقة في الدورة الثانية، ويكون الاقتراع بالانتخاب السريّ.

الملاحظة والرأي:

جاء في النصّ المذكور الدعوة الأولى والدعوة الثانية، والدورة الأولى والدورة الثانية.

عمليّاً، النصّ يقول بجلسة واحدة، والجلسة الواحدة محدّدة خلال خمسة عشر يوماً تبدأ من اليوم العاشر لانتخاب هيئة المجلس الجديدة.

كما لا يوجد دورة أولى ودورة ثانية، فكلّ الأمر بجلسة واحدة بحضور الأكثريّة المطلقة المرحلة الأولى، والأكثريّة المطلقة المرحلة الثانية من ذات الجلسة.

الاقتراح:

أن يكون النصّ كالتالي:

تتمّ الدعوة لانتخاب رئيس الحزب في جلسة واحدة يعقدها المجلس الأعلى لهذا الغرض خلال مهلة خمسة عشر يوماً (15)، تبدأ من اليوم العاشر لانتخاب هيئة المجلس الأعلى الجديدة، وتكون هذه الجلسة قانونيّة بحضور أكثريّة ثلثي أعضاء المجلس، وإذا لم يتمّ الانتخاب تكون الجلسة قانونيّة بالأكثريّة المطلقة، بالاقتراع السريّ.

- **المادة الخامسة:**

الفقرة الثالثة نصّت:

يُكمل الرئيس المنتخب خلفاً لرئيس سابق مدة ولاية سلفه، شرط ألّا تقلّ هذه المدة عن ستّة أشهر، وإذا لم يتوفّر هذا الشرط يكمل نائب الرئيس المدّة المتبقّية من الولاية.

الملاحظة والرأي:

جاءت عبارة «يُكمل الرئيس المنتخَب خلفاً لرئيس سابق» عبارة مطلقة تشمل أيّ رئيس سابق، بينما المقصود هنا وفقاً لنصّ الفقرة الثانية من لم يستطع إكمال مدّته لسبب من الأسباب.

كما وأنّ المدة ستة أشهر هي عملياً ثلاثة أشهر، لأنّ الثلاثة أشهر الأولى يقوم نائب الرئيس «رئيس مجلس العمد» بممارسة صلاحيات الرئيس، والثلاثة أشهر التالية تستغرق بين الاجتماع والانتخاب.

لذا، فالرأي أن تكون المدة سنة وليست ستّة أشهر، كما أنّ هذه الولاية لا تحجب عن المنتخب لإكمال المدّة حقّه في الولاية الكاملة وفقاً للفقرة الأولى.

النصّ المُقترَح:

يُكمل الرئيس المنتخب خلفاً للرئيس المنتهية ولايته بسبب من الأسباب المنصوص عنها في الفقرة السابقة مدّة سلفه، شرط ألّا تقلّ هذه المدة عن سنة، وفي حال عدم توفّر هذا الشرط يكمل نائب الرئيس «رئيس مجلس العمد» المدّة المتبقية.

ولا تحجب هذه المدة عن المنتخب حقّه وفقاً لنصّ الفقرة الأولى من هذه المادة.

- **المادة التاسعة:**

جاءت الفقرة 11 من هذه المادة بالنص التالي:

العفو الخاص لأيّ عضو في الحزب محكوم بقرار قضائيّ مبرَم متى كانت أسباب جديّة ووجيهة بعد مطالعة عميد القضاء.

والفقرة 14 تنصّ:

تعيين ممثّل الحقّ الحزبي ومعاونيه وناموس المحكمة الحزبيّة العليا ونواميس غرف المحكمة، وقبول استقالتهم وإعفائهم أو إقالتهم.

الملاحظة والرأي:

إنّ عميد القضاء الذي يُعتبر مستشاراً للرئيس في أمور القضاء ما عدا

أعمال المحاكم، فالنص الوارد في الفقرة 11 صحيحاً، أمّا النص في الفقرة 14 فهو ناقص ويجب أن تكون عبارة بعد مطالعة عميد القضاء، ليكون له رأي بالعاملين تحت ولايته من ممثّلي الحق العام والكتبة.

النصّ المقترَح:

14 – تعيين ممثّل الحقّ الحزبي ومعاونيه وناموس المحكمة الحزبيّة العليا، ونواميس غرف المحاكم، وقبول استقالتهم وإعفائهم أو إقالتهم، بناءً على مطالعة واقتراح عميد القضاء.

الفقرة 15 التي نصّها:

اقتراح أسماء أعضاء المحكمة الحزبيّة المركزيّة.

الملاحظة والرأي:

إنّ القضاء سلطة مستقلّة عن السلطة التنفيذيّة الممثّلة بالرئيس عدا عن صلاحياته تجاه ممثّل الحقّ الحزبي والعاملين لدى المحاكم، كما وأنّ القانون 13 لسنة 2001 المتعلّق بالتنظيم القضائي يجعل انتخاب المحكمة الحزبيّة من صلاحيات هذا المجلس.

لذا، فإنّ هذه الفقرة تناقض هذا القانون وفصل السلطات.

فالمقترح: إلغاء هذه الفقرة.

الأمين عبد الوهاب البعاج

الحزب السوري القومي الاجتماعي **الموضوع: حول تشكيل العمد**
منفذية دير الزور

حضرة رئيس المجلس الأعلى جزيل الاحترام،
حضرة رئيس الحزب جزيل الاحترام،
حضرة عميد القضاء جزيل الاحترام،
تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

بعد الاطلاع على مراسيم تشكيل مجلس العمد 104 و2012/80/105 الذي لم يعمّم إلينا بشكل أصولي، فوجئنا بأنّ التشكيل يخالف أحكام القانون الدستوري رقم 37/1 المادة الثانية منه التي تحدّد عدد العمد بدون مصلحة بثلث عدد العمد بمصلحة.

وبعد الاستفسار تبيّن أنّه قد صدر عن المجلس الأعلى قرار رقم 80/37 تاريخ 2012/10/10 القاضي بوقف العمل بالفقرة الواردة في المادة الثانية من القانون الدستوري رقم /1/ لجهة عدد العمد بدون مصلحة.

(تعميم عمدة الداخلية عدد 54 تاريخ 2012/10/11 الذي لم يعمّم وقتها).

المبدأ العام:

هناك تسلسل درجات وقوّة للقوانين الدستوريّة، تبدأ من الأعلى بالدستور نفسه «القانون» إلى المراسيم التشريعية والعادية، حتى نصل إلى القرارات والأوامر الإدارية. فالقانون وما لحق به يجب ألّا يخالف الدستور، وكلّ ما يصدر لهذا الشأن يُعدّ باطلاً.

قرار المجلس الأعلى 80/37:

صدر هذا القرار بعبارة وقف العمل بالمادة الثانية من القانون الدستوري رقم 37/1 وهو دستور الحزب والأعلى مرتبة في القوانين.

إنّ عبارة «وقف» لم ترد في الحقوق الدستوريّة والقانونيّة، والذي يُفهَم منها في هذا القرار هو تعطيل نصّ دستوري بقرار عادي، وهذا ما يُخالف أبسط القواعد الفقهيّة والقانونيّة.

في اختصاصات المجلس الأعلى:

حدّد القانون الدستوري رقم 9 لعام 2001 في مادته التاسعة عشرة صلاحيات المجلس الأعلى:

1 – "المحافظة على سلامة العقيدة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة ونظام الحزب وصيانتها".

2 – "التشريع".

3 – "تفسير الدستور".

فتحتَ أيّ بند من هذه البنود الدستوريّة جاءت عبارة وقف؟

هل هي تعديل؟

فالتعديل يقتضي تغيير النص بنصّ جديد، وكذلك التشريع.

هل هو تفسير؟

التفسير يكون لنصّ غامض، بينما نصّ المادة الثانية من القانون الدستوري 37/1 واضحة بالأرقام، ولا تحتمل الغموض أو التفسير.

تعيين مهام العمد بلا مصلحة:

بنفس المادة الثانية من القانون الدستوري رقم 37/1 تشترط تعيين مهام العمد بلا مصلحة، وهذا أيضاً ما لم نجده في المراسيم المذكورة.

لهذا نجد أنّ:

1 – قرار المجلس الأعلى 80/37 تاريخ 2012/10/10 يُخالف الدستور.

2 – إنّ مراسيم تشكيل مجلس العمد 104 – 80/105 لعام 2012 قد صدرت استناداً لقرار باطل، وبالتالي تكون باطلة.

ملاحظة:

هذا رأينا ويمكن عرض الموضوع على اختصاصيّين، وبالتالي العمل وفق الأصول الدستورية.

دمشق في: 2013/3/5 **منفذ عام دير الزور**

الأمين عبد الوهاب بعاج

الحزب السوري القومي الاجتماعي **إلى: منفذية دير الزور**
عمدة الداخلية **الموضوع: رسالة المجلس الأعلى**

صادرة رقم: 81/05/44

حضرة المنفذ العام المحترم
تحية سورية قومية اجتماعية
نُحيل إليكم ربطاً صادرة المجلس الأعلى رقم 81/05/02 تاريخ 2013/03/19 والمتضمّنة جواباً من المجلس الأعلى الموقّر على كتابكم بتاريخ 2013/02/25.

المركز في: 2013/03/26 **عميد الداخلية**
الأمين صبحي ياغي

الحزب السوري القومي الاجتماعي **إلى: حضرة الأمين عبد الوهاب البعاج**

المجلس الأعلى **الجزيل الاحترام**

صادرة رقم: 81/05/02 **الموضوع: اقتراحات دستوريّة**

حضرة الأمين عبد الوهاب البعّاج الجزيل الاحترام

تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

تبلّغنا كتابكم (تاريخ 2013/02/25) المتضمّن مناقشة لعدد من مواد الدستور لا سيّما القانون الدستوريّ رقم 10، كما تبلّغنا بواسطة رئاسة الحزب صادرتكم تاريخ 2013/03/05 والمتعلّقة بتشكيل مجلس العمد.

وإنّنا، إذ نسجّل شكرنا للجهد المبذول من قِبَلكم وننوّه به نظراً لأهميّة المواضيع المطروحة والمناقشة الجادّة لها، بغضّ النظر عن مدى توافق وانطباق الرأي في ذلك. ونظراً لأهميّة المواضيع المطروحة، فقد أحالها المجلس الأعلى في جلسته المنعقدة بتاريخ 2013/03/15 إلى اللجنة القانونيّة الدستوريّة من أجل دراستها ورفع خلاصة الدراسة إلى المجلس الأعلى كي يُصار إلى الاستفادة منها والدراسة المنجزة من قِبَل اللجنة.

ونطلب من حضرتكم – إذا توافر لكم أيّ تفصيل أو إضافة ترغبون بها، أن ترسلوها إلى اللجنة القانونيّة الدستوريّة أو إلى المجلس الأعلى ليُصار إلى ضمّها ومناقشتها.

المركز في: 2013/03/19 **ناموس المجلس الأعلى**

الأمين جورج ديب

الحزب السوري القومي الاجتماعي **إلى:**
المجلس الأعلى **منفذيّة دير الزور بواسطة رئاسة الحزب**
الموضوع: مقترحات دستوريّة

صادرة رقم: 81/07/04

حضرة المنفّذ العام الجزيل الاحترام،
تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

ردّاً على صادرتكم المؤرّخة في 2013/02/25 نُعلمكم أنّ المجلس الأعلى درس مقترحاتكم وملاحظات اللجنة الدستوريّة القانونيّة عليها، وخَلُص إلى ما يلي:

أوّلاً: تقترحون تعديل المادة الثانية من القانون الدستوري رقم 10 للعام 2001 وتعديلاته. مُعتبرين أنّ المادة الثانية بحاجة إلى تعديل، كونها جاءت بتعابير غير واضحة وبمفهوم غير قانونيّ، موردين نصّ هذه المادة كما جاءت في الدستور:

المادة الثانية: يُشترط في المرشّح لرئاسة الحزب أن يكون:
1 – حائزاً على رتبة الأمانة منذ خمس سنوات.
2 – قد تولّى مسؤوليّة عميد وما فوق.
3 – متمّماً واجباته الحزبية.

وأنتم ترون أنّكم لم تفهموا المقصود بعبارة «ما فوق»... إلخ. وتعتبرون أنّ هذه الفقرة غير منطقيّة وغير مقبولة، كون أنّ الكثير من الأمناء هم أجدر من الرفيق أو الأمين الذي يتولّى مسؤولية العميد، وتخلصون إلى اقتراح إلغاء الفقرة الثانية والإبقاء على الفقرتَين الأولى والثالثة.

لقد أصبتم في اعتباركم أنّ صياغة الفقرة الثانية ضعيفة وغير واضحة وتفتقر إلى الصياغة القانونيّة المتينة، ولكنّ المشرّع القومي أوجد هذه الفقرة

للدلالة على أنّ المرشّح لرئاسة الحزب يجب أن تتوفّر فيه شروط الخبرة والقيادة، وتمرّس في المسؤوليّات العُليا عن طريق تحمّل مسؤوليات في القيادة العُليا من الحزب (عميد أو عضو مجلس أعلى)، وبالتالي أصبحت لديه الخبرة الكافية في صناعة واتّخاذ القرار.

على ضوء ذلك نرى الإبقاء على الشروط كما وردت في المادة الثانية مع تعديل في صياغة الفقرة الثانية بحيث تُصبح كما يلي:

2. قد تولّى مسؤوليّات مركزيّة عُليا – عميد أو عضو مجلس أعلى – حصراً.

ثانياً: تقترحون تعديل المادة الرابعة من القانون الدستوري رقم 10 للعام 2001، وترون أنّه لانتخاب رئيس الحزب لا يوجد دورة أولى أو دورة ثانية. وتضيفون أنّ النصّ يقول بجلسة واحدة، والجلسة الواحدة خلال خمسة عشر يوماً تبدأ من اليوم العاشر لانتخاب هيئة المجلس الجديدة.

نرى الإبقاء على النصّ الحالي دون تعديل، كون المجلس الأعلى السابق انكبّ فعلياً، وهو في معرض مراجعته الدستوريّة قبل طباعة الدستور بنسخته الحاليّة، على دراسة هذا النصّ وإمكانيّة تعديله، وبعد مناقشة مُستفيضة أدخل تعديلاً طفيفاً عليه عن طريق العبارة التالية: خلال خمسة عشر يوماً تبدأ من اليوم العاشر على انتخاب هيئة جديدة للمجلس الأعلى... وأيضاً سائر النصّ كما هو.

غير أنّه، وللتوضيح العلمي والقانوني، لا بُدّ من إبداء الملاحظات التالية:

إنّ نصّ المادة العاشرة جاء واضحاً وصريحاً ولا يحتمل التأويل أو التفسير، إذ إنّ القاعدة القانونيّة تقول إنّ لا اجتهاد في معرض وجود النصّ. وقد حدّد النصّ أنّ الجلسة تكون قانونيّة بحضور ثلثيّ أعضاء المجلس الأعلى في الدعوة الأولى. وهذا يعني أنّ على رئيس المجلس الأعلى أن يوجّه دعوة إلى أعضاء المجلس الأعلى خلال المهلة الدستوريّة المحدّدة في النصّ، والتي هي خمسة عشر يوماً تبدأ من اليوم العاشر على انتخاب هيئة جديدة للمجلس الأعلى.

إذا توفّر النصاب القانوني، أي حضور ثلثَي أعضاء المجلس الأعلى، تكون الجلسة قانونيّة ويباشر بالانتخاب. وتجري دورة الاقتراع الأولى بحيث يُعتبَر فائزاً من حاز على ثلثَي أصوات المجلس الأعلى، وفي حال لم ينل أيّ مرشّح ثلثيّ الأصوات تجري دورة اقتراع ثانية ويكون فائزاً من نال الأكثريّة المطلقة للحضور.

أمّا إذا لم يتوفّر النصاب القانوني في الدعوة الأولى المحدّدة بثلثي أعضاء المجلس الأعلى، فلا تُعقَد جلسة انتخابيّة، بل يتوجّب على رئيس المجلس الأعلى توجيه دعوة ثانية، غير أنّ هذه الدعوة يجب ألّا تتعدّى المهلة الدستوريّة المحدّدة في المادة الرابعة المذكورة، ويكون النصاب قانونياً بحضور أكثريّة أعضاء المجلس الأعلى، أي نصف عدد الأعضاء زائد واحد، وفور التأكّد من النصاب القانونيّ للجلسة يباشر في عمليّة انتخاب رئيس الحزب؛ فإذا تبيّن أنّ الحضور هو ثُلثا أعضاء المجلس الأعلى، يباشر بانتخاب الرئيس بحيث يُعتبَر فائزاً من ينال الأكثريّة المطلقة لعدد أعضاء المجلس الأعلى أي النصف زائد واحد.

أمّا إذا تبيّن أنّ عدد الحضور هو النصف زائد واحد، فتُعتبَر الجلسة قانونيّة، ويباشَر بانتخاب الرئيس بحيث يُعتبر فائزاً من ينال جميع أصوات الحاضرين وذلك عملاً بالنصّ الراهن (أي النصف زائد واحد)، وبذلك يجب أن تتكرّر دورات الاقتراع لنيل المرشّح هذا المعدّل من الأصوات.

وهكذا يتبيّن – تطبيقاً للنصّ الراهن – أنّه في كلتَي الحالتَين هناك جلسة واحدة لانتخاب رئيس الحزب، ولكن هناك أكثر من دورة اقتراع للوصول إلى نسبة الفوز.

ثالثاً: تقترحون تعديل المادة الخامسة من القانون الدستوري رقم 10 موردين النصّ التالي:

"يُكمل الرئيس المنتخب خلفاً لرئيس سابق مدّة ولاية سلفه شرط ألّا تقلّ عن ستّة أشهر، وإذا لم يتوفّر هذا الشرط يُكمِل نائب الرئيس المدة المتبقّية من الولاية».

وترون أنّ عبارة «يُكمل الرئيس المنتخَب خلفاً لرئيس سابق» هي عبارة مطلقة وتشمل أيّ رئيس سابق، وترون أيضاً أنّ مدّة ستّة أشهر هي عملياً ثلاثة أشهر.

غير أنّه – ومن خلال التمحيص في النصّ – نرى الآتي:

ورد في الفقرة 3 من المادة الخامسة ما يلي: «يُكمل الرئيس – المنتخَب خلفاً لرئيس سابق – مدّة ولاية سلفه...». إنّ ورود مدّة ولاية سلفه قد حدّدت الرئيس السابق الذي يُكمل الرئيس المنتخَب ولايته. وعليه يكون النصّ واضحاً وليس مُطلقاً، وهو لا يشمل أيّ رئيس سابق كون البند 3 مرتبط بالبند 2 الذي سبقه.

أمّا مهلة الثلاثة أشهر المحدّدة في البند 2، فهي ليست عامّة. إذ إنّ المجلس الأعلى مدعوّ خلال خمسة عشر يوماً من خلوّ سدّة الرئاسة إلى انتخاب رئيس جديد في الأحوال الآتية:

1 – إذا خلت سدّة الرئاسة بسبب الاستقالة.

2 – بسبب مانع قانونيّ أو مانع طبيعيّ.

في هاتَين الحالتَين، على المجلس الأعلى أن ينتخب رئيساً خلال مهلة خمسة عشر يوماً من تاريخ الاستقالة أو حدوث المانع القانونيّ أو الطبيعيّ.

أمّا استحالة ممارسة الرئيس مهامّه لمدّة ثلاثة أشهر، فهو سبب يتعلّق بالمرض مثلاً، وبالتالي يقوم بمهام الرئاسة نائب الرئيس، كون الاستحالة ظرفيّة أو وقتيّة. أمّا في حال امتدّت هذه الاستحالة لمدّة تفوق الثلاثة أشهر، فيُعلن المجلس الأعلى استحالة قيام الرئيس بمهامّ مسؤوليّاته، وبالتالي عليه أن يدعو إلى انتخاب رئيس جديد في حال بقيت من ولايته مدّة ستّة أشهر، وإلّا يُكمل نائب الرئيس ولاية الرئيس خلال هذه المدّة المتبقّية. لذلك نرى إبقاء النصّ الراهن.

رابعاً: تقترحون إضافة عبارة «بناءً على اقتراح عميد القضاء» على الفقرة 14 من المادة التاسعة.

إنّ ناموس كلّ غرفة من غرف المحكمة يعيّنه رئيس الحزب بناءً على

اقتراح عميد القضاء، وبذلك يكون ما يقترحه لهذه الجهة معمولاً به وفقاً لما جاء في نصّ المادة التاسعة من القانون رقم 13 لسنة 2001.

أمّا مفوّض الحقّ الحزبيّ العام ومعاونوه، فيتمّ تعيينهم وفقاً للمادة 14 من القانون رقم 13 لسنة 2001 من قِبَل رئيس الحزب بناءً على اقتراح عميد القضاء، وبذلك تكون الفقرتان 14 و15 من المادة التاسعة من القانون الدستوريّ رقم 10 معطوفتَين على المادتَين 9 و14 من القانون رقم 13 لسنة 2001.

خامساً: تقترحون إلغاء الفقرة 15 من المادة 9 من القانون الدستوري رقم 10 باعتبار أنّ القضاء سلطة مستقلّة عن السلطة التنفيذيّة، ولكنّكم لم تقترحوا أو تقدّموا أيّ رأي في كيفيّة انتقاء أعضاء المحكمة الحزبيّة.

عليه، ونظراً لما استقرّ عليه العمل الحزبيّ، ولعدم إمكانيّة إجراء أيّ تعديل دون اقتراح عمليّ وفعليّ، نرى إبقاء النصّ الحالي كما هو.

المركز في: 2013/06/11 **ناموس المجلس الأعلى**

الأمين جورج ديب

رئيس المؤتمر

الأمناء – الرفقاء

تحيّة سوريّة

بصفتي منفّذاً لمنفّذية دير الزور التي انتشر أعضاؤها في كافّة المحافظات، نتيجة الأخطار المحيطة بأشخاصهم، مع توقّف أعمالهم وتضرّر بيوتهم ونهب وحرق محتويات منازلهم. قوميّو دير الزور لم يطلبوا عوناً ولا مساعدة، كما لم يعرض عليهم أحد ذلك، وهذا تاريخياً، فقد تعرّضوا للسجن والاعتقالات وقطع موارد العيش دون أن يلتفت إليهم أحد، لا قيادات ولا أفراد.

بعكس ما هم عليه من سلوكيّة، وأودّ أن أذكّر بعام 2006 وأحداث لبنان، حيث حضر إلى دير الزور الآلاف من أهلنا في لبنان وحلّوا في بيوتهم وكنّا نحن ضيوفاً لديهم، ولم نكن وقتها بحاجة إلى تعميم من قيادة الحزب يطلب إلينا مساعدتهم. كما أنّ قيادة الحزب قامت بإيواء المهجّرين ومساعدتهم بكلّ أنواع المساعدات.

واليوم جاء دور الشام وتشرّد أهلها ومنهم القوميّون الاجتماعيّون. ماذا عملت قيادتنا؟ هل أصدرت تعميماً؟ هل قدّمت معونة للقوميّين الاجتماعيّين الذين أقسموا على تقديم المساعدة؟ أين هم ومن سأل منهم عن أيٍّ من قوميّي دير الزور عن حاله وأوجاعه، جديّاً كان السؤال أم رفع عتب.

بصفتي منفّذاً عامّاً، ونظراً لمعرفتي بأحوال البعض من القوميّين ولسكوت المركز، فقد خاطبت بعض المسؤولين في المركز طالباً المساعدة لِمَن هم بحاجة، ولكنّ الوعد لم يتحقّق. فكتبتُ للمركز، فجاء الجواب أكثر مُماطلة. فقد شُكّلت هيئة إغاثة للقوميّين في الشام، وطُلب منّا تقديم لائحة اسميّة لبعض الذين هم بحاجة. قدّمنا اللوائح، وعلى ما يُظنّ أنّ هذه اللوائح أُرسلت لهيئة الإغاثة الدوليّة الّتي لا تزال تدرس فيما إذا كانت ستعتمد صرف معونة أم لا؟

للأمانة، نذكر أنّ شخصاً أو اثنين من رفقائنا تلقّى عدداً من علب الفول وبعض أكياس الشعيريّة وحفاضات أطفال، كان قد حصل عليها الحزب من مؤسسة خيريّة.

هل هذا حزب سعاده؟ الحزب الذي أقسم كلّ مُنتمٍ إليه، وبأيٍ من التنظيمات القائمة، على أن يقدّم كلّ مساعدة لأيّ قوميّ اجتماعيّ محتاج إليها، ونحن نعلم أنّ الكثيرين قادرون على تقديم المساعدة ولو بالسؤال فقط، ولكن لم نجد، وكأنّ هذا القسَم أصبح شكلاً بلا مضمون.

الأمر الثاني:

وهو تساؤل القواعد القوميّة الاجتماعيّة وكافة المواطنين الذين ينظرون إلى الحزب أنّه مخلّص الأمّة.

أين هذا الحزب؟

هل هو هذا التنظيم الذي نحن فيه يرأسه الأمين أسعد حردان؟

هل هو التنظيم الذي كرّسه رئيس الحزب لعدة دورات الأمين جورج عبد المسيح؟

هل هو الأمانة العامّة التي شكّلها الرئيس لعدّة مراحل الأمين عصام محايري؟

هذه تنظيمات قائمة، شئنا أم أبينا، يلحق بها ما سُمّي اليوم بمجموعة وحدة القوميّين الاجتماعيّين التي استمرّت ستشكّل تنظيماً آخر، يُضاف إليهم الواقفون على الأرصفة لا هم هنا ولا هم هناك.

التساؤل، وخاصة من الآخرين، ما هو الخلاف بين هذه التنظيمات هل هو فكريّ أم نهج سياسيّ أم تنظيميّ؟

الجواب: فكر سعاده هو المحور الأساسيّ في كلّ التنظيمات، ولا خلاف على حرف.

إذن، إذا كان الخلاف سياسيّاً أو إداريّاً تنظيميّاً، يمكن حلّه بالحوار الذي يشكّل النهج الأساس في كلّ التنظيمات.

إنّ القواعد في الحزب والتنظيمات الباقية لا تجد مشكلة غير قابلة للحلّ، وقد سبق أن انشقّ الحزب إلى تنظيمَين؛ المجلس الأعلى والطوارئ، وباجتماع بين القيادتَين أُعيدَت وحدة الحزب.

إذا كان البعض يعتقد أنّ بتشكيله تنظيماً مستقلّاً، ولجوئه إلى سلطة أو حزب فاعل يصل إلى مركز أو منصب، فإنّ وحدة الحزب التي لو تمّت لشكّلت أقوى من أيّ سلطة أو حزب آخر، ولأوصلت كلّ قوميّ اجتماعيّ إلى مكان لا يصل إليه سواه، وهو مجرّد كونه كذلك.

في الختام:

أرى أن تقوم قيادة الحزب بالدعوة إلى عقد مؤتمر قوميّ اجتماعيّ لكافّة القوميّين، وقد تكلّف من يقوم بهذه الدعوة من مفكّري الحزب المعروفين، وذلك لبحث ظروف إعادة وحدة الحزب، حزب الأمّة، التي تواجه أخطر أيّامها، فإذا لم نوحّد الحزب فكيف نوحّد الأمّة؟

جلسة المجلس القومي **الأمين عبد الوهاب البعّاج**

بيروت: 2013/05/12

الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ **إلى: رئاسة الحزب**
منفذيّة دير الزور

حضرة الرئيس جزيل الاحترام
تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

إنّ منفّذية دير الزور، وعلى مدى تاريخها الذي مرّت به من سجون واعتقالات وشهداء، لم تكن تتلقّى أية معونة ماليّة أو غير ماليّة.

أمّا ونحن في ظرف مرّ علينا لأكثر من ثلاث سنوات، استُهدِفنا بكلّ الطرق والوسائل بما فيها التهديد بالقتل، ممّا اضطرّ رفقاءنا إلى ترك أعمالهم وبيوتهم التي تعرّضت للتخريب والنهب، والتجؤوا إلى بلدان أخرى ومحافظات لا عمل لهم فيها ولا مورد رزق مع حاجتهم للسكن والمعيشة بالحدّ الأدنى.

ونظراً لقيام مركز الحزب بصرف بعض المعونات، مع تشكيل ما سُمّي لجنة إغاثة بقيت اسماً بلا فعل.

وبما أنّ قَسَمنا القوميّ الاجتماعيّ يُلزمنا بالمساعدة لمن يحتاج من القوميّين الاجتماعيّين، فقد طلبنا من عمدة الماليّة مرّات مساعدة رمزيّة، ولم نتلقّ جواباً، فتقدّمنا إلى الرئاسة الموقّرة بهذا الطلب، وكان قرار الرئاسة الإيعاز بصرف مبلغ رمزيّ لعدد من هؤلاء الرفقاء.

ولمّا كان هذا القرار قد مرّ عليه أكثر من خمسة أشهر، من دون أن تُصرف هذه المعونة التي لو صُرِفت لكفت أيّ عائلة ليوم واحد فقط، أمّا اليوم ومع مضاعفة الأسعار والتكاليف فهي لم تعد تشكّل شيئاً.

حضرة الرئيس:

حين طلبنا هذه المعونة، مع معرفتنا بأنّها لا تشكّل شيئاً بالنسبة للقوميّ الاجتماعيّ من حيث تكاليف المعيشة، إلّا أنها تُشعره باهتمام القيادة وأنّ القَسَم ليس قولاً فقط بل فعل.

وإنّنا، وكي لا يسجّل بسجلّ منفذيّتنا أنّنا تلقّينا معونة مهما كان نوعها أو

مقدارها، لبعض من رفقاء لنا أصبح حالهم ووضعهم لا يُحسدون عليه. ومع ذلك، فهم لا زالوا على إيمانهم وقَسَمهم، وقد مُنِح عددٌ منهم وساماً للواجب... وهذا يكفي.

حضرة الرئيس:

إنّنا نطلب من مقام الرئاسة طيّ قرار صرف المعونة، واعتباره لم يكن وإبلاغنا ذلك.

بيروت: 2014/03/19

تحيا سورية ويحيا سعاده

منفذ عام دير الزور

الأمين عبد الوهاب البعّاج

الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ
منفّذيّة دير الزور
صادرة رقم: / / 87

إلى: المجلس الأعلى الموقر
بواسطة مقام الرئاسة الموقّر
الموضوع: اقتراح تعديل دستوري
بشأن انتخاب أعضاء المحكمة الحزبية

حضرة رئيس الحزب الأمين الجزيل الاحترام،
تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

نتقدّم إليكم بهذا المقترح طالبين تبنّيه وتقديمه إلى المجلس الأعلى الموقّر لإقرار تعديل يحفظ استقلاليّة السلطة القضائيّة في الحزب.

الموضوع:

جاء في **المادة الثانية** من القانون الدستوريّ رقم 13 لعام 2001 والذي نُشر في 2015/03/13 النصّ التالي:

تتكوّن المحكمة من ستّة أعضاء ينتخبهم المجلس الأعلى بناءً على اقتراح عميد القضاء ومطالعة رئيس الحزب، على أن تتوفّر في كلّ من المقترحين الشروط المسلكيّة والنظاميّة والخبرة القانونيّة أو العلميّة أو الإداريّة.

وجاء في **المادة الرابعة:** تختصّ المحكمة... في النظر:

2 – الخلاف بين السلطتَين التشريعيّة والتنفيذيّة.

والمادة السابعة تقول:

إنّ القرارات الصادرة عن المحكمة نهائيّة ومُبرَمة، باستثناء التجريد من رتبة الأمانة والطرد، حيث يقتضي إبرامها من المجلس الأعلى.

أمّا إذا عدنا إلى دستور سعاده للعام 1934 والمصنّف عام 1937 نجد:

المادة الثانية عشرة: يكون للرئيس المنتَخَب السلطة التنفيذيّة فقط، وتُحصَر السلطة التشريعيّة من دستوريّة وغير دستوريّة بالمجلس الأعلى.

وفي قانون المحكمة الحزبية المركزيّة، كما وضعه سعاده، جاء:

8 – إنّ الأحكام التي تصدرها المحكمة هي أحكام مُبرمة، إلّا أنّه يجوز

للزعيم أن يقرّر إعادة النظر في حكم المحكمة فتُحال القضيّة عندئذ إلى محكمة جديدة تتألّف من أعضاء جدد يعيّنهم الزعيم بمرسوم لهذه الغاية.

وفي المقارنة بين هذين الدستورَين وهذين النظامَين القضائيَّين نجد:

1 – في دستور سعاده فصل بين السلطات الثلاث: تنفيذيّة – تشريعيّة – قضائيّة. بينما في دستورنا الحالي تداخل بين السلطتَين التشريعيّة والتنفيذيّة لمصلحة التشريعيّة، وإلغاء للسلطة القضائيّة كسلطة مستقلّة.

2 – في دستور سعاده يتمّ انتخاب رئيس الحزب، كما يُنتَخب المجلس الأعلى. أمّا القُضاة فيتمّ تعيينهم من الزعيم صاحب السلطات الثلاث.

3 – في دستور سعاده القضاة من أصحاب الاختصاص وفقاً لنصّ المادة 4 من هذا النظام. حيث جاء فيه: تتألّف المحكمة من رئيس ومُستشارَين مُجازَين بالحقوق ومن مفوّض الحزب وكاتب، يُعيَّن جميعهم بمرسوم.

أمّا في المادة الثانية من القانون 13، فتُحدّد الشروط المقترحة في الخبرة القانونيّة أو الإداريّة أو العلميّة.

4 – في الاختصاص القضائي:

– خلاف بين السلطتَين التشريعيّة والتنفيذيّة.

– حلّ الخلافات بين القوميّين الاجتماعيّين.

فالخلاف بين السلطتَين يجب حلّه بتوجيهات وتعليمات الزعيم، لأنّه المرجع لكلّ الاختلافات. وبين القوميّين، فالقوانين والعرف القوميّ الاجتماعيّ هما المرجع، والأمثلة ما عمله الزعيم بمحاكمته العلنيّة لخالد أديب.

وفي الدستور الحالي، فالقضاء دستوريّاً هو الذي يفصل في كلّ خلاف بين السلطة التنفيذيّة والسلطة التشريعيّة.

"ولمّا كانت النهضة هي الخروج من التفسّخ والتضارب والشكّ إلى الوضوح والجلاء والثقة واليقين والإيمان والعمل بإرادة واضحة وعزيمة صادقة. هذا هو معنى النهضة". (المحاضرات العشرة – ص 8).

ولمّا كان سعاده قد اعتبر أهمّ أعماله بعد وضعه للمبادئ هو الدستور، وجاء

دستوره محدّداً لكلّ سلطة صلاحياتها. وكما اعتبر القضاء سلطة مستقلّة لا سلطان عليها إلّا القانون نفسه. وجعل دستور الحزب «فردياً مركزيّاً تسلسليّاً منعاً للفوضى في داخله واتّقاء نشوء المنافسات والخصومات والتحزّبات والمماحكات وغير ذلك من الأمراض السياسيّة والاجتماعيّة، وتسهيلاً لتنمية فضائل النظام الواجب» (المحاضرات – ص 41). واعتمد الديمقراطيّة التمثيليّة، التي تمثّل المجتمع سياسياً واجتماعياً، وقد تمثّلت هذه الديمقراطية بفرده ولو أنّ هذا يكون بشكلٍ مؤقّت (الديكتاتور المُصلِح).

من هذه المقدّمة نخلص:

إلى وجوب إجراء تعديل دستوريّ يخصّ القانون 13 المتعلّق بالنظام القضائيّ، وأن يشمل هذا التعديل النقاط التالية:

1 – يتمّ انتخاب أعضاء المحكمة الحزبيّة، وهم ستّة أعضاء وعضو ممثّل للحقّ القوميّ، من قِبَل المجلس القوميّ.

2 – يُشترَط بالمرشّح أن يكون ممّن يحمل رتبة الأمانة، ملتزماً، مؤدياً واجباته العضويّة، من أصحاب الاختصاص القانونيّ.

3 – مدّة ولاية المحكمة دورة انتخابيّة، ويمكن تجديد انتخابهم كلّاً أو بعضاً لأكثر من ولاية.

4 – قرارات المحكمة مبرمة، مع إعطاء الحقّ لكلّ من رئيس الحزب والمجلس الأعلى حقّ الطعن أمام الهيئة العامّة التي تتكوّن من مجموع أعضاء المحكمة الستّة مجتمعة.

5 – تختصّ الهيئة العامّة للنظر في الاعتراضات في الأمور التالية:

أ– الخلافات الدستوريّة وغير الدستوريّة التي تحصل بين السلطتَين التشريعيّة والتنفيذيّة.

ب– قضايا تتعلّق بمنح أو سحب رتبة الأمانة عن أيّ عضو في الحزب.

بهذا يتحقّق فصل السلطات، مع بقاء السلطة قائمة بينهما.

منفّذ عام دير الزور

الأمين عبد الوهاب البعّاج

حضرة الرئيس جزيل الاحترام

تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

1 – في انتشار الحزب:

قد يكون في سجلّات وقيود الحزب ما يُشير إلى إقبال وانتشار للحزب بشكلٍ عام، وإن كان يتوزّع بين التجمّعات والأحزاب المنشقّة، رغم أنّ الاتجاه العام للمواطنين يحمل في طيّاته الثقة والإيمان بالمبادئ والحزب. إلّا أنّ الملاحظات والأخطاء التي تؤخذ على أداء القوميّين وإداراتهم الحزبيّة هي عائق على طريق الانتشار الصحيح للحزب.

وفي هذا الأمر نُبدي بعض الملاحظات في هذا المجال، وهي:

أ– الجهل التامّ في الفكر والعقيدة القوميّة الاجتماعيّة وتاريخها، وهذا الأمر يشمل من يقود ويدير العمل الإذاعي والإداري.

ب– قد نستطيع القول بأنّ القوميّين الاجتماعيّين يجهلون دستور الحزب ونظامه، وعلى رأس ذلك القيادات من الأعلى.

ت– إنّ للشأن المالي أهميّة كبرى، وقد عانى حضرة الزعيم منذ البدايات من نقص في المال، ومن تقاعس القوميّين في هذا المجال رغم إمكانات الكثير منهم. ووفقاً للنظام المالي، فإنّ العضو في الحزب تُفرَض عليه ضريبة تُسمّى في التعامل الحزبيّ "الاشتراك"، وهذا يُوزّع بين المركز وإدارة الحزب المحليّة لنفقاتها.

اليوم نجد أنّ لا جباية لهذا الاشتراك، بل اتّجاه لتحصيل الأموال من الإدارة الحزبيّة العُليا، وخاصّة لمن يكلّف ولو لفترة زمنيّة بمهمّة، إلّا أنّ صرف هذا المال من خزينة الحزب يستمرّ بعد ذلك محمّلاً الحزب أعباء، بدل أن يحمل عنه. وهذا الأمر ينصرف إلى سوء في استخدام الأماكن المُستَأجرة للحزب، سواء كان لها ضرورة أم لا.

ث– في الحزب عمدات للثقافة، الإذاعة والإعلام. السؤال أين هي بمواجهة الجهل والمطلوب؟

قديماً، رغم ضعف الإمكانات، كانت عمدة الإذاعة تنشر رأيها في الأحداث يوميّاً، وتقوم بأداء محاضرات إذاعيّة خاصة وعامّة. عمدة الثقافة تنشر عن مؤسسة دار «فكر» كتب ونشرات دوريّة يُقبل على قراءتها قوميّون ومواطنون، وتؤدّي دوراً في نشر الوعي القومي بشكل عام والقومي الاجتماعي بشكل خاص.

السؤال: أين هؤلاء الآن؟

لقد انتشرت، وخاصة في لبنان، مؤسّسات وجماعات أخذت على عاتقها نشر الفكر كما تراه، دون أن يردّ عليها أحد بالتصحيح أو التأييد، رغم أنّ هؤلاء يحملون صفات حزبيّة وفكريّة عالية المستوى، لكنّهم يعارضون القيادات، ودون أن يتمّ معهم أي تلاقٍ أو حوار يحدّد وضعهم لجهة الصحّ أو الخطأ.

برأينا ورأي الكثيرين، إنّ انغماس الإدارة العُليا للحزب في شؤون السياسة اللبنانيّة، هو ما يصرف عنها الاهتمام بالشأن الأساسيّ العقائديّ للحزب.

2 – في قيادات الحزب التي نظّمها الحزب، ما هي عليه اليوم؟

أ– المجلس الأعلى: في عهد الزعيم أُسِّس ليكون القيادة العُليا للحزب، وفي حال غياب الزعيم. ثمّ أصبح بعد ذلك السلطة التشريعيّة والرقابيّة على أداء سلطة التنفيذ.

المُلاحَظ أنّ هذا المجلس بعيد كلّ البعد عن الاختصاص في التشريع، وهذا واضح في كثير من القوانين الصادرة والآراء المبنيّة حول ما يصدر عنه. ورغم مرور هذه السنوات، نجد الأخطاء الدستوريّة والقوانين التابعة مليئة بالأخطاء، الأمر الذي يدلّ على تدنّي المستوى الحقوقيّ لدى أعضاء المجلس الّذين يُنتَخبون لأسباب وإمكانات بعيدة عن اختصاصهم المتوجّب.

ب– السلطة التنفيذيّة:

1 – رئاسة الحزب: بعد حضرة الزعيم مرّ على قيادة الحزب رؤساء عدّة، إنّما الملاحظ أنّ القسم الغالب يحاول التمسّك بهذه السلطة لمبرّرات بعيدة كلّ

البعد عن مصلحة الحزب وفكرة التداول للسلطات وإعداد كوادر قياديّة متعدّدة، ومن جهل المجلس الأعلى، أو برغبة من السلطة التنفيذيّة ما يكرّسه الدستور مفهوم لهذا الاتجاه.

كان نصّ الدستور يشترط أن يكون المرشّح لرئاسة الحزب «عميداً فما فوق». تقدّمت إلى المجلس الأعلى بإلغاء هذا الشرط، لأنّ بين القوميّين من لم يمارس عمل عميد، إضافة إلى أنّ عبارة «فما فوق» مجهولة وليست قانونيّة. فكانت النتيجة عكس ما هو مطلوب، وصُحّحت العبارة إلى «عميداً وعضواً في المجلس الأعلى». أي تشدّد في التمسّك بالسلطة العُليا، وحصرها غالباً في لبنان.

2 – مجلس العمد: أصبح هذا المجلس مع مسمّياته وتعداده يمكنه إدارة دولة متّسعة الأطراف. أمّا في العمل الصحيح والعمل المُجدي، ووفقاً لكثير من الملاحظات، فإنّ العمل الحزبيّ يقوم على عدد قليل من هؤلاء (الداخلية – الخارجية – الإعلام – الدفاع...). أمّا الباقون، ليس لهم عمل، إنّما غالبيّتهم لا يتواجدون في اجتماعات مجلس العمد، ولا يُبدَّلون أو يُقالون، وإنّ المجلس الأعلى لا يسمع ولا يرى ذلك، ولا يمارس صلاحيّاته في المحاسبة.

3 – إنّ عمل الحزب وفقاً لتاريخه ودساتيره، هو عمل مؤسساتي. وإنّ أي شأن أو قضية تتعلّق بالحزب تكون ملكاً له، يتداولها الأشخاص الذين حلّوا على هذه المؤسّسة وسلطتها.

الرئيس الأمين أسعد، بصفته رئيساً، يضع يده على بعض الملفات، وعند انتهاء ولايته تنتقل هذه الملفات إلى المؤسّسة والرئيس الجديد. هذا دستوريّاً لا شخصيّاً. أمّا الرئيس الجديد ووفقاً لصلاحيّاته، قد يكلّف أيّاً من القوميين بأيّ ملف وفقاً للمصلحة العُليا. أمّا أن يُقال "لأنّ الرئيس يحمل ملفات، تُمدَّد ولايته"، فهذا خطأ فكري ودستوري.

4 – المؤتمر القومي: المؤتمر مناسبة للاجتماع والتلاقي والتعارف بين القوميّين الاجتماعيّين، إلّا أنّه من حيث الفكرة فلا جدوى!

إنّ الوحدات الحزبيّة تجتمع قبل المؤتمر، تتدارس ما تراه فائدة للعمل

الحزبيّ وتقدّم دراستها ومقترحاتها إلى هيئة المؤتمر، التي تنظّم هذه المقترحات ليجري عليها تصويت برفع الأيادي، من دون أن يستطيع صاحب مقترح أن يبيّن وجهة نظره التي قد تغيّر من هذا التصويت.

لذا، نجد أنّ المناقشات تنحصر بممثّلي الوحدات التي تقدّمت بمقترحاتها ليتسنّى لهم التعبير عمّا يريدون، وهم بالتالي يمثّلون مجموع الوحدة التي قدّمت الدراسة والمقترحات بِاسمها، وهو ناطق بِاسم المجموع. أمّا بالأسلوب الذي يجري عليه المؤتمر، فإلغاؤه توفيراً للمال أجدى.

3 – في الشام:

رغم خطورة الوضع في الشام، ورغم الإقبال الفكري على الحزب، إلّا أنّه لا يوجد عمل قيادي ولا تنظيمي يرتقي إلى المستوى الأدنى المأمول لهذه المرحلة.

1 – في الوضع الشامي: حزب البعث يُسيطر على مؤسسات الدولة.

إنّ حزبنا الذي يُعتبَر حليفاً، يُدافع عن المؤسّسات والدولة، إلّا أنّ مكاسبه الوحيدة هي تقديم الشهداء من القوميّين فقط. أمّا كلّ ما هو من حقوق القومي الاجتماعي كمواطن، وحقوق الحزب، هي غير موضوعة بالتداول.

وقد أدّى ذلك لخسارتنا قوميين غادروا إلى المغتربات طلباً للقمة العيش.

هذه التصرفات من القيادة، أدّت إلى نزوح القوميّين وإلى تراجع الانتماء لكثير من الراغبين بذلك.

2 – ملفات في الشام:

نتيجة وجود علاقات سياسية وماليّة وأمنيّة وعسكريّة بين الحزب والسلطات، الملاحظ أنّ هذه الملفات محصورة بيد أشخاص، وهذا يُخالف منطق العمل المؤسساتي. لهذا نرى اشتراك مسؤولين في الشام بالمعاونة بهذه الملفات، ليكون لهم دور بمتابعة الأمور التي تتعلّق بأيّ من أمور وعلاقات الحزب بالسلطات ذات الاختصاص والتنسيق، وبالتالي الحصول على حقوق الحزب والقوميّين الاجتماعيّين.

3 – قيادات الشام:

إنّ اختيار القيادات في الشام في المرحلة السابقة، بمجمله، لم يكن موفّقاً ولم يكن مُجدياً. وأهمّ ما في الأمر، أنّ هذه العناصر لا تلتقي ولا تتشاور بأيّ أمر. وربما نستطيع القول إنّها تُعطّل عمل بعضها، ويعتبر كلّ واحد أنّه الأعلى والأقوى والمدعوم أكثر، علماً أنّنا نجد البعض، وليس له صفة قانونيّة، يتصرّف وكأنّه سلطة فوق السلطات.

حضرة الرئيس:

الملاحظات كثيرة، وقد سبق لنا أن قدّمنا دراسات واقتراحات مباشرة، وفي المؤتمرات، ولكن يظهر أنّ ما يُكتَب لا يُقرَأ. وإنّنا مع ذلك، نغتنم فرصة اللقاء لنتقدّم ببعض المقترحات كنتيجة لما بيّنّا:

أ– في التشريع: تكليف لجنة اختصاصيّة تقدّم دراسات واقتراحات دستوريّة وقانونيّة تتعلّق بشؤون الحزب، وأن تكون اللجنة محدّدة المدّة في كلّ شأن لها. وفي حال عدم تقديمها ما هو مطلوب، تُحاسَب بالعزل أو الإبدال حسب الوضع.

ب– تشكيل لجنة اختصاصيّة في التشريع، مهمّتها مساعدة المجلس الأعلى في كلّ شأن دستوريّ، إلى أن يتمّ تعديل الدستور فيما يتعلّق بشروط عضويّة المجلس الأعلى، على أساس ملاحظة تكوينه من مختصين في التشريع، أو على الأقلّ نصفهم.

ت– في الجهاز التنفيذي والإداري، مع الاهتمام بدراسة الاختيار للأشخاص، الاهتمام بالمحاسبة والتبديل دون تأخير، لأنّ من يُكلَّف بعمل عليه أن يُنجزه أو إن لم يتخلَّ يُعزَل ويحاسَب.

ث– المُلاحَظ أنّ الشأن المالي، عدا عن موضوع الجباية، فإنّ الصرفيّات، وخاصّة للبعض ممّن يُكلّفون بمهمّات لوقتٍ محدّد، فإنّها تصبح خطاً مستمراً، والبعض يحصل على مخصّصات ولكنّه لا يعمل، ممّا جعل فكرة الحصول على المال غاية، لذا لجأ البعض إلى جهات أُخرى وتنظيمات بهذا القصد.

ج- المكتب السياسي في الشام: إنّ هذا المكتب بتشكيلته لم يكن فاعلاً، وقد يتصرّف البعض من دون رأي الآخرين ولا دور له. لهذا نرى أن يقتصر تشكيل هذا المكتب على عدد لا يتجاوز الخمسة، فمن له إمكانيّة الاتصال والتواصل مع الجهات الرسمية، سياسيّة أو أمنيّة. كما أن تُنشَر في وسائل الإعلام حركتهم (البناء خاصة)، وخصوصاً مداخلات واقتراحات أعضاء مجلس الشعب في الشام. طبعاً من حقّ هذا المكتب الفاعل أن يستعين بمَن يمكنه أن يقدّم له مشورة في أيّ شأن يراه ضرورة.

ح- الاهتمام بإعادة نشاط نشر الفكر القومي الاجتماعي، من المبادئ، المحاضرات، الإسلام في رسالتَيه إلى الآثار الكاملة. وأن تُراعى بقدر الإمكان مجّانيّة البعض منها وقلّة السعر للآخر، مع تكليف عناصر قادرة على تقديم هذا الفكر مع تاريخ الحزب إلى القوميين والمواطنين، لأنّ الساحة خالية تماماً.

خ- جريدة البناء، الجريدة الوحيدة من خارج القطر تدخل، إلّا أنها لا تحمل أي نشاط للشام ولأعضاء مجلس الشعب القوميين، ولا لشؤون المواطنين الاجتماعية والاقتصادية. إضافة إلى أنّ السلطة المسؤولة في الشام توزّع الجريدة بكميات محدودة أقل من الطلب.

د- في كثير من مناطق الشام تهجّر القوميّون داخلاً وخارجاً، لذا يقتضي الاهتمام بدراسة هذه الحالة وتبيان أوضاعهم، وتقديم العون المالي إن أمكن للبعض وغير المالي للآخر، انسجاماً مع القسم القومي.

ذ- الملاحظ على ما يُنشر على أجهزة التواصل، ثمّة أمور ليست فقط غير سارّة، بل منها ما هو مخزٍ. لذا يجب تعميم ما هو مقبول وما هو غير ذلك، والجهات والأشخاص الذين يجب مقاطعتهم، وذلك حفاظاً على وحدة الصف والمفهوم القومي.

ر- كانت المباحثات جارية لوحدة الحزب مع جماعة "الانتفاضة"، وكان الملف بيد الأمين أسعد حردان، ونحن في الشام كنّا ولا زلنا نلتمس رغبة من بعض قيادات الانتفاضة، وغالبيّتها مؤيّدة.

المطلوب متابعة هذا الأمر، سواء من قِبل الرئيس أسعد أو القيادة الحالية، مع إمكانية إشراك عناصر في الشام يمكنها المشاركة في هذا الأمر. نتائج هذا التوحيد، إن تمّ، سيكون له صدى كبير وفاعل حتى لدى الفئات الأخرى، تنظيمية أو غير تنظيمية.

حضرة الرئيس:

هذه بعض أفكار، نأمل أن تكون موضع اهتمام، مع الإشارة إلى أنّ المرحلة تحتاج إلى الحزم بدل التراخي.

دمشق: 2016/09/21

لتحيا سورية وليحيا سعاده

منفذ عام دير الزور

الأمين عبد الوهاب البعاج

الحزب السوري القومي الاجتماعي
منفذية دير الزور

حضرة الرئيس.. خاص
رأي على رأي

حضرة الرئيس جزيل الاحترام
تحية سورية قومية اجتماعية

في ندوة الكتاب القومي – بيروت، تاريخ 12 و13 آب 2017. هذا الموعد سابق ثلاثة أشهر عن انتخابكم لرئاسة الحزب.

حضرة الرئيس:

كنتُ مُساهماً في هذه الندوة ببحث «لماذا ابتعد عنّا الناس». وأنا ساهمتُ ببحث عن معنى «القسم والدستور القومي الاجتماعي»، إنّما لم يتسنّ لي الحضور فقُرئ نيابة عنّي، وهذه الأبحاث نُشرت في العدد السادس من «الكتاب القومي».

المُلاحظ حضرة الرئيس، أنّ غالبيّة الأبحاث تتعلّق بالأزمات التي يُعانيها الحزب (كوارث – انشقاقات – تسلّط فردي – قطريّة لبنانية وشاميّة – ابتعاد واضح عن الفكر والنظام القومي الاجتماعي).

في البحث الذي تقدّمتم به حضرة الرئيس، استعرضتم أهمّ هذه القضايا والخطايا، وختمتم «إذا كان ما أوردته جميعه حول القصور المتمادي في إدارة الحزب الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه، والذي يسألنا عنه جميع من تولّى مسؤولية قياديّة في الحزب من دون استثناء، وليس أيّ شخص بعينه... ولا يفوتني أن أحني رأسي تقديراً وتبجيلاً واحتراماً لأبطال الحزب...».

من خلال هذا البحث وهذه الخاتمة، وبعد ما يقرب العام، وأنتم حضرة الرئيس رأس السلطة على هذا الحزب العظيم.

1 – عنوان البحث:

ليسمح لي حضرة الرئيس بتبديل عنوان البحث من «ابتعد عنّا الناس» إلى «ابتعدنا عن الناس»، وبقيّة الملاحظات والردود تبيّن أنّنا نحن من ابتعدنا، وليس الناس التي لا تزال تتأمّل من هذا الحزب كلّ الخير. لو عاد الحزب إلى

عقيدته ونظامه وفقاً للترتيب الذي تقدّم به بحثكم الصريح والقيّم، والذي وضع اليد على الجرح، نبدأ:

1 – قيادات الحزب:

حسب سعاده، هي دائماً في حالة تفسّخ في الأفكار والروحيّة، وفي النظر إلى الحركة ومراميها. (المحاضرات – ص 6).

معكم حضرة الرئيس، باستثناء البعض لكنّه قليل، سعاده يقول ويعتمد دائماً على القواعد وليس على القيادات التي خانته أثناء غيابه، وورّطته فقتلته وجزّأت الحزب وشقّقته من أجل مصالح أنانية شخصية، وهذه خيانة حسب قول الأمين إيلي عون في بحثه «الانشقاقيّة خيانة بامتياز». من أبحاث الندوة، الكتاب القومي – 6.

2 – العودة إلى الجذور:

هي عودة إلى سعاده، إلى المبادئ، إلى الفكر والنهج وفقاً:

أ– إعادة دراسة وتدريس مبادئ الحزب ونظاماته، تاريخ الحزب وحياة سعاده. وهذا يكون باستمرار، وليس وقتياً ومجزوءاً، وتشجيع البحث في هذا المجال. وبهذا العمل تحصل عندنا "القوّة المناقبيّة" كما يراها سعاده.

ب– النزول إلى الشارع:

إنّ بنزول القومي الاجتماعي إلى الشارع، يتحقّق أن يكون سلاحه القوّة المناقبيّة والإيمان والفهم العقائدي، بدون هذا يكون نزوله إلى الشارع تابعاً وليس متبوعاً.

اليوم، في حالنا هذه، نحن ننزل إلى الشارع إذا دعتنا أحزاب وقوى أصبحنا تابعين لها (حزب الله في لبنان – البعث في الشام).

وهنا نعود إلى عنوان البحث لنقول إنّ الناس تتقرّب وتسير معنا حين تجد فينا القوّة والعزم لقيادتها، وليس منقادين للغير.

ت– المحاسبة والمعاقبة:

لم يتورّع سعاده عن طرد أحبّ وأفهم الأمناء إلى قلبه (فخري المعلوف)،

كما لم يتوانَ أثناء عودته عن طرد القيادات كلّها، رغم مكانتها العلميّة والسياسيّة والماليّة، إضافة للفكريّة.

ماذا فعلت قياداتنا بعده! أمناء يشقّون الحزب، آخرون يشتمون الحزب و.....

تشمل المحاسبة سؤال المسؤول عمّا فعل من خلال مسؤوليّته، واليوم ونحن في الشام نجد مسؤوليات متعدّدة بلا حصر، ومجرّد أسماء وصفات لا أحد يعرف ما هي وما هي حدود مسؤوليّاتها، وماذا تعمل؟ هي مجرّد شكل لا رائحة ولا طعمة.

ث- اللبننة:

هي مشكلة المشاكل منذ البداية، منذ نعمة ثابت، من الانشقاقات، الحرب الطائفية، الانتخابات النيابيّة واحتكار القيادة.

لا ننسى حضرة الرئيس أنّ في الشام من له نفس النهج، منذ مجموعة دمشق أيام الزعيم، التي كانت تعمل لاستقلالية الحزب في الشام فطردها الزعيم (خالد المورلي، جورج عزام، مصون عابدين خير بك، محمد الرافعي، كامل بنقسلي، نور الدين أيوب كنج وزكي الصواف). وجلّهم شخصيات ذات شأن ومكانة عائلية وعلمية (الرسائل ج 3 -.....).

واليوم يأتي «الحزب السوري القومي الاجتماعي – في الجمهورية العربية السورية)، ونصّ المادة الأولى «الجمهورية العربية السورية دولة ديمقراطية تامّة غير قابلة للتجزئة، ولا يجوز التنازل عن أراضيها وهي جزء من الوطن العربي». والمادة الثانية «الشعب في سورية جزء من الأمّة العربية». ولزيادة التأكيد على القطريّة الاستقلاليّة، نصّت المادة العاشرة من دستوره «أن يكون متمتّعاً بجنسية الجمهورية العربية السورية». لذا، فإنّ هذا الحزب لا يقبل بعضويّته أي سوري من غير حاملي الجنسية العربيّة السورية. (الكتاب القومي عدد 4 – ص 72).

الحل للخلاص من هذه القطريّة، وأخصّها اللبننة لشدّة تأثيرها وتأثّرها، يكمن بنقل مركز قيادة الحزب إلى دمشق قلب الأمّة، وإشراك قوميّي كلّ وحدات الحزب من أجزاء الوطن.

ج- مغادرة المكاتب:

في الخمسينيات من القرن الماضي، وبعد اغتيال الزعيم، كان نشاط الحزب كبيراً ملفتاً للنظر. وكوني من مدينة دير الزور، التي ظهر فيها الحزب إلى العلن لأوّل مرة، ولم يكن له سابقاً ظهور، عرف الحزب الأمين عميد الداخلية إلياس جرجي يرافقه الأمين جميل مخلوف بجولات لكلّ سنة أو أقلّ. وهذه الجولات ليست إداريّة تفتيشيّة وتوجيهية فقط، بل هي وضمن مهرجانات احتفاليّة، محاضرات إذاعيّة شاملة القوميّين والأنصار وشخصيات البلد.

إلى أن حلّت مصيبة مقتل المالكي، فانقطعنا عن العالم حوالي النصف قرن، بدأها في أواخر التسعينيات الأمين إلياس بجولة استطلاعيّة تحريضية وظروف غير مطمئنة، إلى بداية القرن الواحد والعشرين حيث «غضّ النظر» جال كلّ من الأمين أنطون حِتّي مرّتين، وتلاه الأمين أحمد هاشم الذي استصدر مرسوم تشكيل المنفذيّة.

وكان النشاط ثقافيّاً، حيث حلّ على المركز الثقافي الرسمي كلّ من الأمناء عمر أبو زلام وهنري حاماتي (لمرتين)، أنطون زغيب، قاسم صالح، كمال نادر. وفي الشأن الإداري كان الأمناء وائل الحسنيّة، صبحي ياغي، إلياس خليفة، محمد الحاج وكمال نادر، مع زيارة مميّزة للرئيسين علي قانصو والأمين عصام المحايري، ثمّ انقطعت السلسلة نتيجة الأحداث.

وفي الظروف الحالية، حيث الأجواء مناسبة ومهيّأة لكل نشاط وإقبال، ومع تعدّد المسؤولين في الشام، وكلاء عمد لا حصر لهم ولا مسؤولية مبيّنة الحدود، كما لا يعرف أشخاصها ولا مقارّ لهم يُظهر بعضهم صوراً على صفحات التواصل أثناء بعض الاحتفالات، يعني لا دراسات ولا دورات على الوحدات، وهذا الوجود مثل العدم.

ح- النسبيّة والمساواة:

مع أنّ حضرة الرئيس لم يبيّنها ويوضّحها، إلا أنها تحتاج إلى دراسة دستورية وتعديلات قانونية للعمل بها. ولكن من حيث المبدأ، وكما ذكرت أعلاه،

فإنّ تمثيل قوميّي الكيانات الأخرى في هذا الوطن قد يكون حلّاً إلى أن تتمّ الدراسات والتعديلات الدستورية والقانونيّة.

خ- الندوة الثقافية – كلية الإعلام – مكتب الدراسات:

مع أنّ هذه البنود تصبّ في نهر عودة الجذور، لأنّها الطريق العملي لهذه العودة.

1 – الندوة: يأتي أحياناً عميد للثقافة يتذكّر دعوة وإلحاح سعاده على تفعيلها، فتُلقى بها محاضرة أو ربما اثنتان بين عدد محدود من المفكرين (وهذا نظامها) لا تُنشر المحاضرة ولا توزّع ولا يستفيد منها القوميون الاجتماعيّون.

فإعادة العمل بها لا بُدّ أن تكون عامّة، وعلى الأقل بتوزيع ونشر محاضراتها.

2 – مكتب الدراسات: عملياً غير موجود لا من حيث الفكرة ولا من حيث العمل، خصوصاً بعد إلغاء مؤسسة دار فكر التي كانت تقوم بالبعض من هذه المهمّة.

قد يُقال إنّ دار فكر لم تُلغَ رسمياً، وكانت تصدر مجلة فكر «بالسنة مرة»، ومع هذا فقد توقّفت منذ سنوات هذه المرة.

ومن شروط هذه الدراسات أن يكون لها أرشيف ودارسون متمتّعون بالفكر والاختصاص، مع جهاز لجمع وحفظ الدراسات والوثائق، والنشر والتوزيع بأجهزة علميّة حديثة.

ولو تمّ العمل بهذا المكتب لاجتمع حوله مفكّرو الحزب، على مختلف توجّهاتهم الإدارية والتنظيمية.

3 – كلية الإعلام: خلال مرور عدّة سنوات، توزَّع نشرة تبيّن الراغبين بالانتساب إلى كليّة الإعلام، إلّا أنّ هذه النشرة تختفي من دون علم أو خبر.

والمقترَح:

اليوم لدينا مبنى خاصّ مؤهل لكلّ هذه المقترحات، ألا وهو دار سعاده، فإذا وُضِعَت له إدارة متخصّصة وأجهزة حديثة تعمل على جمع أرشيف الحزب ومن خلاله تُقام محاضرات الندوة وتُعمَّم، وتُنشَأ فيه كليّة للإعلام والنشر.

فهل يتحقّق هذا الحلم؟

حالنا اليوم:

إضافة لما أشرت، فإنّني مزيداً ومبيّناً:

أ- نشر الفكر: إنّنا أفقر التنظيمات والأحزاب نشاطاً في نشر وتعميم الفكر القومي الاجتماعي، على المستوى الحزبي والمستوى العام. حتى الجريدة الوحيدة التي تصدر بِاسم الحزب، فهي لا تحوي إلا صور المناسبات والباقي لكُتّاب السياسة من خارج الحزب، أي لا فكر. وقياداتنا لا تكتفي بذلك، بل هي تُقاطع كلّ نشاط فكريّ للقوميّين الاجتماعيّين الذين يقومون بالدراسات والنشر (دار سعاده – الكتاب القومي – مجلة اتجاه الفرات للنشر – تحوّلات مشرقية). ومن الذين ينشطون في البحث والدراسة والنشر، مع وضع العراقيل بوجهه، الرفيق جان داية.

ب- في الشأن المالي: تاريخياً، الحزب إذا لم نقل مُعدَماً، يمكن أن نقول فقيراً. وما دفع سعاده للاغتراب إلا جمع المال من أجل الحزب في الوطن. وهذا لم يحصل في تلك الفترة.

واليوم لا زال الحزب بفقره، لأنّ موارده من القوميين لا تُغني من جوع، وموارده من المغترب تجفّ، لأن المغترب بدأ يفقد الثقة بطريقة استعمال هذا المورد، والحزب لم يستطع أن يكوّن استثماراً يمدّه بالربح لمتابعة العمل.

والرأي:

أن نعود إلى الاستثمار، بأن نطلب إلى المغتربين أن يقوموا بأنفسهم بإنشاء مؤسسات تُعطي ربحاً مادياً لهم ومعنوياً للحزب. من ذلك مدارس وجامعات، وهي اليوم تشكّل استثماراً مُجزياً، ويمكن الاستفادة منها عن طريق إشراك أساتذة قوميّين في الوطن، مع ضمان أن يكون فيها التوجيه قومياً وطنياً وللحزب تاريخ ناصع في ذلك، فقدناه.

مؤسسة للطباعة والنشر، ذات طابع تجاري أيضاً، تساعد الحزب بسهولة الطباعة والنشر وكثيرة هي المشاريع، لكن شريطة أن تبقى الملكيّة والإشراف للمغتربين، وذلك لاستعادة الثقة.

حضرة الرئيس جزيل الاحترام:

من اللحظة التي اطّلعت بها على بحثكم المُشار إليه، خطر لي الردّ، ولكن تسلّمكم قيادة الحزب جعل هذا الردّ بشكل تأييد وإبداء بعض المقترحات، مع الأمل بأن تطبّق في ظلّ رئاستكم.

مع كلّ الاحترام

دمشق 2018/07/10

ولتحيا سورية وليحيا سعاده

الأمين عبد الوهاب البعاج

منفذ عام دير الزور

الحزب السوري القومي الاجتماعي رأي حول القانون 88/5

منفذية دير الزور

حضرة رئيس الحزب الجزيل الاحترام

حضرة رئيس المجلس الأعلى جزيل الاحترام

حضرة رئيس المؤتمر القومي جزيل الاحترام

تحيّة سوريّة قوميّة اجتماعيّة

صدر القانون رقم 88/5 تاريخ 2020/08/04، بناءً على اقتراح ناموس المجلس الأعلى والسلطة التنفيذيّة، مقترحاً تأجيل المؤتمر العام الذي تحدّد موعده بالقانون 88/4 إلى العام القادم 2021.

وافق المجلس الأعلى على الاقتراح بالأكثريّة المطلقة، بعد أن شُكّلت لجنة من المجلس، وأصدرت القانون بالنص التالي:

مادة أولى: استثناء – يؤجَّل المؤتمر الذي كان مقرّراً عقده بتاريخ 2020/09/12 إلى النصف الأول من شهر أيار 2021.

مادة ثانية: يُحدّد تاريخ انعقاد المؤتمر بقرار لاحق.

المركز 2020/09/01 رئيس المجلس الأعلى

الأمين أسعد حردان

مع التأكيد على بقاء اجتماع المجلس القومي في موعده الساعة العاشرة من يوم الأحد الواقع في 2020/09/13 في فندق السنترال – ضهور الشوير.

المركز في 2020/09/02 عميد الداخلية

الأمين حسين نزهة

وأُلحق هذا بتعميم رقم 54 تاريخ 2020/09/04 صادر عن عميد الداخلية، جاء فيه:

"نظراً لكون المجلس القومي (القانون الدستوري رقم 8 لعام 2001 وتعديلاته) مؤسسة مستقلة لها إدارتها الخاصة، ومنفصلة كليّاً عن المؤتمر العام...

المركز: 2020/09/04 عميد الداخلية

الأمين حسين نزهة

الرأي:

النصوص الدستوريّة:

نصّت المادة الأولى من القانون 17 «يعقد الحزب خلال السنة التي تسبق موعد انتخاب أعضاء المجلس الأعلى مؤتمراً عامّاً يُسمّى «المؤتمر العام».

وفي صلاحيات المجلس الأعلى التي نظمها الدستور في المادة الثالثة عشرة منه، ووضّح أسلوب عملها في المادة التاسعة عشرة كما أوضحتها الفقرتان 9 و 10 من المادة الثالثة عشرة كما يلي:

"9 – لا تُقرّ التعديلات المقترحة، إلّا بموافقة ثلثي أعضاء المجلس الأعلى".

"10 – إذا تناولت التعديلات صلاحيات رئيس الحزب أو المجلس الأعلى أو المجلس القومي، لا يقرّها المجلس الأعلى إلّا بعد (موافقة) عرضها على المجلس القومي وموافقته بأكثريّة عدد أعضائه المطلقة".

ملاحظات حول القانون 88/5:

1 – تُوّجت المادة الأولى من هذا القانون بعبارة "استثناء". فإذا كان هذا الاستثناء ينصرف إلى المادة الأولى من القانون 17 لعام 2001، يعني ذلك عدم المسّ بهذه المادة والباقية دون تعديل، ممّا يعني وجوب العمل بها، وبالتالي فجلسة المؤتمر واجبة وفقاً للقانون 88/4.

2 – إذا كان المقصود تعديل المادة الأولى من القانون 17، والفصل بين المؤتمر العام والمجلس القومي، فإنّ هذا التعديل يتطلّب، وفقاً للنصّ الوارد في الفقرة (9) حصول ثلثيّ أصوات المجلس، وهذا لم يحصل.

3 – إذا كان القصد تعديل صلاحيات المجلس الأعلى، فإنّ الأمر لم يتوافق والفقرة (10) من الدستور.

في الخلاصة:

إذا كان المقصود من هذا القانون استثناءً عن النص الوارد في القانون 17، أي إنّه لم يعدّل النص، كما وأنّه لم يبدّل من صلاحيات المجلس الأعلى باعتباره

مستقلاً ومنفصلاً عن المؤتمر العام. وهذا أيضاً لم يتمّ وفقاً للقانون والدستور، ممّا يجعل هذا القانون رقم 88/5 مخالفاً للدستور ويستوجب الطعن به وما يترتّب عليه من نتائج.

في دمشق: 2020/09/05

منفذية دير الزور

المنفّذ العام

الأمين عبد الوهاب البعاج

سيرة حياة

تعريف الاسم والعائلة

عبد الوهاب بن جلال الدين محمد كامل الحسين البعّاج، وزهرة حمد البعّاج. تولّد الرّبع الأخير من العام 1933 في دير الزور.

الدراسة ومراحلها

بعد الكتّاب لقراءة القرآن، جاءت مدرسة الغافقي، وبعدها صقر قريش والحصول على الابتدائيّة (سرتفيكا – خامس ابتدائي) بتاريخ حزيران 1946، بعدها الانتقال إلى التجهير (إعدادي) للحصول على شهادتها المتوسّطة في العام 1950 ثمّ التحوّل إلى التجهيز للثانوي والحصول على شهادتها في العام 1954.

انتقلت في العام 1956 إلى دمشق – كليّة الحقوق، وفي السنة الثانية توقّفت عن الدراسة في العامين 1957 – 1958 لأداء الخدمة الإلزاميّة، بعدها تابعت الدراسة حتّى حصلت على الليسانس بتاريخ 6 آب 1961.

التحقت في بداية 1957 بمدرسة الاحتياط في وزارة الدفاع – ثكنة هنانو – حلب، ثمّ بمدرسة المدفعية في قطنا حتّى نهاية العام 1957، فحصلت على شهادة ملازم احتياط بتاريخ 15 – 01 – 1958.

الحياة الحزبيّة

بتاريخ العاشر من آب 1950 أدّيت القسَم الحزبيّ أمام الرفيق محمد كافي الرحبي، مدير مديريّة دير الزور المستقلّة، بتعريف من الرفيقَين أنور حباش وحسن الحاج محمود.

تسلّمت مسؤوليات عدّة؛ مدير مديريّة ومذيع، ثمّ في العام 1954 قمت بمهامّ ناظر إذاعة المنفّذيّة، وقد استمرّت هذه الصفة، مع الانقطاع، حتّى أواخر

التسعينيات من القرن الماضي وبداية الألفَين حيث كُلّفت بمهامّ منفّذ عام دير الزور.

الأوسمة

1 – وسام الواجب في 13 تموز 2005.
2 – رتبة الأمانة بالقرار 77/03 بتاريخ 21 تشرين الثاني 2008.
3 – وسام الثبات في 13 تشرين الثاني 2010.

أحداث مهمّة ـ سجون ـ اعتداءات

1 – الاعتقال في دير الزور وسجن القلعة في دمشق لمدّة ثلاثة أشهر إثر حادثة مقتل المالكي، واستمرّت المحاكمات في دمشق ودير الزور بجرم الانتماء إلى جمعيّة سرّيّة، انتهت من القضاء المدنيّ بالبراءة.

2 – الاعتقال بتاريخ 11 شباط 1968 من قِبَل الأمن السياسي على إثر الاتصالات مع الأمين عصام المحايري، حيث تم إيداع كلٍّ من (حسن عيّاش – إبراهيم هنيدي – أفرام موسى مطلي – أنطوان سيمون – صلاح هجر – فيصل صائب وأنا) السجن المدنيّ حتّى نهاية العام. أُخلي سبيل إبراهيم وصلاح وفيصل وموسى، ونُقلنا إلى سجن القلعة حيث كانت محاكمتنا أمام محكمة أمن الدولة فحُكم علينا بالسجن مدة سنة واحدة، وأُخلي سبيلنا بتاريخ 08–05 1969–.

3 – بعد أحداث 2011 "الداعشيّة" وتمنّعنا عن المشاركة رغم التهديدات، أقدمت عناصر مجهولة على حرق مكتب الحزب وسرقة بعض المحتويات بتاريخ 27–09–2011، وقدّ نُظّمت وثائق رسميّة بالحادثة.

الحياة العمليّة

1 – في بداية العام الدراسي 1955، عملتُ مدرّساً لدى مدرسة الكبوشيين، التي كان يُشرف عليها الأب موسى الكبوشي وقساوسة السريان الأرثوذكس

والكلدان ومدرّسين، وكانت الإدارة للأستاذ فؤاد الزعبي من بسكنتا، إلى أن تمّ اعتقالي إثر مقتل المالكي.

2 – في دمشق عام 1956، عملت مع وزارة الصحة بموجب عقد لدى مؤسسة مكافحة السلّ، مركزها مشفى المجتهد، وذلك حتّى نهاية العام، حيث استُدعيت لخدمة العلم، وكنتُ قد اجتزت السنة الأولى في كليّة الحقوق.

3 – في العام 1961، عملت مدرّساً لدى أهليّة النجاح الخاصة لمالكها ومديرها الفلسطيني محمد علي عودة، حتّى نهاية العام الدراسي.

4 – بطلب من مديريّة التربية، بعد مغادرة المدرّسين إثر الانفصال، درّست متبرّعاً في إعداديّة الأمين حتّى تمّ تأمين الكادر التعليمي الرسمي.

5 – طلبت منّي جمعيّة النهضة، التي تُدير مدرسة للبنات بإشراف السيّدتَين وداد طبال وخديجة العبد الله، المساعدة بالتدريس، وأكملت معها السنة تبرّعاً.

مهنة المُحاماة

1 – القيد والتدريب: كانت دير الزور تابعة لنقابة محامي دمشق، وقد سجّلت قيدي فيها بتاريخ 1961/08/14، وأدّيت القَسم بحضور نائب النقيب الأستاذ نزار بقدونس في محكمة استئناف دمشق.

كان يُشرف على مكتب دير الزور الأستاذ خضر بطاح الحصني، كذلك كان يُشرف على تدريبي، وكان يدير المكتب عمّي تاج الدين، الذي ورثه عن والده، جدّي المحامي محمد كامل الحسين البعّاج، وهو خال الأستاذ خضر البطاح.

بتاريخ 1963/09/15، تقرّر نقلي إلى جدول المحامين الأساتذة، فبقيت في مكتب الأستاذ خضر إلى أن قمت بتجهيز مكتبي الخاص، فانتقلت إليه في النصف الثاني من العام 1964.

2 – توحّدت نقابات محامي سايكس – بيكو (دمشق – حلب – اللاذقية) في نقابة مركزية وفروع للمحافظات، عندها طلب الكثير من الزملاء ترشّحي

لرئاسة فرع دير الزور، ونافسني الأستاذ زكريا عبد الجبار (إخوان مسلمين) الذي فاز بفارق صوت بتأييد سلطة البعث والمخابرات، ملاحظة: حينها السعودية داعمة للإخوان وبأحسن أحوالها مع دمشق، فقرّرت ألّا أعود إلى لعبة الانتخابات هذه لأنّها تكشف بعض النفوس وبعض مَن نظنّهم مِن الأصدقاء، واتّجهت إلى العمل المهنيّ فقط.

3 – كان للنقابة صندوق إسعافٍ مركزيّ، يُشرف عليه المحامي الأستاذ محمد عابدين، فكُلّفت بالعمل في دير الزور. بعد فترة أُلغي الصندوق، وطُلب إليّ إرسال المال واللصاقات، فلم أستجب، وتابعت بيع اللصاقات وجمع المال إلى أن تتمّ تصفية حقوق الفرع، ولمّا لم يتحقّق ذلك، أودعت المال للفرع الّذي استعان به في بناء مقرّه.

4 – نظام التعاون: إنّ الوضع الاقتصادي العامّ ووضع المحامين، كانا يدعوان للأسى. تشكّلت لجنة يرأسها المحامي عبد الرحمن مغير (أبو منير)، وعضويّة المحاميَين عبد الوهاب خالدي وعبد الوهاب البعّاج. هذه اللجنة، إذ وضعت نظاماً لصندوق التعاون، كُلّفت برئاسة لجنة الصندوق، فوضعت له نظاماً وأسلوباً للعمل، وقد أدرته طوال سنوات، فتبعته بعض فروع النقابات، وأصبح بعدها مركزيّاً.

5 – شاركتُ عضواً ورئيساً في لجنتَي التمرين والاختبار للمحامين المتدرّبين، ووضعتُ وألقيتُ محاضرات ودراسات نُشر منها البعض في مجلة «المحامون»، ويشهد من عاصرها على المستوى العلمي والسلوكي العالي لمحامي دير الزور.

التكريم

لقاء أعمالي في فرع نقابة المحامين في دير الزور، في اللجان والدراسات والمناقشات في المؤتمرات، قام الفرع بتكريمي في أحد المؤتمرات، كما أجرت نقابة المحامين المركزيّة حفلاً تكريمياً لعددٍ من المحامين، في فندق الشام، كنتُ أحدهم.

ملحق الوثائق

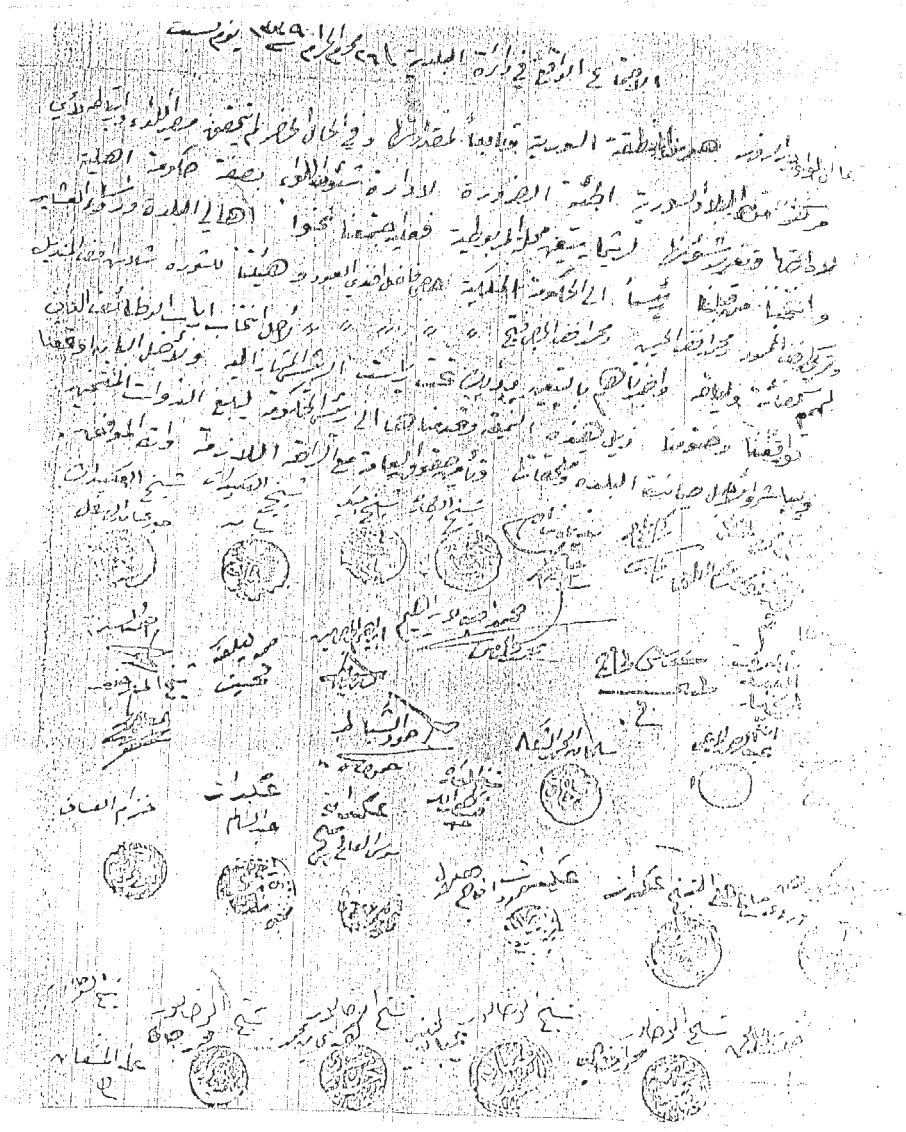

الاجتماع الواقع في دائرة البلدية (٦ محرم الحرام ١٣٢٩) يوم الاربعاء

بما ان لواء دير الزور هو من اخطر الالوية السورية وانه بالنظر لاتساع حدوده وفي الحال الحاضر لم تتوفر مصير اللواء، وارتباطه الذي مركز من البلاد السورية الحيوية الضرورية، لادارة مشؤون اللواء بصفة حكومة أهلية، لادارتها وتقرير شؤونها رقيا يتفق مع حالة المرتوطية، فعليه اجتمعنا نحن اعضاء البلدية، ورؤساء العشائر واتخذنا من مقتضيات الى الحكومة العثمانية هاتين فاضل افندي الصوص وصفنا الشورة بشلاش افندي الشديد وتركي احمد وحمد افندي الحسين وحمد افندي الجرفيش = = = = = = لدى انتخاب ارباب الوظائف الرسمية لهم لفائدة وطنياتهم، واجزالهم بالتعيين، وذلك تحت رئاسة الرئيس المشار اليه، ولاجل البيان اوقعنا تواقيعنا وختمنا ذيل هذه التقرير وقرضاه الى رئيس الحكومة ليبلغ الذات المنتخبة ويباشروا الاجل صيانة البلدة وحفظها وتامين حضور العامة مع الراحة اللازمة والله الموفق

شيخ الكبيدات — شيخ العليدات
بيان — عبدعان الهفل

وثيقة تسليم حكومة دير الزور وفاضل الصوص الحلبي الى دير الزور اثر هبوط الدولة العثمانية

اشعرت ادارة الحكومة الانكليزية بسطحلى عشائرنا بخلال موقعت احتلالها لواء الزور فقررنا المقاومة القاسية في المضايق الحربية التقينا بينا لوقاية جميع انحاء لوائنا من الضغط الباطن التي لاقاه عمالنا لن يتحمله يستطيع ان تحمله من صاحب الشهامة العربية والحمية، الذي لايمكنه انكر حسن ادارته وصالاته المعطوف على اسعاد عشائرنا وتوقيفه خطه على طوله ما يقتضيه العدالة بين الدهاة والعشائر منزهين ونفسي وتفانينا بكل استيفاء قابلين ان يكون اشارة اليه حاملا على لواء الزور ليتناول الراحة العمومية اهاليه وليزيل عنهم آثار ما كابدوا من انظام

نذكر تعيناتنا بخصوص انفاذ شروطنا والله الموفق للصواب ربيع الاول

حكومة دير الزور — بعد سقوط الدولة العثمانية — عبدي عواجي عضوا

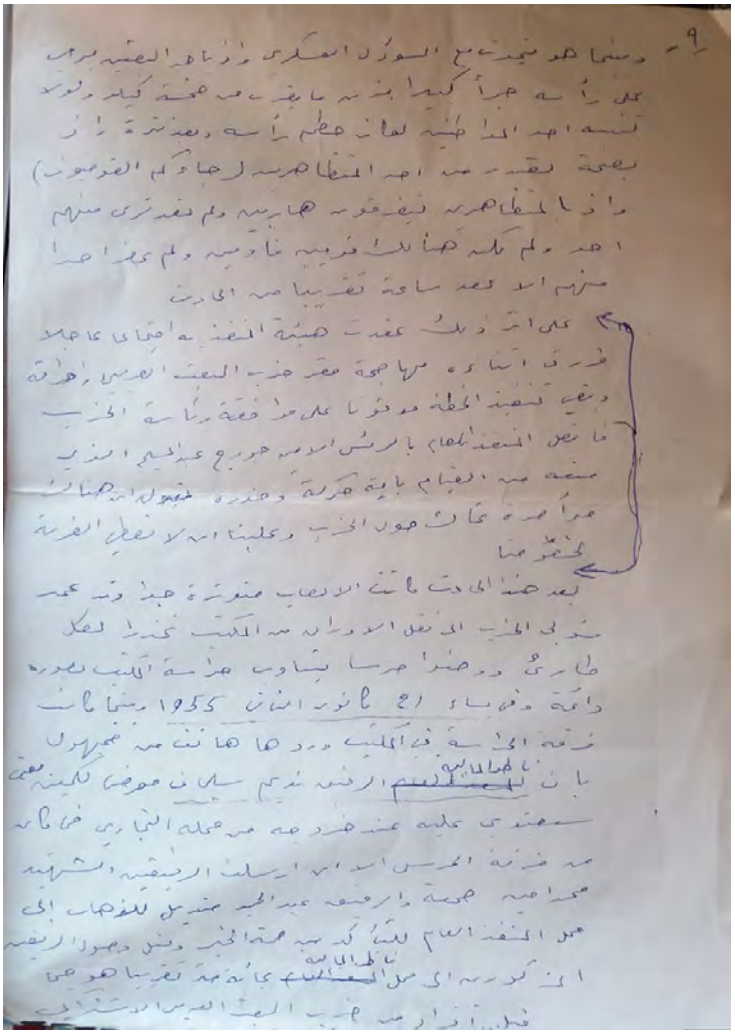

على أثر ذلك عقدت هيئة التنفيذية اجتماعا عاجلا
قررت اثناءه مهاجمة مقر حزب البعث العربي وحرقه.
وبقي تنفيذ الخطة موقوفا على موافقة رئاسة الحزب
فاتصل المنفذ العام بالرئيس الأمين جورج عبد المسيح
الذي منعه من القيام بأية حركة، وحذره بقوله
إن هناك مؤامرة تحاك حول الحزب وعلينا أن
لا نعطي الضربة لخصومنا.

وثيقة حسن عياش

البناء ع 312 ت 28 شباط 1955 ص1

غـــدر بعثي

وفاة رفيق في عراك في دير الزور

كان أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي قد خططوا امس الاول الاعتداء على مكتب الحزب السوري القومي الاجتماعي في دير الزور ولكن القوميين الاجتماعيين داهموا عنه وكبحوا العصابتين لعدم الرد بالشر على العدوان.

ولكن رغم تشديد رجال الامن والشرطة المراقبة عادت الاعتداءات امس تتكرر بشكل عام في دير الزور. فقد وصلت انباء الى دمشق تفيد انه بينما كان الرفيقان امين جمعه وحامد تغلب سائرين في احد شوارع المدينة تصدى لهما ما يقارب ٢٠ شخصاً من حزب البعث العربي الاشتراكي وهاجموهما فدارت بينهم وبين الرفيقين معركة بالايدي غير ان الطرف المهاجم لجأ الى استعمال الخناجر فاصيب الرفيقان بجراح عميقة توفي على اثرها الرفيق احمد جمعة وترك الرفيق حامد تغلب في حالة الخطر.

وقد عرف المعتدون الا ولكننا نمتنع عن ذكر الاسماء الى ان ينجلي التحقيق.

وقد تسلم الجيش الامن في المدينة.

مجلس النواب الالماني ويقر اتفاقية السار

بون ٢٧ – و – وافق مجلس النواب الالماني اليوم على مشروع القانون الذي يقضي بالتصديق على البروتوكول الخاص بانهاء نظام الاحتلال في المانيا، وكانت النتيجة

قصة الاخ الذى تزوج اخته

قبل ان يعلما انهما شقيقان

...الغاري يفضح المشعوذين والمتآمرين على مصلحة الامة

مساء امس .. احتفل القوميون الاجتماعيون في كل مدينة وقرية من قرى الوطن وفي كل مكان فيه قوميون اجتماعيون عبر الحدود ... احتفلوا بعيد ميلاد سعادة.

ففي الساعة السادسة مساء بدأت بعض مديريات الحزب السوري القومي الاجتماعي في دمشق بتطيير البالونات التي وسمت عليها الزوابع الحمراء، كما احتشد مكتب الحزب السوري القومي الاجتماعي بالمواطنين والقوميين. وقد انتظم القوميون الاجتماعيون بصفوف بديعة من اول مدخل المكتب حتى بابه صفوفا على جانبي الطريق. وقد حضر حضرة رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي الاجتماع وحضر ايضا حضرة العمد والامناء.

وفي تمام الساعة السابعة مساء افتتح حضرة منفذ عام منفذية دمشق الامين عصام المحايري الاجتماع باسم سورية وسعاده، ثم انشدت فرقة من القوميين والقوميات النشيد الرسمي للحزب. وبعد ذلك قدم عريف الحفلة الرفيقة فيكتوريا خوري فالقت كلمة عمدة الاذاعة المنشورة في الصفحة الرابعة من هذا العدد. ثم القى الرفيق فايز عبيده زجلية قومية قوطعت بالتصفيق مرارا والقى الرفيق امين سعاده كلمة مديرية الآداب المستقلة، تلاه الرفيق حسن مخلوف منفذ منفذية الطلبة في دمشق فالقى كلمة المنفذية.

وقبل ختام الاجتماع وقف حضرة عميد الاذاعة الامين عصام المحايري وارتجل كلمة طويلة الهبت الاكف بالتصفيق وقد استطاع مندوب الجريدة التقاط بعض المقاطع ننشرها فيما يلي:

ايها المواطنون الاكارم

من حقكم وانتم تشاركوننا احتفالنا ان تسائلونا وقد جرت العادة في بلادنا ألا يحتفل بمولد احتفالا عاما الا ان يكون صاحب الاحتفال نبيا، فهل احتفالنا نحن وهل ان من نحتفل بمولده تقارنه بالانبياء؟

اما نحن فنطمئن الذين يرون الدين اشكالا وشكليات ان احتفالنا هو بمولد سعاده وان سعاده ليس سوى قائد سوري نحتفل بميلاده بهذه الصفة.

واذا كان من غير المألوف ان نحتفل بالاولاد ومن حقنا ان نزهو بهذا الميلاد الذي فيه وحدة الحياة بمعناها الصحيح.

ان احتفالنا بولادتنا الجديدة هو لان هذه الولادة مكنتنا أن نسير في طريق الحياة ومعانيها الحية نحياها بطولة مترفعة وعزا أبيا وعطاء سمحا، نحياها جهادا وبطولة وصراعا حيا تقابل بسه اولئك الذين يطعنونا بانفسهم بالحية التي يحملها لهذه الامة وهم منها.

ان الاول من آذار قد أيقظ فينا وعي معنى كوننا سوريين وحفز فينا التمثيل الصحيح لامتنا العظيمة، هذا التمثيل الذي شع بطولات ومناقب وترفعا وتجردا تقابل بها المشعوذين الجحودين ومؤامراتهم وحربهم الخبيثة، بالصلابة التي لا تتراجع وبالعقيدة المدركة الواعية، تمزق بصفائها وقوة ثقتها الاقنعة عن المشعوذين في هذه الامة لتكشف حقيقتهم وليعي الناس طريقهم.

ان صراعنا الذي كله محبة للامة لا يهادن مطلقا الذين يطعنون الامة ويستغلون العنف فيها، لتكشف حقيقتهم فيعي الشعب طرقهم الملتوية.

في صراعنا ضد المشعوذين والدجالين نقدم الاضاحي باسمين مرحبين تسقط الضحية الواحدة تلو الاخرى ونحن نردد قول الزعيم ان طريق الحياة طويلة وشاقة ولا يثبت عليها الا الاحياء وطالبوا الحياة اما الاموات وطالبوا الموت فيسقطون على جوانب الطريق.

مئات مما لا تمكنوا من القضاء على الحقيقة التي تخلفوا عنها على عقيدتنا ومناقبنا. وبعد اخرى علمتنا مدرستنا وعلمتنا الاول اذار الانهيار لطلقاتهم التي يروج المخدرات وتجار الافيون في هذه الامة، يريدون دغدغة العواطف الرخيصة.

هؤلاء في سعيهم للتخدير يحاولون ان يصدوا الشعب عن حركته القومية الاجتماعية بالتضليل بان هذه الحركة في ايمانها بالوطن السوري العظيم وبالامة السورية العظيمة ايمانهم بها ايها المواطنون، حرب على التعاون العربي.

اننا حرب على استغلال التعاون وكلمات التعاون لانها عجزا عن ضعفاء تسيرنا هذه القوة او تلك.

ان افيون العواطف الذي يروجه تجار لا يقلون تضليلا وتدجيلا واستغلالا واجراما عن المتاجرين بالدين والدين منهم براء، هو ما يريدون تجارا بالتعاون العربي والتضامن العربي.

هذه الفئة المتظاهرة بالغيرة على العروبة والتي تقف في كل مناسبة منادية العروبة العروبة، ماذا عملت للعروبة وماذا قدمت لامتها سوى انها تآمرت لابقائها عجزا وامتهنت حجر عثرة في طريق وحدتها تحت ستار العروبة هذه.

انها لم تقدم لهذه الامة التي فرقها وحدها عن العرب والتي هي وحدها سيف العرب، سوى تخدير الاستسلام والاقطاعية على قوى خارجة عن هذه الامة، عنكم انتم ايها المواطنون لانها لا تؤمن بكم،

الرفيق محمد امين جمعة لم يمت .. انه حي فينا .. حي في نفس
كل قومي اجتماعي .. انه بطل شهيد والشهيد البطل لا يموت

حفلة اربعين الشهيد محمد امين جمعة

العميد كامل حسان يلقي كلمة المركز في حفلة الاربعين

في الجمعة الماضي ذكرى مرور اربعين يوما على استشهاد الرفيق محمد وقد احيت منفذية الفرات العامة الحزب السوري القومي الاجتماعي ذكراه بحضور العميد الامين كامل حسان وكيل عميد الداخلية .

وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر اصطف القوميون الاجتماعيون صفوفا في الانظار بطلها واتجهت من المكتب نحو ضريح الشهيد يتقدمهم حملة أكاليل من الورود والغار قدمتها كافة مديريات المنفذية وكان اجملها واكثرها لمعانا .

وعندما وصل القوميون الاجتماعيون مقر الشهيد تقدم حضرة العميد الامين وزيارة اعلن حضرة ناظر التدريب الاستعداد فالتحية للشهيد ثم الوقوف الحزبي من حناجر الرفقاء يشق عباب السماء وتقذفها قوة رهيبة وعزم كان له وقع عميق في نفوس المواطنين الكثيرين الذين احتشدوا على الطريق ليروا الامين يزور شهيد الحزب .

على الضريح

وهنا تقدم الرفيق جورج أديب الى ضريح الشهيد وارتجل كلمة مؤثرة قال في مطلعها : « يا رفيقي ... ها نحن نعود اليك ، ها نحن في قبرك ، وقد سبقتنا قلوبنا التصقت بالضريح أكاليل الحب والاخلاص والبر والبطولة ... رفيقك يا رفيقي في رفعة المركز الموقر الذي جاء يحيي بطولتك ويحتفل بسرور لسعيك شهيدا والشهيد لا يحيى ان يموت . فاطمئن واهنأ

الحفلة والقى كلمة افتتاحية استعرض بها بتفاصيل قضية وتاريخ الشهيد . وكيف انه كان يود ان يروي بدمه ارضنا في الشمال والجنوب ولكنه مع هذا فهو لم يبخل به حين اراد منه الفداء ومهما كانت القضية تريد ذلك وبين المستمعين ان الصراع من طبيعة عقيدتنا ومفهومنا للحياة وان الصراع دون خطاه لا معنى له وان المصارع من اجل الحياة لذلك فان هذا الاحتفال الذي دعوتكم اليه واستجبتم لدعوتنا لم يكن من اجل تذكر الرفيق الشهيد محمد امين جمعة بل دليلا من الادلة الكثيرة على اننا نذكره دوما مع اليه منا دوما .

قصيدة مؤثرة

ثم قدم الرفيق عبد الله رحيم قصيدة

تهانينا فقد سنا فتخر وذكرهم بأول سعادة .

« ولو قضوا على مئات منا لا عكسوا من القضاء على الحقيقة التي تحلل بها نفوسنا ثم اشاد لهم بالموقف البطولي الرائع الذي وقفه الرفيق الشهيد والذي نحن ابناء الحياة نعيدوا اليه كأروع وسام نزين به تاريخنا .

كلمة الامين حسان

وهنا تقدم الضريح حضرة الامين وكيل عميد الداخلية وارتجل كلمة عميقة

بارادة الامة ان يزيدوا ابناء الحياة هذا الجيل القومي الاجتماعي ، تلاميذ سعاده الاكمكما بقيتهم وقائدهم .

ثم بين حضرة الناظر مغزى دعوة حضرات الموظفين لهذا الاجتماع كما انهم ان يسموا هذا كلمة الاستعداد لانا لا نفهم اثار طريقا للصلاح بل هو مرض ومن احد الاسباس التي جعلنا نحاربها ونقضي عليها في هذه الامة وعلى اجتماعنا اليوم الشاهد اشارة الدم الزكي أركى شهادة في الحياة كما قال سعاده ، ومن لهم من اقوال لهم ان خطاه لهم من طبيعي فينا تراه الامة في طلبه .

ثم تحدث حضرة الناظر عن هذا الجيل جيل سعاده جيل الامة الحق الذي عنده وحده خلاص الامة ونهضتها وكيف

المحامون بدير الزور اضربوا ساعتين احتجاجا على توقيف المحامي صالح عبود

المواطنون ينادون الى الاضراب العام في المدينة هذا اليوم اذا لم تنحل الازمة وتخلى سبيل الموقوف

دير الزور ٢٥ – لمراسل « البناء » الخاص :

عم التوتر والاستياء اليوم السواد الاعظم من المواطنين في دير الزور بسبب استمرار توقيف المحامي صالح عبود اليوم الثالث ذلك التوقيف الذي اعتبره المحامون هنا بالاجماع توقيفاً تعسفياً غير قانوني قصد به ركاكة بالمحامين . وقد اعلن المحامون في دير الزور الاضراب عن العمل لمدة ساعتين اليوم احتجاجاً على هذا التوقيف واصدروا بيانا دعوا فيه مواطني دير الزور الى مؤازرتهم والى اعلان الاضراب العام غداً – الخميس – وسرعان ما انتشرت بين صفوف المواطنين موجة استياء شديدة من استمرار التوقيف فطارت عشرات برقيات الاحتجاج والاستنكار من مختلف اوساطهم واصبح الموقف العام في دير الزور دقيقاً وحرجاً جداً . وكان ابرز مظاهر التوتر يتجلى في اروقة العدلية

وقد حاول الحاضرون ان يتوسطوا لانهاء الازمة . فاستدعي وفدا عن المحامين الاحتياط فذهبوا في دار الحاضرة وعندما خرج الوفد من الوساطة قالت لنا قامت على اساس ان يقدم المحامي الموقوف طلبا باخلاء سبيله . وقد ارسلت عينة الطلب من قبل الحاضرة الى قرار التوقيع كما رأيتم الحاضرون هذا الحل .

زيادة التوتر وحبس النظر

وكان بقبل الوساطة رائحة في تهدئة وجهات النظر فقد اصدر الحاضرون قضاة بضرورة تقديم طلب اخلاء السبيل من قبل المحامي الموقوف والحاضرون مصرون على ضرورة اخلاء سبيله قبل اي مساومة او مفاوضة على طلب اخلاء سبيله فلا توقيف . لكن

تصريح المحامي الموقوف

واتصل مراسل « البناء » بالمحامي الموقوف وسأله عن سبب رفضه توقيع طلب اخلاء السبيل فادلى اليه بالتصريح التالي :

« ان القضية ليست قضية شخصية ليست قضية توقيف محام ، فانا كغيري من المواطنين لي ما لهم وعلي ما عليهم . وان توقيفي كان فيه ما يسيء الى جميع الطرق القانونية لاخلاء سبيلي . لكن المشكلة اعمق بكثير مما يبادر الى الاذهان . انها تمس الاسس العميقة للعدالة والقانون . واني لا اخجل من الناس بل يخجلون الآن من الحق الذي صادرت مذكرة توقيفي من قصره وقيمه زهو وخيلاء وهو بعد ان اخلاء سبيلي

الشك في انهم معرضون في كل وقت لامثال هذه التصرفات الاقانونية اللامسؤولة . وانا اذا تجاسرت على توقيع طلب الاخلاء في اثناء حبس حقوق غيري دون ان املك حق التنازل عنها .

« لا . لن اطلب اخلاء سبيلي حتى ولو صار هذا السجن قبري . يجب ان تسوى اولا مشكلة القانون . يجب ان ترفع الحصانة عن بين اعدائه . يجب ان يشعر المواطنون بانهم امنة » .

هذا ويعتبر ان يسير المواطنون ، المدعوة الى الاضراب العام اليوم اذا لم تنحل الازمة .

نص بيان المحامين

وهم في نص البيان الذي اصدروه

على العلاقة الطيبة بيننا وبين القضاة الذين نقدرهم الوطنية للخدمة في هذه المنطقة . ولكننا وصلنا الى ظرف لم نعد نستطيع فيه الاستمرار على خلق مثل هذا الجو باعتبار ان بعض القضاة الحاليين الذين يتسببون من وجودهم في دير الزور واقضيتها يبدأوا يحاولون دون الابقاء على صلات المودة بيننا وبين المحامين ويعملون على ايجاد العقبات التي تباعد بين الطرفين رغم الصلة الكبرى المفروض وجودها بينا ورغم انهم يستقون مادتهم من منبع واحد وهو القانون .

« وكان آخر ما وصلنا اليه توقيف احد الزملاء من قبل قاضي التحقيق بدير الزور دون حق وخلافا لقانون .

هذا التوقيف واصدروا بيانا دعوا فيه مواطني دير الزور الى مؤازرتهم والمحامون اضراب العام عقد اجتماعي في نقابة المحامين بدمشق وقرروا الاضراب العام

المواطنين موجة استياء شديدة من استمرار التوقيف فطارت عشرات برقيات الاحتجاج والاستنكار من مختلف اوساطهم واصبح الموقف العام في دير الزور دقيقاً وحرجاً جداً . وكان ابرز مظاهر التوتر يتجلى في اروقة العدلية

وقد حاول المحافظ ان يتوسط لانهاء الازمة . فاستدعى وفدا عن المحامين للاجتماع به في دار المحافظة. وعند ما خرج الوفد علم ان الوساطة فشلت لانها قامت على اساس ان يقدم المحامي الموقوف طلبا باخلاء سبيله . وقد ارسلت صيغة الطلب من قبل المحافظة اليه فرفض التوقيع كما رفض المحامون هذا الحل.

تصريح المحامي الموقوف

واتصل مراسل « البناء » بالمحامي الموقوف وسأله عن سبب رفضه توقيع طلب اخلاء السبيل فادلى اليه بالتصريح التالي:

« ان القضية ليست قضية شخصية ليست قضية توقيف محام ، فانا كغيري من المواطنين لي ما لهم وعلي ماعليهم . ولو ان توقيفي كان قانونياً لأجزت لنفسي اتباع الطرق القانونية لاخلاء سبيلي . لكن المشكلة اعمق بكثير مما يتبادر الى الاذهان . انها تتعلق بالاسس العميقة للعدالة والقانون . والذين لم يخجلوا من الباطل لماذا يخجلون الآن من الحق . لقد صدرت مذكرة توقيفي من قاض وقعها بزهو وخيلاء وهو يعلم ان عمله عسير قانونيا . فلماذا لايشعر هذا القاضي بزهو وخيلاء وهو يصحح خطأه ويعود الى جادة الحق والصواب ؟

« ليست القضية قضيتي كما ترى ، بل قضية العدالة . ان العدالة أعضت عينيها من جديد ولم تعد ترى مايرفعنا الى مرتبة القضاة وما يسف بنا الى مرتبة المباذات الشخصية . لقد صفت مذكرة توقيفي حق المواطنين بممارسة حقوقهم بحرية تامة وبطمأنينة عميقة ، اثارت في نفوسهم الشك في انهم معرضون في كل وقت لامثال هذه التصرفات اللاقانونية اللامسؤولة . وانا اواجه بحرية على توقيع طلب الاخلاء فاني أتنازل عن حقوق غيري دون ان املك حق التنازل عنها .

« لا ، لن اطلب اخلاء سبيلي حتى ولو سار هذا السجن قبري ، يجب ان تسوى اولا مشكلة القانون ، يجب ان ترفع الحصانة عن عين العدالة ، يجب ان يشعر المواطنون بتمام ثقتهم بالعدالة . »

هذا وينتظر ان يلبي المواطنون ، الدعوة الى الاضراب العام اليوم اذا لم تحمل الازمة .

نص بيان المحامين

وفيما يلي نص البيان الذي اصدره المحامون في دير الزور :

بيان من المحامين الى الشعب

وكان المحامون منذ عرفت هذه المأساة يدافعون عن الحق ، وقد قدر الشارع المسؤولية الملقاة على عاتقهم فحاهم بالحصانة ورتب لهم حصانة خاصة ، ولما كان المحامي لا يستطيع القيام بهذه المهمة الا بجو تسوده الحرية التامة او يحف به التفاهم المطلق بينه وبين القاضي فقد حرصنا نحن محامي دير الزور على المحافظ على العلاقة الطيبة بيننا وبين القضاة الذين نعتز بهم الوطنية فتحدثم في هذه المنطقة. ولكننا وصلنا الى ظرف لم نعد نستطيع فيه الاستمرار على خلق مثل هذا الجو باعتبار ان بعض القضاة الحاليين الذين يتبرمون من وجودهم في دير الزور وقضيتها بدأوا يحولون دون الابقاء على صلات المودة بينهم وبين المحامين ويعملون على ايجاد العقبات التي تباعد بين الطرفين رغم الصلة الكبرى المفروض وجودها بينها ورغم انهم يستقون مادتهم من منبع واحد وهو القانون .

« وكان آخر ما وصلنا اليه توقيف احد الزملاء من قبل قاضي التحقيق بدير الزور دون حق وخلافا للقانون .

« ولما كان من واجبنا ان نطالعك بالحقيقة ونشرح لك الموقف الدقيق الذي نمر به باعتبار اننا لا ندافع عن مصالحنا الشخصية وانما عن مصالحك انت مرجع كل شيء فقد حتمنا بياننا هذا لعلن لك اننا لم نعد نستطيع الاستمرار بهذا الدفاع في هذا الوضع المضطرب . وقد اعلنا اضرابنا هذا اليوم احتجاجا على تمنت بعض القضاة وموقفهم السيء منا ومنك

البقية على العاشرة الرابعة

وثيقة ٣٠ احمر ـ ١

الوثيقة رقم ٣٠ احمر

الحزب السوري القومي الاجتماعي

منفذية الفرات العامة ـ مديرية ميشال ديك الى مقام الرئاسة الموقرة

حضرة الرئيس الجزيل الاحترام

تحية سورية قومية اجتماعية حرصا منا على اخذ مفاهيم صحيحة كي نعطي ما هو صحيح ايضا رأيت ان اكتب لمقامكم بعض ما يلي من الامور:

أ ـ بما ان النائب عزيز عباد معروف انه قومي اجتماعي وقد كان مرشح الحزب اثناء انتخابات الشيشكلي ولم يرشح باسم الحزب في الانتخابات للمجلس الحالي ومن المحتمل لدينا ان يكون ذلك بإيعاز من الرئاسة الموقرة ولكن بعد ان اصبح نائبا لم يعد يظهر عليه كونه قومي اجتماعي والدليل الاخير على ذلك تأييده الحكومة.

وكما ان الأغا (؟) مصطفى ميرزا الذي اعلن القوميون الاجتماعيون تأييده على اساس انه صديق للحركة وفي طريقه لان يكون قوميا اجتماعيا كما كنا نسمع ـ لم يبد عليه اي شيئ من ذلك والدليل الاكيد ايضاهو انضمامه لكتلة العشائر ومن مؤيدي الحكومة الحالية العسلية وكما كنا نعرف في اول عهد هذا المجلس من جريدة البناء ان كتلة القوميين الاجتماعيين اربعة منها الرفيقين بديع اسماعيل وحنا كسواني اي بحساب مصطفى ميرزا و عزيز عباد.

وكما ان غسان تويني لم يبد عليه في ايامه الاخيرة اي نشاط في مجاله السياسي وفي المجلس الذي .... رئيسه ومما زاد في شكنا وجعلنا نعتقد انه متقاعس هو اتصاله ببشارة الخوري الطاغية وايضا نشرت الجريدة البيروتية صورة له يصافح حضرة الامين الجزيل

مصادرات جوليت سعادة (٢) ـ ٣٥

وثيقة ٣٠ احمر ـ ٢

الاحترام جبران جريج على اساس انه حضر الاحتفال بأذار كمدعو لا كعميد له جاء يشارك رفقاءه به.

وفي كتابي هذا ارجو الافادة عن:

١ ـ هل عزيز عباد لا يزال قوميا اجتماعيا. اذا كان كذلك هل يحق له خوفا على نيابته ان يكتم نفسه وان يشذ عن طريق سياسة الحزب؟ ام هل اتخذ بحقه شيئا دستوريا ورأت الرئاسة الموقرة من المصلحة عدم اذاعته.

٢ ـ هل مصطفى ميرزا قومي اجتماعي او مؤيد للحركة؟ في حال كونه قومي اجتماعي هل اتخذ او سيتخذ بحقه اجراء دستوري؟

٦٥ ـ وضع غسان تويني؟

أ ـ نحن في وطن نذرنا ان نعمل لكلشبر منه في اي جهة من جهاته. لذلك وبما انني اقرأ احيانا في جريدة البناء وفي بعض ما ينشر الرفقاء والمسؤولون جمل تتردد على السنتهم ويكتبوها، اغتصب اليهود جزءا من اعز اجزاء وطننا او " جزءا عزيزا علينا ".

لذلك اصرح عندي بعض التساؤل في ان هل في وطننا جزء غير عزيز وآخر عزيز والبعض الآخر اعز؟

ب ـ هل ما سبق في (أ) يفسر لنا كثرة الزيارات التي يقوم بها الرئيس الى مناطق من الوطن مرات عديدة وكذلك المسؤولين المركزيين وعدم زيارتهم للمناطق الاخرى كمنطقتنا؟

بهذا نرجو افادتنا ليستمر جهادنا صحيحا. لتحيى سورية وسعادة

الرفيق عبد الوهاب بعاج

دير الزور في ٣/١٤/

أعضاء منطقة دير الزور 1955

1 محمد كامي الرهبي - مدير البريد المستقيل
2 انور حباش - مدرس رياضيات
3 حسن الحاج محمود - مأمور دورات في الفلك المساعد - مرتج
درس شفوي واضح على
4 عبد المنعم الرهبي - شاعر -
5 صبحي حلوصي الكطاف -
6 محمد سعيد حبش الباج - مدرس وعمل في الاذاعة السورية
7 اسعد حاج كمال .
8 صباح حاج كمال
9 كمال حاج كمال
10 جميل سعيد -
11 مصطفى عبد الرحمن المصطفى -
12 رشيد سليم الفتيحي - ناظر تدريب
13 نديم عبد الوهاب كيالة - منفذ
14 عبد الصمد مطاب
15 عبد اللطيف مطاب
16 ابراهيم هنيدي - ناظر ثانوية
17 عبد الرحمن ثلاج
18 حسن عياش - منفذ عام
19 صالح عبود - منفذ عام - ترفيض الذهاب إلى الشام باحترام الدين تنازع وآخر
20 حفظ بطاح -
21 عبد الرزاق الباج - مدير مدرسة
22 عبد الغني الباج -
23 عبد الحسن رحاب
24 شهاب حمد العبد الله
25 فريد كردوش .
26 عبد الواحد الرهبي

27 فضل المحمود - تعيين مرحلي لاسكلي
28 خليل المحمود بكر
29 نشأة ضللي
30 جورت عياش
31 عبد الكريم عاروني
32 عبد اللطيف شاكر
33 عدنان دهموش
34 صالح العبيد - (معروف صلاح الجر)
35 عبد الله مستيه
36 عطا الله كنامه
37 عبد الرزاق مندريل
38 محمد مندريل
39 عبد المجيد مندريل
40 عبد الحميد مندريل
41 يوسف بجاري
42 كمال سمعون
43 انطوان سمعون
44 جعفر صباغ
45 عبد العزيز كوير
46 عبد الوهاب رداوي - ناظر ثانوية
47 محمود رداوي (معروف بأبو وطفي)
48 عزيز عمار
49 وحيد حوري جميل
50 عصام حوري جميل
51 عبد الجبار هنيدي بن محمد
52 كمال هنيدي بن محمد
53 يحيى محمد الحافظ
54 جعفر دعاوي
55 عباس دعاوي

56 كمال الحاكم - حقوقي واصبح ضابط شرطة
57 خالد كنعان
58 عبد الحافظ الراوي
59 جميل وليد الماجد
60 جميل الدغيم
61 عبد المطلب بطاح
62 أحمد مضيح
63 ابو فواز (مدعو دنوح)
64 جان عجمو
65 جوزيف غزغيه
66 شاكر حلاوي
67 محمود والي
68 عبد المجيد والي
69 يوسف جراد
70
71 كمال عبد اللطيف
72 وصفي بكر حجي
73 جان ساعاتي
74 اسماعيل ريحي
75 مروان حمود
76 محمد وجيه عباس حميدي
77 حمادي عندليب - من سكان
78 ابراهيم لدوند
79 جوزيف لدوند
80 عطا الله خطوط
81 الياس خطوط
82 موسى سيمون
83 افرام موسى خطاب
84 عادل مطلق
جميله مطلق

85 ناجي طعاب
86 محمد اديب الحاكم - استشهد في حوران البطل
87 محمد اديب حلاوي
88 فاروق عبد الرحيم
89 فايز عبد الرحيم
90 فؤاد محمد
91 جورج عجمو
92 عبد الغفور خريط
93 أحمد حسن الحاكم - اصبح قائد ناصري
94 عبد الرحمن سلامة - (ابو راشد)
95 فايز عبد الغريب بطاح
96 صلاح الدين حريب - مدير مدرسة الميادين
97 عبد المجيد فرح - ميادين
98 فوزي فرح "
99 عبد القادر فرح "
100 اسماعيل زركان "
101 خلوف عوجان "
102 نجم الدين حريب "
103 بكر عوجان "
104 حسن عياش
105 جريس رداوي
106 عبد العزيز غزاوي - ميادين بعض الاحيان
107 توفيق نخليف
108 فريد الدهن
109 وليد حديدي
110 فرحان سليمان
111 عبد الرحمن سعادة - غير انتمائه (توفي ابو راشد)
112 بديع العاطي

وافدين الى فنقدية دير الزور 1955 - 1956 وبعد

1 - محي الدين رشيد معلم لغة عربية - مدرسة يوسف العظمة
2 - عادل ديب - معلم
3 - محمد الخطيب - معلم
4 - عدنان سلمان - "
5 - انيس ديب - بائيا سابقا حل - معلمة
5 - امتثال مدرسة بنات الدير - معلمات
6 - نبيل كريشر - عامل شركة نفط
7 - وليد ميرو حنا - طرطوس - كان محند شرطة عسكرية
8 - حسقيال عبود - مهندس - عمل في تاسيس معمل السكر
9 - درويش عرابي - من حماه - معلم رياضة

عزيز عربي - بوكمال
سعيد عساف - بوكمال
اسماعيل عضل - الحسكة.

نوذج رقم ٤٦٢١

صورة بقياس ٤ × ٤
بآخر رتبة عسكرية
(حاسر الرأس)

الجمهورية العربية المتحدة
القوات المسلحة ـ الجيش الأول

الوحدة : [illegible]
الرقم المتسلسل : [illegible]

شهادة تأدية الخدمة العسكرية

تشهد وزارة الحربية :

ان (رتبة) المرشح (اسم وشهرة) عبد الرضا بن عبد الرحمن (الرقم العسكري) [illegible]
المولود بتاريخ ١٩٢٩ في [illegible] قضاء [illegible] محافظة [illegible] شعبة تجنيد [illegible]
قد أدى الخدمة العسكرية في الجيش المصري وان مجموع خدمته في الجيش هي سنة [illegible] شهر — يوم —
وقد ترك الخدمة العسكرية في ٥ / ١ / ١٩٥٩ بسبب : [illegible]
درجة اخلاقه أثناء الخدمة هي : " جيدة جداً "
وان العمل الذي سيعمل به في الاحتياط هو : [illegible]
حرر في المعاش عشرة [illegible] تاريخ ١٠ / ٥ / سنة ١٩٥٦

القائد
الرتبة والاسم والتوقيع

ملاحظة ١ ـ تختص هذه الشهادة والصورة بعائلة الوحدة .
٢ ـ أي مسح أو محو أو تعديل في بيانات هذه الشهادة يجعلها باطلة .

الجمهورية التونسية

وزارة العدل

خلاصة

الحكم الصادر عن [illegible] الجزائية [illegible]

رقم اساس المحكمة ٦ / ٧ سنة
رقم اساس النيابة سنة

اسم المحكوم عليه وعائلته واسم والديه	[illegible]
محل وتاريخ ولادته	[illegible]
محل اقامته	
تاريخ توقيفه وتاريخ اخلاء سبيله	
نوع الجرم	[illegible]
محل وتاريخ وقوعه	[illegible]
المادة القانونية	٢٠٩ عقوبات
تاريخ الحكم	١ / ١٢ / ٩٦ ٥٢٦
تاريخ التبليغ وكيفية حصوله بالذات أم بالواسطة	[illegible]
الحكم ملاحظة : يجب بيان العقوبات المحكوم بها كلها ، وعند تعدد الجرائم ذكر العقوبة العائدة الى كل منها .	[illegible]

الرسوم والمصاريف القضائية

نوع	مقدار كل منها ق . س .
المجموع	

الى النائب العام لدى محكمة في
للتنفيذ وان الحكم اصبح مبرما
في

رئيس الديوان رئيس المحكمة

رئيس الديوان

في

الجمهورية العربية المتحدة

مديرية التربية والتعليم بدير الزور

الرقم : ٨٢٢/٢ ص ع

التاريخ : ٢٠/٤/١٩٦١ الى السيد عبد الوهاب جلال بحاج

بطريق مديرية مدرسة اعدادية النبلج الخاصة

بالاشارة الى تقرير المفتش الاختصاصي لمادة الفيزياء والكيمياء السيد عبد الرحمن ابو صالح المؤر ١٦/٤/١٩٦١ وعن نتيجة زيارته لمدرستكم خلال الفترة الواقعة مابين ١٨/٤/١٩٦١ ولغاية ١٢/٤

اثنى السيد المفتش لما لمسه منكم من شخصية قذة ولغة جيدة وتحضير واف وضبط للدرس ولا يس بهذه المناسبة الا ان نقدر فيكم هذه الصفات الحسنة وفقكم الله لخدمة ابنائنا الطلاب .

ع

مدير التربية والتعليم بدير الزور

بدوي الجندلي

صورة الى التعليم الخاص عدد / ٢/

صورة الى المفتش الاختصاصي السيد عبد الرحمن ابو صالح

بطريق مديرية التربية والتعليم بحلب

الى السيد عبد الوهاب

والادارة بدورها تشكر لكم اهتمامكم وتقدركم للواجب والمسؤولية وتتمنى لكم المزيد بالنجاح

مدير اعدادية بحاج

٦١/ .

الجمهورية العربية المتحدة

مديرية التربية والتعليم بدير الزور

الرقم ٨٢٢/٢ ص ع

التاريخ ٢٠/٤/١٩٦١ الى السيد عبد الوهاب جلال بحاج

بطريق مديرية مدرسة اعدادية بحاج الخاصة

بالاشارة الى تقرير المفتش الاختصاصي لمادة الفيزياء والكيمياء السيد عبد الرحمن ابو صالح المؤرخ ١٦/٤/١٩٦١ وعن نتيجة زيارته لمدرستكم خلال الفترة الواقعة مابين ١٨/٤/١٩٦١ ولغاية ١٢/٤/١٩٦١ اثنى السيد المفتش لما لمسه منكم من شخصية قذة ولغة جيدة وتحضير واف وضبط للدرس ولا يسعنا بهذه المناسبة إلا أن نقدر فيكم هذه الصفات الحسنة وفقكم الله لخدمة ابنائنا الطلاب .

مدير التربية والتعليم بدير الزور

بدوي الجندلي

صورة الى التعليم الخاص عدد / ٢/

صورة الى المفتش الاختصاصي السيد عبد الرحمن ابو صالح - بطريق مديرية التربية والتعليم حلب

ملاحظة : كان المفتش قد اداره المدرسة بتقرير ثاني عن الجدال معه لدى توزيع تقارير المفتشين ، وقد حضوره الدرس كان لهذا الكتاب الوقع الطيب لدى الحاضرين .

الى السيد عبد الوهاب

والادارة بدورها تشكر لكم اهتمامكم وتقدركم للواجب والمسؤولية وتتمنى لكم المزيد بالنجاح

مدير اعدادية بحاج ١٩٦١/٥/١

* قام بارسال عدة رسائل سرية من عناصر الحزب القومي السوري انطوان سيمون عام ١٩٦٦ وتلقى رسائل بهذا الخصوص من القومي السوري فؤاد يونان بواسطة القومي السوري عبد الاحد سليمان .

* قام بتسليم بعض البيانات السياسية والمناشير السرية الى القوميين السوريين حسن العياش وفؤاد يونان والياس صيري الذين اطلعوا بقية العناصر عليها .

* استلم بعض الموارد المالية من القوميين المكلفين بجمعها ومنها / ٢٠٠ / ليرة لبنانية من الياس صيري من منطقة رأس العين و / ٢٠٠ / ليرة من عبد الوهاب بعاج ومثلها من بيروت عباس دفعت بواسطة عبد الوهاب . كما تلقى مبالغ أخرى من القوميين السوريين في الصهر تقدر بحوالي تسعة آلاف ليرة سورية .

* كان يتقاضى راتبا شهريا قدره / ٤٠٠ / ل س من اشتراكات الحزب .

٢ـ المدعى عليه حسن عياش : كان يزاول النشاط الحزبي بشكل مستمر أجرى عدة اتصالات مع صام الصايغ وتناقش معه في أمور الحزب وذلك عام ١٩٦٦ .

* استلم نشرات حزبية من صام عام ١٩٦٦ بموضوعها يتعلق بتأسيس الحزب وذكرى ميلاد انطون سعادة .

* استلم رسالة سرية موصلة من صام الصايغ بواسطة القومي السوري انطوان سيمون وذلك عام ١٩٦٦ .

٣ـ المدعى عليه الياس صيري :

* كان يزاول نشاطه الحزبي . فقد زار صام الصايغ عام ١٩٦٦ بناء على استدعاء من صام وتباحث معه بشؤون الحزب وتأمين اعانة عائلات المسجونين من القوميين السوريين .

* كلف من قبل صام باجراء الاتصال مع بعض القوميين امثال حبيب الساعاتي وفؤاد يونان وابلاغهما ضرورة تنشيط نشاط القوميين اتباع جورج عبد المسيح .

* قام بجمع الاشتراكات الحزبية في منطقة رأس العين وسلمها الى صام الصايغ وكانت بحدود / ٢٠٠ / ل س .

* اطلع بواسطة فؤاد يونان على ١٩٦٧ على منشورين سياسيين احدهما يتعلق بنكسة حزيران ورأى صام الصايغ فيها .

٤ـ المدعى عليه عبد الوهاب بعاج :

* كان على علم بانتخاب صام الصايغ رئيسا مؤقتا للحزب .

* شغل عدة مراكز قيادية في الحزب القومي السوري كان آخرها ـ ناظر اذاعة (موجه سياسي) ـ .

* قام بزيارات متكررة الى صام الصايغ في احدى زياراته له عام ١٩٦٦ سلمه مبلغ / ٤٠٠ / ل س كاشتراكات حزبية جمعت بواسطته ومن منطقة ديرالزور وبواسطة ابراهيم هنيدي

* كان المسؤول الحزبي عن منطقة ديرالزور ولهذا كان يراقب نشاط القوميين التابعين لجورج عبد المسيح وقد تلمس حماد لهذه الغاية .

* يؤمن بالحزب القومي السوري ايمانا لا يتزعزع .

* يؤمن بتوحيد الاقاليم السورية التي تتشكل جغرافيا كلا من سورية لبنان ـ فلسطين ـ الاردن ـ العراق ـ الاهواز ـ الاسكندرونة ـ وهو المشروع الاستعماري المسمى بمشروع الهلال الخصيب .

٥ـ المدعى عليه فؤاد يونان : * كان على اتصال مع صام الصايغ وقام بزيارته عدة مرات آخرها عام ١٩٦٦ حيث علم بانتخابه رئيسا مؤقتا للحزب .

* كلف من قبل صام الصايغ بمراقبة نشاط القوميين السوريين التابعين لجورج عبد المسيح

* ارسل رسالة سرية الى صام الصايغ بواسطة القومي السوري حبيب الساعاتي تتضمن شرحا عن وضع القوميين في منطقة الحسكة والقامشلي .

* ارسل رسالة ثانية الى صام مع القومي السوري عبد الاحد سليمان وذلك عام ١٩٦٧ اثر اعتقال عناصر من الحزب القومي السوري

الامر الذى ان دل على شيء فانما يدل على شدة التعصب لهذا التنظيم وتوفر النية الجرمية .

وحيث أن افعالهم هذه جاءت في وقت لم يتقادم عليه الزمن بعد .

وحيث أن افعالهم هذه انما تشكل جرم : التنظيم السرى المحظور عنه والمعاقب عليه في المادة /٣٢٨/ بدلالة المادة /٣٢٧/ من قانون العقوبات العام .

وحيث أن جرم الدعاية للغارة المسند الى المدعى عليهم في ادعاء النيابة رقم /١٤٠/ و ٠ ن لم تتوفر عناصره الاساسية .

لذلك ولجميع ماسبق ذكره أقرر :

١- الظن على المدعى عليهم التالية اسماؤهم وهم :

(١) صالح بن عبدالله الصايري والدته كيلة غنيا - مواليد ١٩١٨ دمشق

(٢) حسن بن محمد العياش - والدته حورية - مواليد ١٩١٧ دير الزور .

(٣) الياس بن بشرى عبدالمسيح - والدته وردة - مواليد ١٩٢٢ رأس العين .

(٤) عبدالوهاب بن جلال الدين بحاج - والدته زمرة - مواليد ١٩٢٢ دير الزور .

(٥) فؤاد بن فريد يونان - والدته خاتون - مواليد ١٩٢٤ الحسكة .

(٦) عبدالاحد بن سليمان عجة - والدته فكتوريا - مواليد ١٩٢٣ - الحسكة

(٧) ياسين بن ابراهيم عبدالرحيم - والدته ماري - مواليد ١٩٢١ بصيرة غساء سابقا .

(٨) انطوان بن جان سمعون - والدته كاترينا - مواليد ١٩٤٣ - الناصلي .

(٩) عابد بن أحمد حماد والدته سعدة - مواليد ١٩٢٦ - عناسة طرطوس .

جرم :

التنظيم السرى وهو الجرم المحظور عنه والمعاقب عليه في المادة /٣٢٨/ بدلالة المادة /٣١٧/ من قانون العقوبات العام .

٢- منع محاكمتهم من جرم الدعاية للغارة المسند اليهم في ادعاء النيابة العامة رقم /١٤٠/ و ٠ ن

٣- احالة المدعى عليه صالح الصايري عونوا الى محكمة أمن الدولة لمحاكمته أمامها بالجرم المسند اليه .

٤- احالة المدعى عليهم الى محكمة أمن الدولة لمحاكمتهم أمامها بالجرم المسند اليهم .

٥- تبليغ صورة عن هذا القرار الى المدعى عليهم اصولا .

٦- تضمينهم بالتساوى رسم هذا القرار .

قرارا قطعيا صدر في ١٩٩٦/٦/٢١

وكيل النيابة العامة

علي عبدو الظاهر

قرار الاتهام

المواسم
مجلة ادبية فنية علمية جامعة
صاحبها: إيليا أبو ماضي
بيروت — لبنان
14/7/1966

أخي الاستاذ عبد الوهاب،

رسالتك الاخيرة بين يدي. شكراً على ثقتك الغالية
اتعهد بان اكون مسؤولاً عما يفقد في نطاق المفهوم الحالي للمسؤولية. اني
اني سارسل اليك الاعداد تباعاً حتى يصل احدها اليك. ولكن أرا
يصل سالماً. أخبرت ان الرقابة تحذف، وتمزق، وتبتر، وتجد
وتسمل وتطلم... حذفت خبراً عن اسرائيل كان مزعجاً على ما يظهر
الدولة المسخ، فتلقيت بدله اكثر من ترهته. اما في دمشق
حذفوه!

قال مادتي تدفع — نقلاً عن الصيني القديم —: القاعدة الاولى
في الاستراتيجيا هي ان تعرف عدوك، ثم ان تعرف نفسك. فان استط
احرزت النصر حتماً. اما إن عرفت نفسك وجهلت عدوك، فحظك با
ضئيل. وإن جهلت نفسك وعدوك، فالهزيمة النكراء مصيرك.

وبعد، يا اخي عبد الوهاب، قل لي لماذا لا يريدون ان نعرف
عدونا؟ اتعتقد الرقابة تبذل الملايين لتعرفنا اياه. أتراهم يحب
التكتم حفاظاً علينا لنظل مريئين للخبة الكبرى؟
اكتب الي دائماً، وسلم بخير

عبد المجيد الحر

الرسالة الوحيدة المتبقية من
رسائل الرفيق جورج حداد

الجمهورية العربية السورية

النيابة العامة

لدى محكمة امن الدولة العليا

مذكرة توقيف

صادرة عن دائرة النيابة العامة لدى محكمة امن الدولة العليا رقم الاساس ٢٠٣

الاسم والشهرة ..... السن ..... الصنعة ..... محل الاقامة .....

عبد الوهاب بن جلال الدين بعاج والدته زهرة مواليد ١٩٢٢ ـ دير الـــــــــزور صفته صاحي بدير الزور

التابعية ..... القامة ..... الوجه ..... الشعر ..... العينان ..... الذقن .....

الشارب ..... العلامة الفارقة .....

تبين ان جرم التهليم السري ـ واطاعة الامـــــــارة المسند الى المدعى عليه المبين اسمه واوصافه اعلاه المنصوص عليه في المادتين ٢٢٧ و٣٣٨ من قانون العقوبات والمواد اولا و٣ من المرسوم ١٨٨ لعام ١٩٥٢ من قانون العقوبات لذلك تقرر توقيفه فعلى القوة المسلحة ان تقبض عليه وتسلمه الى دار التوقيف حسب الاصول بموجب هذه المذكرة .

في / / ١٣٨ وفي ٢٣ / ٤ / ١٩٦٤

الـ ..... عبد الوهـــــــاب

النائب العام لدى محكمة امن الدولة العليا

المرسوم: شاملا حجز حريته الواقع في / / ١٩٦٨ / ٢

مناب اكم الصوفي ـ نيابة الصامين بدير الزور سابقا

مدير السجن المدني بدير الزور ـ ادارة امن الدولة الفرع ٢٥٥

سابقا ـ ادارة امن الدولة الفرع ٢٥٥ ـ الامـــــارة ـ الصـــــــ

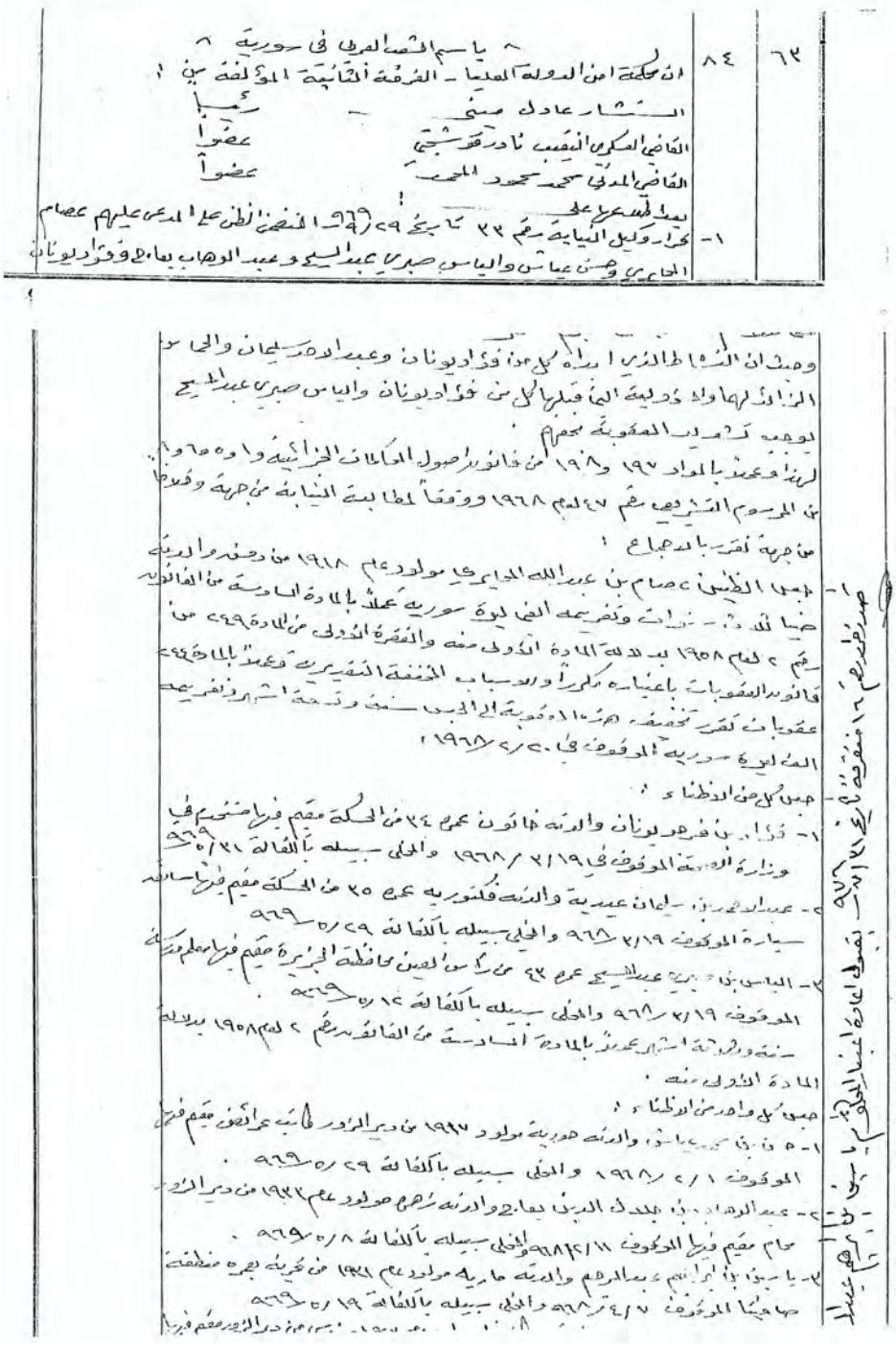

قرار الحكم

سجل القرارات

رقم القرار	رقم الاساس	القـرارات
		سنة واحدة عملاً بالمادة السادسة من القانون رقم ٦ لعام ١٩٥٨ بدلالة المادة الاولى منه .
	٤-	براءة الظنين عايد بن حماد الهرجاد مما اسند له لعدم الثبوت .
	٥-	ابلاغ الملف بعد اكتساب القرار الدرجة القطعية الى النيابة العامة لدى هذه المحكمة لتبليغه مجلس التأديب لمحكمة ايمان صبري عبد المسيح وفؤاد فرهود يونان من الناحية السلوكية واحالته ايضاً الى المرجع المختص للنظر بأمر عايد حماد من الناحية السلوكية على ضوء احكام قانون مجلس التأديب .
	٦-	تضمين المحكوم عليها الرسوم البالغة ٢٥ ليرة سورية بما فيها رسم محامي وكيل النيابة بالتساوي فيما بينهم وبالغاء عدم الدفع عن كل منهم يوم واحد عن كل ليرة .
	٧-	حساب المدة اليومية المقضية لكل واحد من المحكوم عليهم من تاريخ توقيفهم وفي حال عدم وفاء الغرامة من قبل عصام الحايك جبر يوماً واحداً عن كل خمس ليرات .
	٨-	مصادرة الخط المضبوط من يدك لفائدة كل من ايليا بشارة عبد الرحيم وحنا عباس وانطون سيمون ولعامة باقي المفادات النقدية وابطال مفعولها لتفادي التجارية بعد تنفيذ الحكم .

هذا غيابياً بحق ايليا بشارة عبد الرحيم وانطون سيمون وبشابة الوجاهي بحق حنا عباس ووجاهياً بحق ابانوس قطيمي حاضراً لتصديره الى مدير شرطة المدينة صدر ٢/١٢/١٩٦٩

الرئيس عضو عضو

علم وخبر رقم ٧١٦/أ د

تأسيس جمعية

اسم الجمعية :— الحزب السوري القومي الاجتماعي

مركزها :— بيروت — شارع سامي الصلح — ملك عطاالله — بيت الدكتور عبدالله سعاده

غايتها :— بناء الوطن بناء قوميا اجتماعيا في مفهوم المواطنة الصحيحة والمناقب الاجتماعية وتأمين العدل الحقوقي الاجتماعي والعدل الحقوقي الاقتصادي في الدولة اللبنانية وسيادتها وارتباطها حياتيا في البيئة القومية بالهلال السوري الخصيب والدعوة لانماء جبهة عربية

هيئة ادارتها :— السادة : الدكتور عبدالله خوري نقولا سعاده
كامل حسين حسان
زكريا احمد اللبابيدي
مصطفى محمد عزالدين
بشير خليل عبيد

ممثل الجمعية تجاه الحكومة :— الدكتور عبدالله خوري نقولا سعاده

ان وزير الداخلية

بناء على المرسوم رقم ١٣٤١٥ تاريخ ١٩٦٩/١١/٢٥

بناء على الطلب المقدم من مؤسسي الجمعية المسماة : « الحزب السوري القومي الاجتماعي » مركزها بيروت - شارع سامي الصلح - ملك عطاالله - بيت الدكتور عبدالله سعاده.

يعطي العلم والخبر وفقا لاحكام المادة السادسة من قانون الجمعيات على ان تتقيد الجمعية بالواجبات المترتبة عليها بمقتضى احكام القانون المذكور والمرسوم رقم ١٠٨٣٠ تاريخ ١٩٦٢/١٠/٩

بيروت في ١٣ آب ١٩٧٠

وزير الداخلية

الامضاء كمال جنبلاط

يبلغ

المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء

المصلحة السياسية مع الملف

محافظة مدينة بيروت

المديرية العامة لقوى الامن الداخلي

المديرية العامة للامن العام

وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

اصحاب العلاقة

علم وخبر رقم ٨٩٩/د

تأسيس جمعيـــة

اسم الجمعيـــة : " الحزب السوري القومي الاجتماعي "

مركز هـــا : بيـروت (يحدد مقرها فيما بعد)

غايتهـــا : بحث نهضة سورية قومية اجتماعية تكفل تحقيق مبادئه وتعيد الى الامة السورية حيويتها وقوتها ، وتنظيم حركة تؤدي الى استقلال الامة السورية استقلالا تاما وتثبيت سيادتها وأقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها والسعي لانشاء جبهة عربيـــة .

هيئة ادارتهـا السـادة :

- الدكتور انطوان يوسف ابي حيـدر
- يوسف حسين قائـــد بيـــه
- ابراهيم ايـــوب دانيـــال
- علـي حسـين حـــلاوي
- بديـع شكيـب جمـــال

ممثل الجمعيـة تجاه الحكومة : السيد يوسف حسين قائـد بيـه،

ان وزير الداخلية

بناء على المرسوم رقم ١٣٤١٥ تاريخ ٢٥/ ١١ / ١٩٦٩

بناء على الطلب المقدم من مؤسسي الجمعية المسماة :

" الحزب السوري القومي الاجتماعي" مركزها بيروت (يحدد مقرها فيما بعد) .

يعطي العلم والخبر وفقا لاحكام المادة السادسة من قانون الجمعيات على ان تتقيد الجمعية بالواجبات المترتبة عليها بمقتضى احكام القانون المذكور والمرسوم رقم ١٠٨٣٠ تاريخ ٩/ ١٠/ ١٩٦٢

بيروت في ٦ تشرين الاول ١٩٧٠

يبلغ :

المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء
المصلحة السياسية (مع السلف)
محافظة مدينة بيـــروت
المديرية العامة لقوى الامن الداخلي
المديرية العامة للأمن العام
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية (٢)
اصحاب العلاقـــة
- بواسطة محافظة مدينة بيروت

كمال جنبلاط
ختم وزارة الداخلية
وتوقيع الوزيـــر

الجمهورية العربية السورية

وزارة الثقافة

مديرية الثقافة بدير الزور

برنامج نشاط المركز الثقافي العربي بدير الزور لشهر تشرين الأول ١٩٩٩

تسلسل	التاريخ	اسم المحاضر	عنوان المحاضرة
١	الأحد ٩٩/١٠/٣	عدد من أطباء وخبراء	طرائق علاج الطفل المعاق بالسوبد
٢	الاثنين ٩٩/١٠/٤	حيدر العرفي	الوحدة والتقدم من خلال كتابات العلامة العرفي
٣	السبت ١٠/٩	همام فياض	من أيام الدير
٤	الأربعاء ١٠/١٣	سهيل عروسي	المجتمع المدني
٥	الاثنين ١٠/١٨	الأرقم الزعبي	الكاتب والمجتمع والتقنيات
٦	الأربعاء ١٠/٢٠	هنري حاماتي	العروبة علميا
٧	الاثنين ١٠/٢٥	د. جورج جبور	ثلاث مبادرات من أجل حقوق العرب المسلمين
٨	الأربعاء ١٠/٢٧	د. غازي حسين	اتفاقيات الإذعان وآفاق المستقبل

النشاطات الساعة السادسة مساء

مدير الثقافة بدير الزور

زبير سلطان

(الدعوة عامة)

البعث اللامة

في تأبين الرفيقة المربية محسنة عياش في دير الزور:

القوميون الاجتماعيون في الشام ملتزمون عقدياً بمسؤولية الانخراط الفعال في تحصين الوحدة الاجتماعية

من الحضور في حفل التأبين

بدعوة من المحافظة أقيم في المركز الثقافي بدير الزور احتفال تأبيني للرفيقة المربية والرائدة الاجتماعية محسنة عياش، حضره حشد كبير من الرسميين والمثقفين والمحاليات والمواطنين. كما حضر وفد مركزي من الحزب السوري القومي الاجتماعي ضم العميدين صفوان سلمان وغسان ابي جابر إضافة الى متندب عام دير الزور وهيئة المنفذية.

ألقيت في الحفل كلمات باسم: نقابة المعلمين والشؤون الاجتماعية والعمل وجمعية المرأة العربية وجمعية العاديات.

وقد ألقى كلمة مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي العميد الرفيق د. صفوان سلمان ومما جاء فيها:

على ضفاف الفرات السوري سطر الانسان ملاحم التفاعل الأولى مع الأرض باتجاه نشوء المجتمع حقبة كبرى في التاريخ.

إن الانسان المنتمي إلى دورة التفاعل الخصب في الحياة هو المولد للتاريخ والانسان الواعي لحقيقة انتمائه لمجتمعه هو الانسان الصانع للتاريخ وعندما نحتفل اليوم تأبيناً لرفيقتنا الفقيدة، فإننا نحتفي أولاً بمثال حلي لأنموذج الانسان - المجتمع الذي يشارك في حياة أمته وحركة مجتمعه انطلاقاً من كونه إمكانية فاعلة وقيمة منصهرة في دورة التفاعل المادي الروحي الضامنة لاستمرار المجتمع ورقيه وتطوره.

فالانسان - المجتمع - لا الانسان - الفرد - المنكمش والمنقطع عن وعي الانتماء هو الانسان الباني لمجتمعه والمنتصر لأمته عبر اشتراكه الايجابي في الوظائف الحياتية والمعرفية في عمق المجتمع وهذا ما حملته رفيقتنا الفقيدة، عبر ممارسة الدور المعرفي في الحقل التربوي والعمل الثقافي الاجتماعي في مساحات عملها الريادي، وتوجت دورها باعتقادها العقلي والوجداني على قضية أمتنا أنها تساوي وجودها، فقضية أمتها ومجتمعها، هانتمت إلى مشروع النهضة... نهضة.. العقل شرعها الأعلى ووحدة المجتمع ونهضة الأمة في جوهر قضيتها.

لقد آمنت رفيقتنا كما آمن رفاقها بالطاقات الكامنة القادرة على العمل والتغيير والبناء في شعبها وجسدت إيمانها هذا بدورها الرائد في مدينتها ومتعهدها في تفعيل هذه الطاقات.

آمنت رفيقتنا كما آمن رفاقها: أن الوجه القائم للتاريخ لا تعبّره إلا القوة الكامنة في الشعب في الانسان - المجتمع - أن فعلت صنعت القنا بيدر القناعة ويشرق آفاق الشمس تالية.

وقال: إن الرؤية القومية الاجتماعية لبناء المجتمع وتطويره وصيانته تنطلق من حقيقة أن المجتمع معرفة والمعرفة قوة ولهذا فإن القوميين الاجتماعيين يعملون على تحقيق وظائف متعهدة

الأمين أنطون غريب يحاضر في دير الزور

الأمين انطون غريب محاضراً

جانب من الحضور

بدعوة من مديرية الثقافة في دير الزور ألقى الأمين أنطون غريب محاضرة في المركز الثقافي العربي بدير الزور بعنوان: «مشروع ورقة حوار حول نظام عربي جديد».

حضر الندوة منفذ عام دير الزور الرفيق عبدالوهاب بعاج وعدد من أعضاء هيئة المنفذية، وعضو قيادة فرع حزب البعث العربي الإشتراكي بدير الزور سعيد الفرج، مدير مدرسة الإعداد الحزبي الأستاذ عدنان عويد، وعضو نقابة المحامين بدمشق عبد الفتاح فتيح، رنخبة من الفاعليات الثقافية والإجتماعية ضمت كافة ألوان الطيف السياسي في سوريا، إضافة إلى حشد من السوريين القوميين الإجتماعيين في مدينة دير الزور.

أفتتحت المحاضرة بكلمة لمدير الثقافة بدير الزور الأستاذ الباحث زبير سلطان عرّف فيها بالأمين أنطون غريب، صحافياً وباحثاً ومناضلاً.

منفذية دير الزور تحتفل بيوم الفداء

حانب من الحضور

الرفيق عبد الوهاب بعاج

الرفيق عزيز مرعي

الرفيق انور بعاج

أعضاء مجلس الشعب عمر صليبي والمهندس حمد منح الجبلاوي

الشاعر بشير عاني

الشاعر فاروق الحمد

الرفيق شهاب العبدالله

بمناسبة الثامن من تموز، احتفلت مديرية الشهيد أديب الصلاحي - منفذية دير الزور بالذكرى، في منزل الرفيق أنور بعاج، بحضور المنفذ العام وهيئة المنفذية وهيئتي كل من مديرية الشهيد أديب الصلاحي ومديرية الشهيد محمد أمين جمعة، بالإضافة الى مشاركة مسؤولي الأحزاب العاملة في دير الزور وحشد من الرفقاء والمواطنين. وقد ألقيت كلمات من وحي المناسبة.

بعد الوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء المصري الذي سطره سعاده بدمه وقال: هذا اليوم مبراس هداية ومنارة إشعاع للذين يعطون لعزة هذا الوطن.. وهذه الأمة الحافلة بوقفات الهز على مدى التاريخ، وما زال شعبنا يسطر تلك الوقفات كل يوم .. على مرأى العالم أجمع.. في فلسطين..

أضاف: ان العقيدة الثمورية بما هي عقيدة استشهاد.. استطهرها سعاده من مخزون النفس السورية.. ومما تزخر به أمتنا وشعبنا من خصائص وقيم حضارية..

هيهات يا وطني أكابر..
كيف لم تسمع نواحي؟..
جفت ينابيع الضياء ناعين الموتى
وما جفت جراحي
صاح المؤذن عند باب الفجر: حيّ..
تنادت الأرجاء: حيّ على الكفاح..

وفي الختام ألقى المنفذ العام الرفيق عبد الوهاب بعاج كلمة تكلم فيها عن جريمة الاغتيال التي كانت تمثيلية من فصل واحد سميت المحاكمة، بدأت

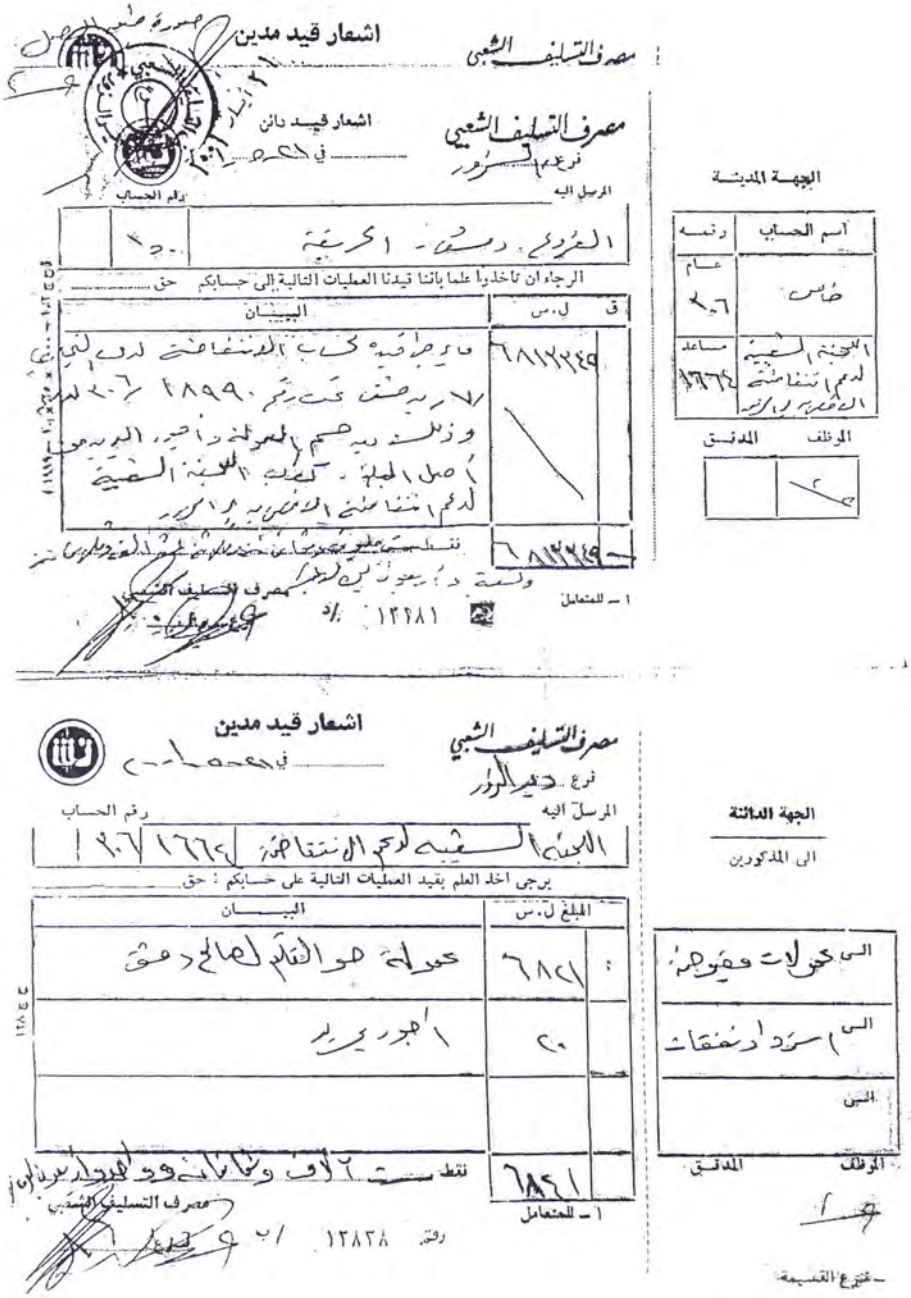

اشعار قيد مدين

مصرف التسليف الشعبي

اشعار قيد دائن

في ٢٠٠٦

مصرف التسليف الشعبي

فرع دير الزور

الجهة المدينة

اسم الحساب	رقمه
عام ٢٠٠٦	طوس
مساعد ١٦٦٤	الجمعية السعية لدعم انتفاضة الاقصى المباركة

الموظف المدقق

الرسل اليه

رقم الحساب

المزرعة - دمشق - الحريقة	٢٠٠

الرجاء ان تأخذوا علما باننا قيدنا العمليات التالية إلى حسابكم حق

البيان	ق ل.س
وارد حوالة مكتب الانتفاضة لدى المصرف بمبلغ ٦٨١٢٢٤٩ ل.س بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٠ وذلك بناء على أمر الحوالة رقم ١٢٢٨١ المتضمن تحويل المبلغ إلى حساب الجمعية السعية لدعم انتفاضة الاقصى المباركة	٦٨١٢٢٤٩
نقط ستة مليون ومئتان واثنا عشر الف ومئتان وتسعة واربعون ليرة سورية لا غير	٦٨١٢٢٤٩

مصرف التسليف الشعبي

ر/ ١٢٢٨١

١ ـ للمتعامل

اشعار قيد مدين

مصرف التسليف الشعبي

في ٢٠٠٦

فرع دير الزور

الجهة الدائنة

الى المذكورين

الرسل اليه

رقم الحساب

الجمعية السعية لدعم الانتفاضة	٢٠٦ ١٦٦٤

يرجى اخذ العلم بقيد العمليات التالية على حسابكم : حق

البيان	المبلغ ل.س
حوالة من القائم لصالح دعم	٦٨٢١
اجور بريد	٢٠
نقط ستة آلاف ومئتان واحد واربعون ليرة سورية لا غير	٦٨٤١

مصرف التسليف الشعبي

ر/ ١٢٨٣٨

١ ـ للمتعامل

الى حوالات وقيودها

الى) سرد (صفقات

الى

الموظف المدقق

ـ فرع القسيمة

الرفيق رئيس مكتب العلاقات
مكتب الفرع

القرار رقم (١٤٧)

رئيس الجبهة الوطنية التقدمية

بناء على أحكام النظام الأساسي للجبهة الوطنية التقدمية وخاصة المادة ١٠ منه.

وعلى قرار رئيس الجبهة الوطنية التقدمية رقم ١٣٢ تاريخ ٢٠٠٥/١١/١٤

يقرر مايلي :

المادة ١- يعاد تشكيل قيادة فرع الجبهة الوطنية التقدمية في محافظة دير الزور على النحو التالي:

١-	السيد رياض فريد حجاب	رئيساً
٢-	السيد مصطفى عبد القادر الصالح	عضواً
٣-	السيد محي خلف العيد الخلف	عضواً
٤-	السيد أسعد حمادة المحمد	عضواً
٥-	السيد طه حمادي الخليفة	عضواً
٦	السيدة بريهان محمد أيمن بقجه جي	عضواً
٧-	السيد أحمد فياض المحمد	عضواً
٨-	السيد علي ابراهيم المحمد العون	عضواً
٩-	السيد فؤاد بطاح	عضواً
١٠-	السيد نجم خريط	عضواً
١١-	السيد حسان المغير	عضواً
١٢-	السيد عمر عدنان علاوي	عضواً
١٣	السيد عمر صليبي	عضواً
١٤-	السيد صبحي جميل حمادي	عضواً
١٥-	السيد عبد المجيد مرزوق	عضواً
١٦-	السيد حسين رجب العبد الله	عضواً
١٧-	السيد عبد الوهاب بعاج	عضواً
١٨-	السيد علي محمود المطر	عضواً
١٩-	السيد صبحي الحنان	عضواً

المادة ٢- يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذه

دمشق في ٦ / ٤ / ٢٠٠٦

رئيس الجبهة الوطنية التقدمية

بشـــــار الأســـــد

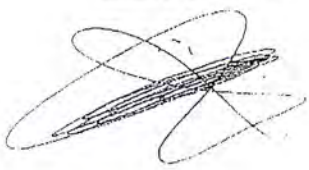

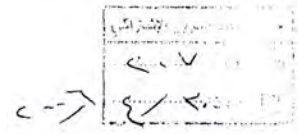

محافظة: دير الزور

نموذج (٤)

الرقم المتسلسل: ٥١٦

إشعار نهائي بقبول الترشيح

إلى السيد عبد الوهاب جلال الدين بعاج

بالإشارة لطلبكم المقدم برقم التسلسل ٥١٦ وتاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠٠ بترشيح نفسكم لعضوية مجلس الشعب للدور التشريعي التاسع عن دائرة دير الزور الانتخابية.

نعلمكم بأن لجنة الترشيح قررت قبول ترشيحكم عن الدائرة المذكورة لقطاع (ب) طبقاً لأحكام المادة (٢٠) من قانون الانتخابات العامة وتعديلاته.

في / / ١٤هـ و / ٢ /٢٠٠٧م

محافظ :

وزارة الإدارة المحلية والبيئة
محافظ دير الزور
المهندس خالد الأحمد

الخاتم والتوقيع :

الحزب السوري القومي الاجتماعي
هيئة منح رتبة الأمانة

قرار رقم 77/03

ان هيئة منح رتبة الأمانة
بناء على المواد التالية من القانون رقم 7 لعام 1937 وتعديلاته :
1- المادة الثانية التي تنص على الشروط الواجب توفرها في المرشح لنيل رتبة الأمانة.
2- المادة الثالثة والعشرون التي تنص على مناقشة ملف المرشح ومرفقاته .
3- المادة الرابعة والعشرون التي تنص على منح المرشح ، رتبة الأمانة بأكثرية ثلثي أعضائها .
وبعد المداولات الكافية بين أعضاء الهيئة في جلسات رسمية ،

تقرر ما يلي:

مادة أولى: منح رتبة الأمانة للرفيق..عبد الوهاب يتاج - منفذية دير الزور -

مادة ثانية: يحال هذا القرار إلى السلطات المختصة للتعميم.

المركز في 2008/ 11 /21

ناموس الهيئة
الأمين صلاح ...

رئيس الهيئة
الأمين كمال الجمل

الحزب السوري القومي الاجتماعي

إنّ رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي
بناءً على صلاحياته الدستورية وبناءً على قانون الأوسمة
يمنَح الرفيق

عبد الوهّاب بصّاح

وسام الواجب

رئيس الحزب
الأمين جبران عريجي

المركز في 13/7/2005

الحزب السوري القومي الاجتماعي

ان رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي
بناء على صلاحياته الدستورية وبناء على قانون الأوسمة
يمنح الأمين

عبد الوهاب بعاج

وسام الثبات

المركز في 13/11/2010

الرئيس

الأمين أسعد حردان

إقتراحات

في تنشيط عمل أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية

لقد تكررت دعوة قيادة الجبهة للأحزاب المنظمه تحت لوائها،إلى أخذ دورها في المجتمع وقيامها بأنشطة تصب من حيث النتيجة بمصلحة الوطن والمواطن.

من أجل هذا :

نرى:

١. تقديم المساعدات المادية والمعنوية لهذه الأحزاب في نشاطاتها الاجتماعية والفكرية وبالأخص ما يصب في الرحلات-علمية-تربوية- داخل المدينة وخارجها.

٢. لما كانت النشاطات التربوية-الترفيهيه التي تتناول شريحة من المجتمع هي الأطفال والأشبال والشباب ولا يدخل في هذا النشاط العمل السياسي من أي نوع كان.

لهذا فأن تدخل أجهزة الأمن ومتابعتها لمثل هذا النشاط وتواجدها يعيق هذا العمل ولو أنها تقصد أحياناً الحماية والرعاية ألا أن أسمها والفارق السني بين عناصرها والمشاركين يعطي النتائج العكسية بنفوس هؤلاء الأطفال والشباب وأهاليهم الذي يبعدهم عن الإشتراك بهذه النشاطات.

لذا نرى التوجيه بما يلزم.

٣. في الشأن العام توجه إلى أحزاب الجبهة بشكل عام أسئلة واستفسارات حول الوضع المعاشي للمواطن وخاصة ونحن في مرحلة دقيقة وخطيرة مع تزايد في تكاليف المعيشة دون ما يقابلها في الدخل.

ومع ذلك تصدر التشريعات الضرائبيه والرسوم التي أثقلت كاهل المواطن ومن هذه التشريعات ما صدر أخيراً من قوانين ومراسيم تخص القضاء وتكاليف التقاضي مع أن الشعار الأساسي هو العدالة مجاناً.

١

ولكن وعلى سبيل المثال فقط صدر القانون رقم ١٢ لعام٢٠١٠ بشأن طابع دور المحكم وأصبح الطابع أقله خمس وعشرون ليرة سوري بدلاً من ليرتان وبتدرج حتى ٣٠٠ثلاثمئة ليرة سورية وعلى كل ورقة أو وثيقة.

كما صدر القانون ٢٧لعام٢٠١٠الذي جعل الرسوم والتأمينات تتضاعف إلى الآلاف وليس المئات.

فالطابع من ٢٥-١٠٠بدلاً من ليرتان حسب ما كان ويشمل كل ورقة أو وثيقة ورسوم الدعوى كانت تستوفي ٣%حتى ٥٠٠٠خمسة آلاف،و٥٠%ما زاد يستوفي ربعها.

أما اليوم ٣%حتى مبلغ٢٥٠٠٠٠مائتان وخمسون ألف ليرة سورية و٥٠%لما يزيد،وقس على ذلك التأمينات القضائية.

من ٣٠و٧٠ل.س إلى ١٥٠٠ل.س

هذا بعضٍ نموذج.فما يكون ردنا في أحزاب الجبهة

لذا فأننا نقترح أن يكون للقيادة دائماً رأي في مثل هذه القضايا،وتوجيه بهذا الرأي إلى القيادات الفرعيه لتستعين بالرد على التساؤلات.

مع كل الإحترام

دير الزور٢٠/١٠/٢٠١٠

عن الحزب السوري القومي الإجتماعي

عبد الوهاب بعاج

٢

الجمهورية العربية السورية
وزارة الإدارة المحلية
محافظة دير الزور
مجلس مدينة دير الزور
فوج الإطفاء

الرقم : ٥٩٢ /ج.ط
التاريخ : / /٢٠١٦ م

((تقرير عن حادث))

- توقيت تلقي الإعلام عن الحادث : الساعة : ٦ الدقيقة : ٥٩ تاريخ : ٢٠١١/٩/٢٠
- توقيت الوصول لمكان الحادث : الساعة : ٦ الدقيقة : ١٥ تاريخ : ٢٠١١/٩/٢٠
- مكان الحادث (عنوانه) : .....
- نوع الحادث : .....
- أسباب الحادث المحتملة : .....
- إسم المالك أو المستأجر : .....
- توقيت العودة إلى المركز : الساعة : ٨ الدقيقة : ٣٠ تاريخ : ٢٠١١/٩/٢٠
- مدة تنفيذ المهمة : .....
- عدد وأسماء المصابين : .....
- عدد وأسماء المتوفين : .....
- المواد المحترقة والتالفة : .....
- قيمتها التقريبية : .....
- عدد الزمر المشاركة بالمهمة : ٢ عدد العناصر المشاركة بالمهمة ١٥ عنصر
- أسماء العناصر المشاركة بالمهمة : .....
- عدد ونوع الآليات المشاركة بالمهمة : .....
- مواد الإطفاء المستهلكة وكميتها : لا يوجد
- تجهيزات الإطفاء المفقودة أو المعطوبة خلال المهمة : .....
- رقم وتاريخ ضبط الشرطة المنظم بالحادث : .....
- ملاحظات : .....

السيد قائد فوج الإطفاء

نرفع إليكم تقرير الحادث (يرجى الإطلاع)

أمر الفئة : .....

الرتبة : .....

الإسم : .....

التوقيع : .....

دير الزور في / / ٢٠١

شوهد وصدق
قائد فوج إطفاء دير الزور
الملازم أول مجال الفارس

صورة طبق الأصل

الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
قوى الأمن الداخلي

شرطة محافظة ديرالزور
منطقة ـــــ
ناحية ـــــ
قسم الشرطة في مدينة الزور
مخفر مقر قيادة المنطقة
رقم الضبط ٢٠٢٥
تاريخ ٢٠٢٥/١/١
النسخة الثانية
الخلاصة تحقيق حول تشويب تعريض وثيقة تزوير

المنشئ: الملازم أول عمر فلاح
المحرر: الرقيب بلال الرحمة

ورقة ضبط

في هذا اليوم الثلاثاء الموافق ٢٠٢٥/١/١ الساعة ١٠ صباحاً
نحن الموقعين أدناه المأمور المختص رقم ٨٠٤٠ عمر فلاح
من مركز مخفر المقر التابع للقسم الشرقي في مدينة الزور
بناءً على الإشعار الهاتفي من قبل الباحث في الزور بتشويب
وتعريض وثيقة تزوير عليه توجهنا فوراً إلى المكان
المذكور أعلاه وبالكشف المعاين تبين أن المدعو
المذكور أعلاه قد قام بتشويب وتعريض وثيقة تزوير
عبارة عن بطاقة شخصية مزورة باسم [illegible]
وبالكشف على المذكور تبين أنه يحمل البطاقة المذكورة
أعلاه وبسؤاله عن كيفية حصوله عليها أفاد بأنه
اشتراها من شخص مجهول الهوية في سوق الحميدية
بمدينة الزور مقابل مبلغ قدره ٥٠٠ ليرة سورية
وبتفتيش المذكور عثر بحوزته على مبلغ قدره ٥٤٢
ليرة سورية وهاتف نقال من نوع سامسونج
وبتفتيش المنزل لم يعثر على أي أدوات أخرى
وبتاريخ اليوم ٢٠٢٥/١/١ تم إحالة المذكور
والمضبوطات إلى النيابة العامة في الزور
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٢ تم استجواب المذكور
من قبل النيابة العامة وأقر بما ورد أعلاه
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٣ تم إخلاء سبيله بكفالة
شخصية قدرها ١٠٠٠ ليرة سورية
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٤ تم تسليم البطاقة المزورة
إلى صاحبها الأصلي بعد التأكد من هويته
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٥ تم إغلاق الملف
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٦ تم أرشفة الملف
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٧ تم إعادة فتح الملف
بناءً على طلب النيابة العامة
وبتاريخ ٢٠٢٥/١/٨ تم إغلاق الملف
نهائياً

الصفحة الثانية

الجمهورية العربية السورية
وزارة الإدارة المحلية

محافظة دير الزور
مجلس مدينة دير الزور

الرقم : ٥٩٢ /ج.ط
التاريخ : / ٢٠١٨
١ ٩ ٢٧

((فوج الإطفاء))

« مذكرة إبلاغ عن حادث »

توقيت الإبلاغ : الساعة : ٦ الدقيقة : ٥٩
نوع الحادث : حريق منزل مؤلف من طابقين
عنوان الحادث : دير الزور - حي الجورة
إسم المبلغ : محمد الحمد
رقم الهاتف : ٠٥٤٥٨٢٨٨
توقيت الإنطلاق : الساعة : ٦ الدقيقة : ٥
توقيت العودة : الساعة : ٨ الدقيقة : ١٥
تم إبلاغ شرطة المحافظة : القسم : / الشرطة / محمد
تم إبلاغ طوارئ الكهرباء : العامل : عنبر
تم إبلاغ منظومة الإسعاف السريع : لا
تم إبلاغ عمليات الدفاع المدني : لا
ملاحظات:

إطفائي الهاتف واللاسلكي
الرتبة : رئيس
الإسم : محمد
التوقيع :

آمر الفئة المناوبة (أول)
الرتبة : ملازم
الإسم : محمد
التوقيع :

دير الزور في / ١ / ٢٠١٨

صورة طبق الأصل

قائد فوج إطفاء دير الزور
العقيد أول صبحي الفارس

اللجنة الشـــعبية العربية السورية الدائمة
لدعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني

بيـــــــــان

يا أبناء شعبنا العظيم

يواجه شعبنا الفلسطيني وانتفاضته الباسلة منذ ثمانية أشهر وحشية العدو الصهيوني وعنصريته وهمجية جيشه ببطولة وتضحيات لا حدود لها ، وبصبر وثبات ووضوح رؤيا وإصرار على المقاومة حتى التحرير.

تقاوم الانتفاضة البطلة الاحتلال الصهيوني بأبعاده التوسعية والعنصرية والسياسية والثقافية والاقتصادية باسم الأمة ، ومن حقها على شعبنا وأمتنا أن ندعمها ونساندها سياسياً ومالياً ومعنوياً ، من أجل ذلك بـــادرت اللجنة الشعبية السورية الدائمة لدعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني ، إلى تنظيم مســيرة شــعبية في مدينة دمشق يوم الثلاثاء الخامس من حزيران تضامناً مع الانتفاضة الباسلة ، تترافق مع بداية حملة تبرعـــات مالية وعينية ونشاطات شعبية متعددة في هذا المجال .

يا أبناء شعبنا

تدعوكم اللجنة الشعبية للمشاركة في هذه المسيرة تعبيراً عن تضامنكم ودعمكم وتأكيداً لموقفكم المســاند ، كما تدعوكم جميعاً – أفراداً ومؤسسات – للتبرع للانتفاضة مالياً وعينياً .

فلندعم الشعب الفلسطيني وانتفاضته ، من أجل أن تواصل نضالها حتى تحرير التراب واســتعادة الحقــوق ، وإقامة الدولة الفلسطينية فوق أرض فلسطين وعاصمتها القدس ، خطوة على طريق تحقيق المشروع القومــي النهضوي المنشود .

يتم التجمع في ساحة السبع بحرات والشوارع المؤدية إليها وشارع ٢٩ آيار وتنطلق المســيرة مــن ســاحة الشهيد البطل يوسف العظمة (بوابة الصالحية) الساعة التاسعة والنصف صباحاً عبر ساحة الحجاز فشــارع النصر وصولاً إلى نصب القائد البطل صلاح الدين الأيوبي .

الخلود لأرواح شهداء الإنتفاضة الباسلة ، وشهداء الأمة العربية في كل مكان والنصر لنضال جماهيرنــا من أجل التحرير والوحدة وبناء المستقبل القومي.

اللجنة الشـــعبية العربية السورية الدائمة
لدعم الإنتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني

الحزب السوري القومي الاجتماعي

المكتب السياسي **ورقة حول ميثاق الجبهة**

مقدمه

(أصبح من الضروري أن تطور صيغة عمل الجبهة بما يستجيب لحاجات التطوير الذي يتطلبه واقعنا المتطور المتنامي على كل المستويات)

من مقدمة الميثاق وعلى لسان الرئيس الدكتور بشار الأسد .

ولما كانت الجبهة تمثل الفكر السياسي لمجموع الأحزاب المنطوية تحت لوائها أي أن الجبهة ليست السلطة التي تقود الدولة وتمثلها في المجتمع الدولي وبالتالي قد نجد تغايراً في استعمال الألفاظ والتعابير .

إلا أنه في التطبيق العملي . يكون التوحد تحت راية مصلحة الأمة فوق كل مصلحة .

وهذا ما عبر عنه السيد الرئيس بقوله ((فلا بد أن نضع مصالحنا الوطنية والقومية أولاً وفوق كل اعتبار))

على هذا الأساس نتناول بعض المفاهيم والتعابير الواردة في الميثاق التي نرى ضرورة إعادة دراستها وتبديلها وفق مفهوم مصلحة الأمة .

ما هية الجبهة الوطنية التقدمية :

جاء في ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية تعريف للجبهة بأنها :

(تضم في صفوفها عشرة أحزاب سياسية وجماهيرية فضلاً عن الاتحاد العام للعمال والاتحاد العام للفلاحين)

(وكما جاء أن حزب البعث ((من واقع تحمله مسؤولية قيادة الدولة والمجتمع ....)

(وإن منهاج الحزب ومقررات مؤتمراته وميثاق الجبهة موجهاً اساسياً لها في رسم سياستها العامة وتنفيذ خططها))

وإن هذه التجربة الهامة نموذج وطني يجب أن يطور ويفعل دوره وتوسيع قاعدة العمل السياسي والجماهيري إذن الجبهة مجموعة أحزاب سياسية ومنظمات شعبية لها استقلاليه في تنظيماتها ونشاطها وهي ملتزمة بالجبهة كميثاق وللتطوير والتحديث والشفافيه .

وباعتبار أن الميثاق ينص على أن مسؤولية قيادة الدولة والمجتمع خاصة بحزب البعث و الجبهة وأن يصدر من المقررات ترسم السياسة العامة للدولة وتنفيذها .

من هنا نستنتج :

١- أن على حزب البعث وعلى الجبهة أن تقدم دراسات وقرارات على أجهزة الحكم أن تنفذها .

بينما ما تراه أن الجبهة في ختام أعمالها تبعث بتوصيات ليس أكثر .

1

٢- إن حزب البعث قائد المجتمع وأن كافة المنظمات الشعبية تتبع رسمياً له إذن ما هو دور بقيه الأحزاب في توسيع قاعدة العمل السياسي والجماهيري . هل هو فقط في تسميه بعض ممثلي هذه الأحزاب في قيادة هذه المنظمات وبحصص لا تغني ولا تسمن .

٣- المقترح هو إطلاق حرية عمل الأحزاب المتحدة في الجبهة في كافة المنظمات الشعبية حتى يتحقق التوسع الجماهيري الفاعل .

في المنهاج السياسي :

فصل المنهاج السياسي بين قطري وقومي ودولي .

وأجمعت هذه التفصيلات على نقاط ... هي :

العمل للوحدة – تحرير الأراضي العربية – القضية الفلسطينية – الدولة الفلسطينية الشرعيه الدولية .

الوحدة : هي مطلوب كافة الأحزاب والمنظمات والجمعيات في ظل الجبهة الوطنية وخارجها حيث ايديولجيات ومبادئ كافة هذه الأحزاب بل و أكثر كافة المواطنين السوريين والعرب .

وهذا النهج يتناقض مع التجزئة والقطريه والحدود المصطنعة والحواجز الامنيه والجمركية .

لذا فإن ما يتكرر في الميثاق من عبارة ((بناء دولته المستقله)) عن فلسطين فيه مغايرة لهذا المبدأ .

فلوارادت فلسطين بعد تحررها الالتحاق بأمها سوريا فما المانع من ذلك لذا لا نرى مبرراً لهذه العبارة .

تحرير الأراضي :

((تحرير الأراضي العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران) (عدم التفريط بذره من الأرض) (دعم النظال الفلسطيني لتحرير أرضه)

((الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني في ارضه ووطنه))

الأراضي المحتلة هي ليست فقط بعد الخامس من حزيران هي كل فلسطين والجولان وبعض من لبنان وهي كلها سوريه قسمتها اتفاقات سايكس بيكو وملحقاتها ، ولم يكن لهم حق في ذلك .

وفلسطين ليست مسؤولية الفلسطينين فقط ، لأنها سوريا الجنوبية والكل مسؤول عن تحريرها وهذا ينطبق على كل أرض عربية .

الشرعية الدولية :

على الصعيد القطري ((تؤكد (الجبهة) بالتزامها بالشرعية الدولية وتنفيذ هذه القرارات)) .

وعلى الصعيد الدولي ((الالتزام بمبادئ الشرعية الدولية وقرارات منظمه الأمم المتحدة لحل الصراع العربي الإسرائيلي ، على أساس مبادئ الحق والعدل والقانون الدولي))

((التمسك بالشرعية الدولية وبمبادئنا وحقوقنا ومصالحنا))

إننا نجد في هذه العبارات تناقضاً :

أ- فالشرعية الدولية منذ عصبه الأمم المتحدة التي لم تكن إلا عصبة الأمم المنتصرة والتي قامت بإقرار الوصاية على بلادنا السورية وجزءتها إلى دويلات ومنحت أجزاء منها إلى دول أخرى وفلسطين لليهود . فيما بعد .

ب-إن قرارات منظمة الأمم المتحدة ،هي الداعمة لاحتلال فلسطين والعراق وأجزاء من لبنان .

جـ-إن حقوقنا ومصالحنا وتحرير اراضينا يتناقض مع هذه القرارات المسماة بالشرعية الدولية .

د- إن عبارة حل الصراع العربي الإسرائيلي تفهم أننا نقر ونعترف بدولة اسمها اسرائيل هذا بما يسمح لدولة وفق أوضاع السياسة الدولة قوله – أما كشعب واحزاب فليست ملزمه به وباعتبار أن ليس من حق جمعية الامم المتحدة كلها أن نفرض على الأمة السورية مقررات تنزع سيادة الأمة السورية عن وطنها أو حقها أو أراضيها إن هذه الجمعية لا تملك حق تقرير مصير الأمة السورية ولا تقرير مصير جزئها الجنوبي فلسطين (جنوب سوريا كما سماها الرئيس الراحل حافظ الأسد إن كل مقررات انتر نسيوتيه تخالف إرادة الأمة السورية وحقها في تقرير مصيرها ومصير وطنها بملئ حريتها هي مقررات باطله))

هذا ما قاله مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي انطوت سعادة منذ ستين عاماً .

ويقوله اليوم الرئيس الدكتور بشار الأسد ، في كلمته أمام مؤتمر البرلمان العربي حيث جاء :

((أما التردد من قبل البعض بذريعة وجود قرارات دولية فأنا أؤكد أن دولنا وقعت ميثاق الأمم المتحدة والذي يضمن الأمن والاستقرار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول)).

(أما عند ما تعكس القرارات هيمنة مجموعة من الدول على مؤسسات دولية تؤدي إلى صدور قرارات تخرق هذا الميثاق وتلحق الضرر بمصالحنا فلا بد أن تضع مصالحنا الوطنية والقومية أولاً وفوق كل اعتبار)

من هنا فإننا نرى تعديل للميثاق بما يتناسب مع مبادئ الأحزاب المشكله له وليس تعديلاً لمبادئ الأحزاب .

لهذا نرى إعادة صياغة ميثاق الجبهة وفق التطورات و المفاهيم المبني عليها مبادئ الأحزاب .

عبد الوهاب بعاج

لمحة عن حزب الشباب

كان وحيداً في مكتبه ، حزيناً كئيباً ، يفكر في المهزلة التي تمثل على ارض العرب ويقلب صفحات النضال العربي فلا يرى الا بطولة شعب ، واستقلال قاده ، فافترت شفتاه عن ابتسامة فيها كل معنى الألم المكبوت والحزن الكمين . وتغضن جبينه وقطب حاجباه ، وخرجت من صدره زفرة كالهيب وتأوه بحسرة لاستغلال الدماء الحمراء وخداع الشعب البريء . وسمع هاتفاً ان قم وابدأ واعمل يا (اكرم) فقد انهيت الدراسة وسلاحك العلم والاخلاق والايمان .

فقام متثاقلا ومشى يهدوء ، شاخصاً ببصره الى السماء كأنه يستلهم القدرة ، وينتظر الامر ، وما كاد يخطى الباب حتى شعر انه غيره منذ هنيء . فانشرحت نفسه واتقد ذهنه وارتسم الطريق امامه واضحاً ، فبدأ عمله .

كان ذلك سنة (١٨٣٩) والشعب قد اسكرته نشوة النصر الموهوم وخدرته اكاذيب الزعماء فاستسلم لجلاديه يستغلون قواه لمصالحهم ، ويتلاعبون بمقدراته ويساومون على حياته . في هذا الظرف المحموم ، وقد انحرف تيار الشعب عن حقيقة الحياة ، بدأ اكرم عمله صامتاً وبدون ضجة فاستجاب له نفر قليل كانوا يرقبون الامور بألم ويشعرون بالكارثة تكاد تحل ، وبالمؤامرة تنفذ وينتظرون الاشارة . اجتمعوا طويلا وتحدثوا ملياً وبعمق فادام توائم كلهم فقدوا من نبعة واحدة ، وخرجوا الى الميدان مؤمنين بعبقرية امتهم وقدرتهم على القيادة ، مصممين على التضحية ، وجلاء الصدأ عن جوهرهم بدمائهم ونذروا انفسهم قرابين على مذبح الوحدة الكبرى . هكذا تكون الشباب على نمات الايمان ، ورالحان البطولة وليس بدعاً ان يثر ذلك في بلدة صغيرة فقيرة ، ولكنها بعيدة عن زيف المدنية في العواصم الكبرى وتدجيل الاستغلاليين من الزعماء الذين يتخذون لهم من العاصمة مقراً وهذا شأن حركات التحرير وتكوين الوحدات القومية في التاريخ .

سخر الزعماء من هذه الحركة واستهزءوا بها واكتفوا اولا بالشتم ولكن بعد قليل شعروا بالعاصفة تكاد تقتلع جذورهم وتكشف حقيقة امرهم وتظهرهم للشعب وقد تعروا من كل فضيلة ادعوها واختبئوا تحت ستارها .

فتداولوا امرهم وجمعوا كيدهم وشنوا حملتهم بعد ان تلقوا الاوامر من مركز قيادتهم وليتهم باشروا الحقد بانفسهم ولكنهم اجبن من ذلك بكثير اذ حرضوا من اطمأن اليهم وخدع بقولهم من افراد الشعب الابرياء .

واما اكرم واخوانه فقد تلقوا كل ماصب عليهم وضحى وابتسام لانهم احبوا هذا الشعب وافنوا على انقاذه من قبضة الشركة وافتدائه بارواحهم فلم يحمل احد منهم حقداً ولم يفكر ان ينتقم او يؤدي فرداً .

وهكذا ظل اكرم ثابتاً كالطود يد اخوانه من ايمانه ، ويكشف للشعب الحقيقة عارية من كل زيف ، ناصعة كالثلج ، والشباب يوضحون بجرأة ونشاط ان المعاهدة خدعة ولكسب الوقت فقط ، ويعملون على ايقاد جذوة الايمان في نفوس الافراد وانقاء حيوية الشعب ويقظته وعدم استسلامه .

سارت الامور في جو من الضغط والارهاب لامثيل له الا ايام محاكم التفتيش في اوربا وما احمل ما كان يخاطب به « اكرم » المعتدين : يابني قومي مما قريب سيصبح كل منكم اخاً ورفيقاً ويدرك انني اعمل في سبيل انقاذه ، افهموا من دفعكم ان الغشاوة ستزول عن اعينكم وستبصرون النور بعد حين .

وفي تلك الآونة اشتعلت نار الثورة في وادي القدس فاقدم الشباب يستبشرون تحت لواء القاوقجي ، ومن مهازل الدهر ان ينشد في بنصرة فلسطين ويعمل في الخفاء على عرقلة العمل من حاكم اخوان هؤلاء الشباب محاكمة الارهابيين المارقين بتهمة الخطاب فرنسا وعرقلة توقيع المعاهدة بسماحهم لاخوانهم بالجهاد في وادي فلسطين .

ولاحت في الافق كارثة اسكندرون فبح صوت الشباب وهم يحذرون وينادون بالاستعداد لدرء الكارثة فكان الجواب هجوماً اثر هجوم وضربا على قارعة الطريق .

ولكن الايمان لابد وان ينقذ

البقية على الصفحة ٢٢ و ٢٣

منهاج حزب الشباب في حماة

مضى على تأليف حزب الشباب في حماه اكثر من عشرة اعوام وهو يضم مجموعة كبيرة من الشباب المثقف العامل وجمهور كبير من العاملين المجدين وقد تمكن بعد جهود جبارة صامتة ان يقلب تلك العقلية التي سيطرت على البلاد عام سنة ١٩٣٦ وما بعده الى عقلية تجددية جريئة مخلصة واعية تنظر بمجهر العقل يدفعها شعورها القومي الاصيل .

وقد قاز الاستاذ الحوراني عميد الحزب عام ١٩٤٣ - ١٩٤٧ على اساس مبادىء هذا الحزب ومنهاجه .

القومية العربية

المادة الاولى - الجزيرة العربية : وطن العرب الام منذ اقدم العصور ، عمرت الشرق العربي بفيض من الهجرات الواسعة المتعاقبة على مختلف مراحله التاريخية .

وقد دار الفتح العربي المجانة الاقليمية وآثارها وبه الشعوبية من الاقطار العربية . واستجلى باللسان العربي المبين اسمى معاني القومية ودقق الخصائص العربية الاصيلة .

المادة الثانية - مؤسسات الشرق العربي الروحية والاخلاقية والفكرية والحقوقية والفنية متحدة في اصولها العميقة على مختلف ادواره السياسية .

المادة الثالثة - القومية العربية ايمان وشعور عميق بعبقرية العرب الخاصة الممتازة وعقيدة راسخة بخلود الامة العربية التي ستسلك طريقها التاريخي العظيم وستؤدي رسالاتها الانسانية السامية للعالمين .

الاهداف السياسية

المادة الرابعة - الشباب هيئة قومية سياسية غايتها تحرير سورية الطبيعية والاقطار العربية ونظمها في دولة واحدة .

١ - « سورية وحدة لاتتجزأ . سورية جزء من الاقطار العربية .

المادة الخامسة - تستمد الامة مصدر جميع السلطات شكل الحكم الشعبي الجمهوري من تاريخها وعلى ضوء تجاربها واختباراتها وتقرره باختيارها وارادتها .

الاصلاح الاجتماعي

المادة السادسة - الشباب هيئة كفاحية تقوم على اساس الايمان والطاعة والنظام .

١ - « تذوب مصلحة الفرد في مصلحة المجموع » .

٢ - « مصلحة الامة فوق كل مصلحة » .

المادة السابعة - الشباب هيئة اصلاحية تعمل على ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف الدينية والمذهبية والعنصرية .

١ - « لا طائفية ولا مذهبية ولا عنصرية » .

٢ - « من لايستعرب عد دخيلا على الامة » .

المادة الثامنة - الشباب هيئة شعبية تعمل على انسجام المجتمع والقضاء على عقابيل العصبيات القبلية والاقطاعية والفوارق الطبقية .

١ - « الامة هيئة اجتماعية واحدة » .

المادة التاسعة - البداوة خطر على مدنية الامة العربية فتحضير القبائل منبع من منابع قوتها وقوتها وحافظ لامنها واستقرارها .

المادة العاشرة - رفع مستوى المرأة وتحريرها من قيود الاسر والجهل والعبودية حتى تصبح عضواً صالحاً في الهيئة الاجتماعية في نطاق مواهبها ووظائفها الطبيعية . وتثمين اواصر الاسرة وتشجيع الزواج وتكاثر النسل .

١ - « تقوم اصالة الفرد والاسرة في المجتمع على الكفاءة والنباهة والبطولة في خدمة الامة .

الاصلاح الحقوقي

المادة الحادية عشرة - ١ - « الاحكام الحقوقية الدينية والتاريخية مصدر رئيسي من مصادر تشريع الامة بالنسبة لماضيها وواقعها الحي .

الاهداف الاقتصادية

المادة الثانية عشرة - معاش الفرد وصحته وتعليمه بضمان الدولة .

المادة الثالثة عشرة - انصاف العمل وحفظ حقوق المنتجين من الفلاحين والعاملين .

البقية على صفحة (٢٤)

ملحق الصور

عبد الوهاب بعاج

الجيش 1957

عبد الوهاب بعاج

جد عبد الوهاب بعاج لوالده محمد كامل الحسين البعاج
من رجالات السياسة والعشائر – معروف بـ (محمد الحسين)
محامي وشاعر عتابا توفي عام 1948
أحد أعضاء حكومة دير الزور

جلال الدين بعاج والد عبد الوهاب بعاج
زهرة حمد بعاج والدة عبد الوهاب بعاج

جلال الدين بعاج

أحمد مضحي – عبد الوهاب بعاج – حسن عياش –

جميل مخلوف – عزيز مرعي

عبد الوهاب بعاج – أحمد خير بك –

عزيز مرعي – إلياس قنينرح

من اليمين الرفقاء: حامد غضب – أحمد مضحي – عبد العزيز برنبدي –
كمال طعمه – عبد الرزاق بعاج (يلقي كلمة) الجميع متوفين.

في الصف الأول
الرفيق جوزيف بحادي – الأمين إلياس جرجي – عزيز المرعي
صلاح الدين حريب

اجتماع مع الأمين
إلياس جرجي قنيزح

نديم سليمان – حسن عياش – عبد الرحمن ثلاج

عبد الوهاب بعاج – إبراهيم هنيدي

عبد الوهاب بعاج

أنطوان سيمون

سجن دير الزور عام 1968

وقوفاً من اليمين:

- **محمد أمين جاسم ق.ع**
- **حمود النجم ق.ع**
- **خلف السطّام ق.ع**
- **حسن عيّاش سوري قومي اجتماعي**
- **أحمد كدرو إخوان مسلمين**
- **فيصل صائب سوري قومي اجتماعي**
- **إبراهيم هنيدي سوري قومي اجتماعي**
- **محمد الصاهود ق.ع**
- **أسامة هوكان ق.ع**
- **عبد الوهاب بعاج س.ق**
- **علاء خضر ق.ع**

جلوساً:

- **أنطوان سيمون س.ق.إ**
- **صلاح هجر س.ق.إ**
- **محمد دكاك ق.ع**
- **أفرام موسى مصلي س.ق.إ**

حسن عياش

سجن دير الزور 1968

جرجس مخول

زميل العسكرية

بقعاتا 1958

الشهيد محمد أمين جمعة

بداية الخمسينيات

صالح عبود

منفذ دير الزور

الرفيق إلياس فطوط وزوجته السيدة راشيل

قاسم صالح

1999/10/20

الأمين هنري حاماتي

محاضراً في المركز الثقافي بدير الزور

عبد الله طه – ممدوح عباس حميدي – زهير نصر – عبد الوهاب بعاج

الأول من آذار 2000

من اليسار:

عزيز المري – عبد الرزاق منديل – عبد الوهاب بعاج

الأول من آذار 2000

من اليمين – شهاب العبد الله – صفوان فرزات – عبد الوهاب رباح – عدنان دهموش – عزيز مرعي

2000/10/25

تأبين محسنة عياش

د – قاسم عزاوي –

2000/10/28

تأبين محسنة عياش

نشأت عياش

أمين العبدة – صلاح الهجر –

عصام المحايري – عبد الوهاب بعاج

ممثّلو الأحزاب

مكتب الحزب 2003-2006

من اليمين

صلاح الهجر – عصام المحايري – عبد الوهاب بعاج – وقوفاً شهاب العبدالله – فوزي مزيح

أول آذار 2004

أنور بعاج – علد الوهاب بعاج – بهيّة الهجر العبيد – عدنان دهموش – زهير نصر

من اليسار

زهير نصر – الكاتبة أميمة عبيد – عبد الوهاب بعاج – رئيس المركز الثقافي زبير سلطان

عدنان دهموش – طلعت الهجر – صلاح الهجر – ممدوح عباس الحميدي –

عبد اللطيف شاكر – عطاالله كنامة

محافظ دير الزور

خالد الأحمد

أكرم الهجر

وليد الأحمد حميد الهجر (السجل) – تولد 1958/5/5 – الاغتيال 2014

– شهداء الحزب

الفهرس

مُقدّمة 5
مقدّمة عامّة..... 7
البداية بعد الاستقلال 8
عن مجتمع دير الزور – المرحلة الفرنسيّة..... 8
الرد على ليلة الرعب 10
بدء تواجد الأحزاب 11
الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ والاستعمار الفرنسي في دير الزور 14
من الأدبيّات 14
المواقف السياسيّة والتحالفات.....19
أكرم الحوراني بين القوميّ الاجتماعيّ والشباب والبعث الاشتراكيّ..... 20
فكرة حزب الشباب.....21
سياسة الانتخابات 22
التحرّشات والصّدامات.....26
الصّدام والاعتداء على المكتب.....27
اغتيال الرفيق محمد أمين جمعة.....28
تشييع الشهيد 30
التأبين 31
المالكي قتيلاً والقوميّون سُجناء.....32
القلعة والمهجع رقم – 9 – 34

المعيشة 35
هل أنتم من جنس البشر؟! 36
القضاء على الوقت.....37
الاستقالة من الحزب مقابل الإفراج 39
المُحاكمات.....39
صفعات لا تُنسى.....40
من السّجن الصغير إلى السجن الكبير 42
سعيد تقيّ الدين وأصغر رسالة.....42
اللقاء مع سعيد تقيّ الدين.....42
صاحب الصورة 43
لماذا السؤال عنه؟.....43
إعادة التنظيم... محاولة أولى 44
السجن الكبير 46
روّاد الأقبية وكُتّاب التصاريح 47
إلى قبو سامي جمعة 48
الجنديّة والخدمة الإلزاميّة 50
كليّة الاحتياط.....51
مدرسة المدفعيّة 52
أنا وصفتي الحزبيّة والرسوب.....53
مع وليد عزّت.....54
الخدمة في الميدان 54
إرهاب الضباط المدرّبين 56
آمر أو قائد سريّة القيادة.....57

أنا وعبد الناصر والإصلاح الزراعي.....58
العودة إلى الجامعة.....59
العودة إلى التدريس.....61
الصدام مع المفتّش التربوي والثناء.....61
المُحاماة والانفصال 62
المُحاماة والتدريس.....62
المكتب والتأسيس 63
مصر ومؤتمر المحامين 1967 64
وقفة احتجاج في المطار 64
افتتاح المؤتمر 65
برنامج المؤتمر.....66
سوريّون التقيتهم في مصر 67
الانفصال والانقلاب الفاشل.....69
الاعتقال والسجن المدنيّ.....71
المواجهة مع ضابط المخابرات المشرف 73
إلى محكمة أمن الدولة العُليا.....74
ثورة سويكاني 74
المؤتمر القطريّ.....75
بيني وبين قاضي التحقيق 76
وضع مكتب المحاماة بعد العودة.....78
الزواج.....79
منع السفر وجواز السفر 80
وضاعت الفرصة.....81

زوجتي والشلل والولادة 82
هل نتعلّم من أخطائنا؟ امتحان جديد! 83
التركيز على العمل لتنشيط حركة المكتب 85
الترشّح لرئاسة فرع النقابة 85
السبعينيات والثمانينيات 86
فؤاد مسّوح 86
ميشيل عبّود 87
الحرب اللبنانيّة 88
قيادات قوميّة اجتماعيّة في دير الزور 89
مسؤولون مركزيّون في دير الزور 91
في تشكيل المنفّذيّة 92
افتتاح مكتب الحزب 93
الاتّصال مع أجهزة الأمن 94
النشاط الفكريّ 96
ونشاطات مُرافقة 97
والنشاط السياسيّ 98
أحداث آذار 2011 ونتائجها 100
في نتائج هذه المرحلة 101
ستون عامًا على قراءة في رسائل صديقة 102
شهداء الحزب من دير الزور 122
مع المركز 125
الأمين عصام محايري جزيل الاحترام 125
بين الدستور والقانون 125

في نظام الحزب 126
تفسيرات خاطئة 126
حلّ الإشكال 127
تعديل القانون أم تعديل نظام الحزب؟ 127
كيف انبثقت السلطات في حزب الشام؟..... 128
الترابط بين الشام ولبنان 128
الشام في نظر الزعيم..... 129
دراسة في القانون الدستوري رقم /10/ للعام 2001..... 132
سيرة حياة..... 170
ملحق الوثائق 175
ملحق الصور 217